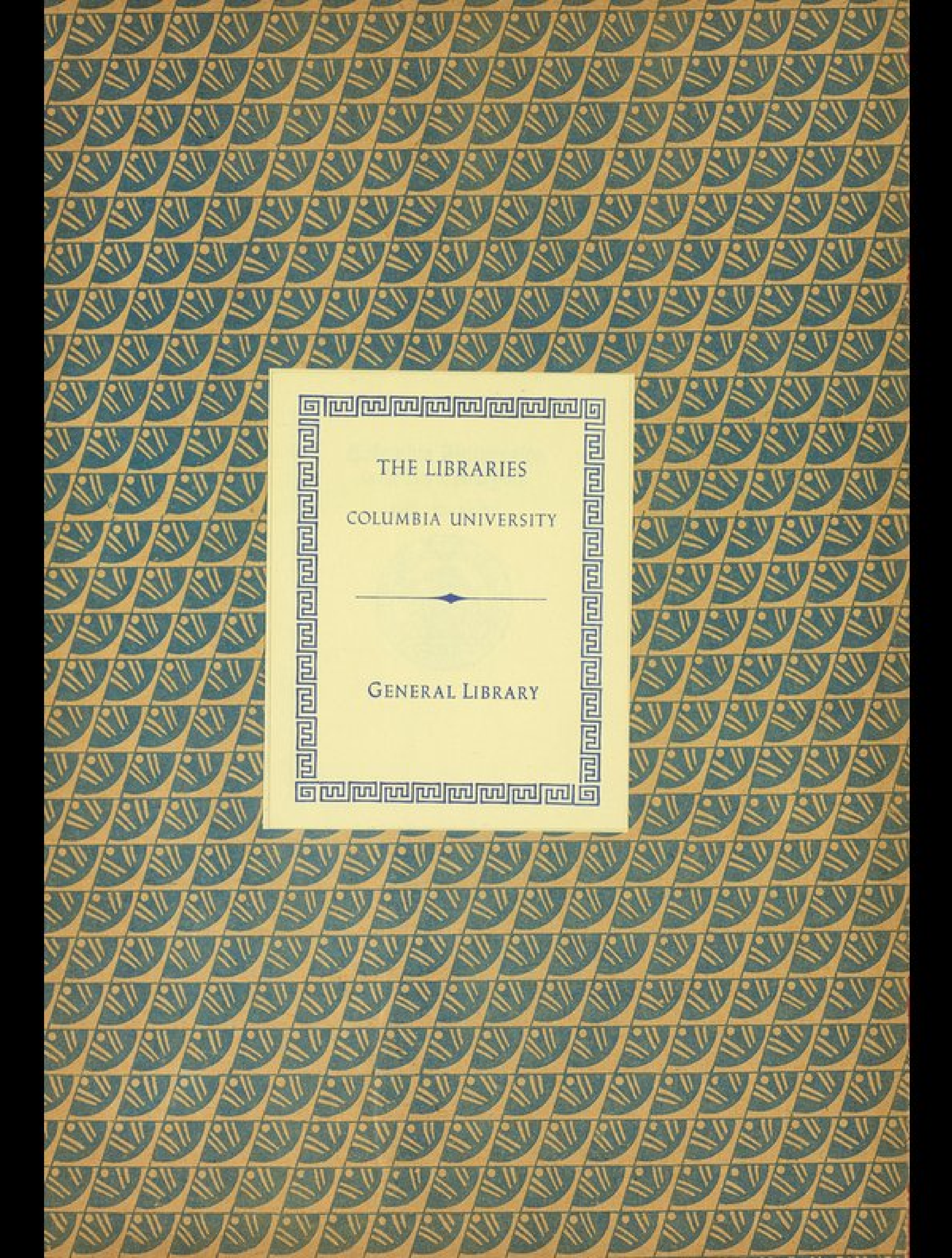



THE LIBRARIES
COLUMBIA UNIVERSITY
GENERAL LIBRARY

أغانى شيراز

أو

غزليات حافظ الشيرازى

شاعر الغناء والغزل فى إيران

ترجمها لأول مرة عن أصلها الفارسى
مع مقدمة وافيـة عن الشاعر وديوانه

إبراهيم أمين الشواربى

دكتوراه فى الآداب
ليسانسيه فى الحقوق وليسانسيه فى الآداب من جامعة فؤاد الأول
بكالوريوس فى الآداب مع مرتبة الشرف الأولى من جامعة لندن
الدبلوم العالى لمعهد الدراسات الشرقية بلندن
مدرس بكلية الآداب بجامعـــة فؤاد الأول

الجزء الأول

الطبعة الأولى

١٣٦٣ هـ — ١٩٤٤ م

القاهرة
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

أستاذى الجليل الدكتور طه حسين بك

... شغفت بك ، فشغفت بالأدب

... واقتديت بك ، فدأبت على التحصيل والطلب

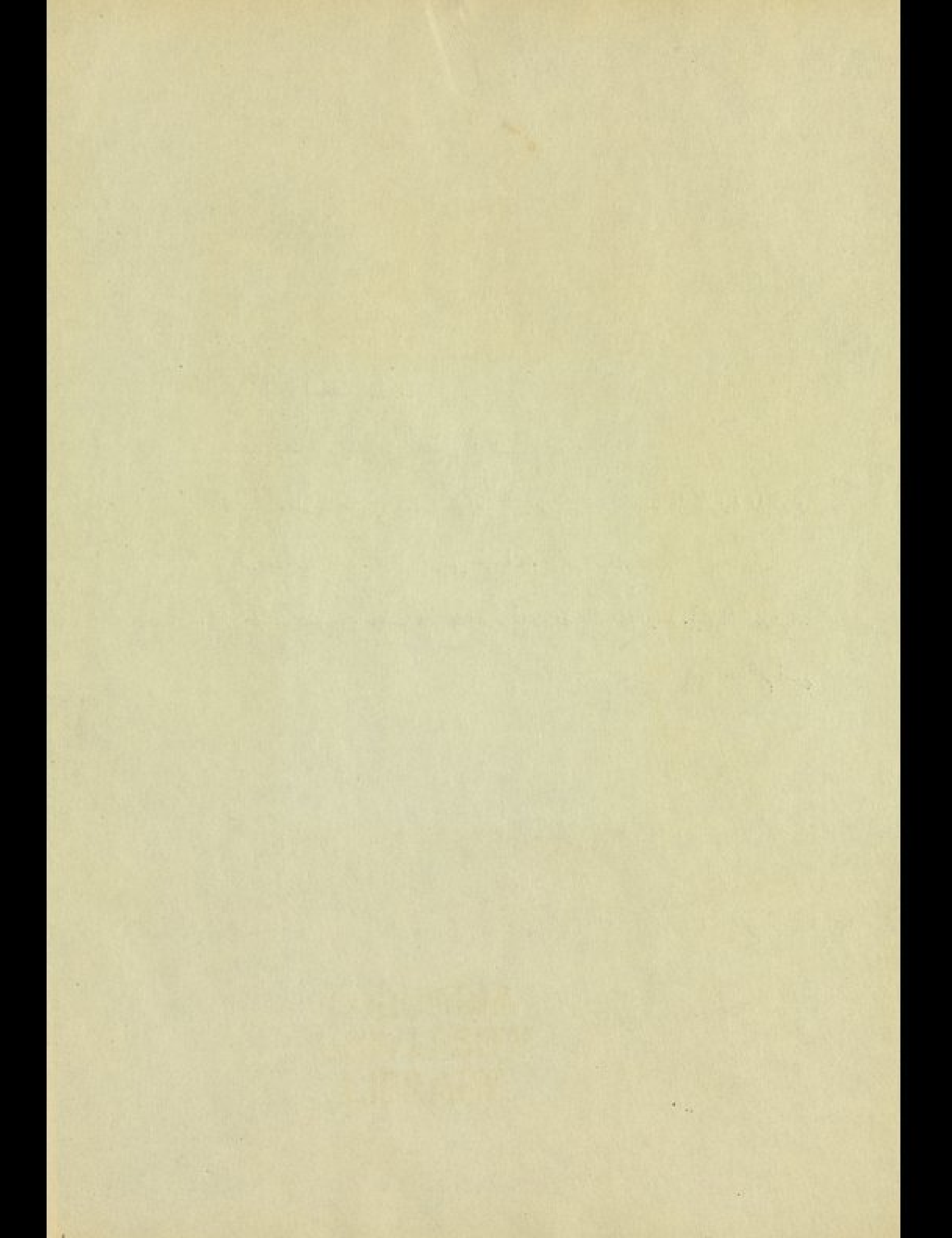
... وهذه ثمرة فارسية من ثمرات دراستى الشرقية التى من أجلها بعثتنى الى لندن ثم الى ايران

... اذا تقدمتُ بها اليك ، فانما الغرس غرسك ، والثمر ثمرك

... واذا تفضلتَ بقبولها ، توجتَ بفضلك الجديد قائمة أفضالك التى لا تعد وأياديك التى لا تجحد

ابراهيم أمين





محتويات الكتاب

الباب الثالث : أغانى شيراز

مقدمة

بقلم

حضرة صاحب العزة الأستاذ الجليل الدكتور طه حسين بك

وهذه طرفة أخرى نفيسة رائعة ، يسعدني أن أطرف بها قراء العربية لأنها ستمتعهم من جهة ، ولأنها ستزيد ثروة الأدب العربي من جهة أخرى ، ولأنها بعد ذلك ستثير فى نفوس كثير منهم ألوانا من التفكير المنتج وفنونا من الشعور الخصب ، ولعلها أن تفتح لبعض الشباب أبوابا فى الحس والشعور والتفكير لم تفتح لهم من قبل .

وهذه الطرفة هى « ديوان حافظ الشيرازى » قد نقله من الفارسية إلى العربية الدكتور ابراهيم أمين .

ولست فى حاجة إلى أن أتحدث عما ينبغى من العناية بالصلة بين الأدب العربى والفارسى ، أو بعبارة أصح ، باستئناف الصلة بين الأدب العربى والفارسى ؛ فهذا موضوع قد أكثرت القول فيه ، ووفقت بعد طول الالحاح فى القول والعمل إلى بعض ما كنت أرجو من الفوز ، وإنه لعظيم . فنى أقل من ربع قرن ظهر فى حياتنا الأدبية رجال ممتازون يعنون بهذه الصلة عناية ممتازة ، ويظهرون فى أدبنا العربى الحديث آثاراً فارسية بارعة ، يسلكون فى ذلك سبل القدماء من أدباء المسلمين فى القرون الأولى ، ولم أنس بعد ذلك الامتحان التاريخى الذى نوقش فيه زميلى وصديقى الدكتور عبد الوهاب عزام فى رسالته التى كان يقدمها إلى كلية الآداب عن « الشاهنامه للفردوسى » وما نتج عن هذه الرسالة من أحياء الترجمة العربية لهذه القصيدة الخالدة وإكمالها وتحقيقها وتفسيرها وإضافتها ثروة جديدة قيمة إلى أدبنا العربى الفنى . كان هذا نتيجة لدرس اللغة الفارسية والأدب الفارسى فى كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول منذ استؤنف تنظيمها سنة ١٩٢٥ ، ثم تتابع التوفيق وتوالى النجح فظهر بين شبابنا الجامعى نفر ممتازون عنوا بالأدب الفارسى عناية خاصة وأضافوا منه إلى أدبنا العربى طائفة صالحة من الآثار الخالدة .

وأنا أقدم الآن من هذه الآثار هذه الترجمة الجيلة الرائعة لزهرة الشعر الفارسى « ديوان حافظ » ، وفى نفسى كثير جداً من الغبطة وكثير جداً من الرضا وكثير جداً من الأمل ، بل كثير جداً من الثقة .

فليس قليلا أن نحاول صعاب الأمور فنظفر منها ببعض ما نريد ، أو نظفر منها بخير ما نريد . وقد حاولنا أن نغنى أدبنا العربى ، أو نزيده ثروة وغنى بإضافة الآداب الأخرى إليه فظفرنا من ذلك بهذا الذى نرى . وللذين يحبون التجنى ويطمئنون إلى العيب والإنكار أن يتجنوا ويعيبوا وينكروا ، ولكنهم لن يستطيعوا أن يجحدوا حقيقة واقعة وهى أن شباب كلية الآداب فى جامعة فؤاد الأول قد أهدوا إلى اللغة العربية وطلاب أدبها الحديث فى أقل من عشرين سنة « الشاهنامه للفردوسى » و « ديوان حافظ الشيرازى » وآثاراً أخرى قيمة أرجو أن أتحدث عنها فى وقت قريب حين أقدم إلى القراء بعض ما يهيأ الآن للنشر من هذه الآثار . ذلك إلى ما قدمه شباب كلية الآداب من آثار أخرى فى فروع أخرى من الأدب ، بعضها استخرج من الأدب العربى القديم ، وبعضها نقل من الآداب اليونانية القديمة ، وبعضها نقل من الآداب الأوروبية الحديثة .

وأنا بعيد كل البعد عن أن أكون قانعاً بما ظفرنا به وانتهينا إليه ، فليست القناعة فى الحياة العقلية من خصالى ، ولست أحبها لشبابنا الجامعيين ، ولكن من الخير أن نسجل بعض ما يتاح لنا من الفوز فى جهادنا هذا الشاق الخصيب الذى لا نزال فى أول عهده والذى لن ينتهى ، لأن الجهاد فى الحياة العقلية لا نهاية له .

وأخرى تملأ نفسى غبطة ورضا ، وهى أنك ستقرأ فى هذا الكتاب تاريخ «حافظ» وتعرف مكانته فى بلاد الفرس ، وستقرأ تاريخ ديوانه وتعرف عناية الشرق والغرب به ، وسترى إلى أى حد كلف به الناس فى الهند وتركيا ، وإلى أى حد كلف به الناس فى أوروبا الحديثة ، وسترى أنه ترجم إلى اللغات الأوروبية الكبرى وأحدث فيها آثاراً أدبية باقية . فكان مما يؤلم حقاً أن ينقل هذا الديوان إلى اللغات الألمانية والفرنسية والإنجليزية ، ويؤثر فى الذين يتكلمون هذه اللغات ولا يعرف قراء اللغة العربية عنه شيئاً . فإظهار هذا الديوان فى لغتنا العربية الآن بجهد شاب من شبابنا الجامعيين يزيل هذه الوصمة ، وهو فيما أرجو سيشجع الشبان على أن يذهبوا مذهب الدكتور ابراهيم أمين ، فيبذل كل منهم ما يستطيع من الجهد ليضيف إلى ثروتنا الأدبية ما يستطيع أن يضيف إليها من روائع الآداب الأجنبية .

فقد انقضى الوقت الذى كان الناس يؤمنون فيه بأن الأدب العربى غنى بنفسه لا يحتاج إلى أن تمده الآداب الأخرى بما فيها من قوة وروعة وجمال ، وأظلنا بفضل الحياة الجامعية عصر جديد آمن فيه المثقفون بأن الحياة العقلية أخذ وعطاء ، وبأن الأدب العربى لم يعرف العزلة والاستغناء بالنفس إلا فى أوقات الضعف والانحطاط ، فأما فى أوقات القوة والرقى فقد كان يأخذ ويعطى ، وهو الآن فى وقت من أوقات قوته ورقيه ، وهو الآن يأخذ ويعطى كما كان يفعل أيام العباسيين .

والدكتور إبراهيم أمين مترجم « حافظ » شاب جامعى بأدق معانى هذه الكلمة ، أقبل على درس الآداب العربية واللغات الشرقية فى كلية الآداب ، فلما ظفر بأجازة الليسانس ارتحل إلى إنجلترا ليتم

درس الفارسية ، ثم عاد فأخذ يعلم هذه اللغة وآدابها حيث تعلمها . ثم لم يطمئن إلى ما حصل فارتحل إلى بلاد الفرس نفسها وقتاً وعاش عيشة القوم ، وطلب لغتهم وأدبهم فى بلادهم ، ثم رجع إلى مصر فمضى فيما كان فيه من التعليم والبحث والإنتاج ، حتى تقدم فى السنة الماضية برسالة عن حافظ إلى كلية الآداب نال بها درجة الدكتوراه ، وستظهر للقراء فى وقت قريب . وبينما كان يدرس حافظاً استعداداً للامتحان أخذ فى ترجمة شعره فكان جهده مثمراً للعلم والأدب جميعاً . فأما العلماء الاخصائيون فسيقرأون دراسته لحافظ ومذاهبه فى الشعر ، وأما الأدباء والمثقفون فسيجدون المتعة الأدبية فى هذا الديوان الذى أقدمه إليهم الآن .

وليس طبع الكتب فى هذه الأيام بالشىء السهل فالورق نادر مرتفع الثمن — وأى شىء لم يرتفع ثمنه فى هذه الأيام — والعلماء فى جميع أقطار الأرض وفى مصر خاصة لا يملكون من المال ما يمكنهم من نشر ما ينتجون فى مثل هذه الأوقات العصيبة ، ومع ذلك طبعت هذه الترجمة وقدمت إلى القراء لأن مصر بحمد الله لم تخل ممن يحبون الأدب ويؤثرون العلم ويعينون على إذاعتهما . وقد كان لحضرة صاحب المعالى الأستاذ عبد العزيز فهمى باشا الفضل فى إظهار كتاب لأحد الشبان الجامعيين فى العام الماضى ، فلأسجل مغتبطاً أن لمعاليه الفضل فى إظهار هذا الديوان . فإذا حمدت للدكتور ابراهيم أمين جهده الشاق فى البحث والدرس والترجمة ، فمن الحق علىّ أن أحمد لمعالى عبد العزيز باشا فهمى فضله الذى أعفى هذا الديوان من الانتظار إلى أن تنتهى الحرب ويتاح المال الذى يسمح بنشره على الناس . وما دام فى مصر شباب يعملون وشيوخ يؤيدون العاملين ، فمن حق مصر أن تحتفظ بالأمل الواسع الباسم فى حياة راقية ومستقبل سعيد .

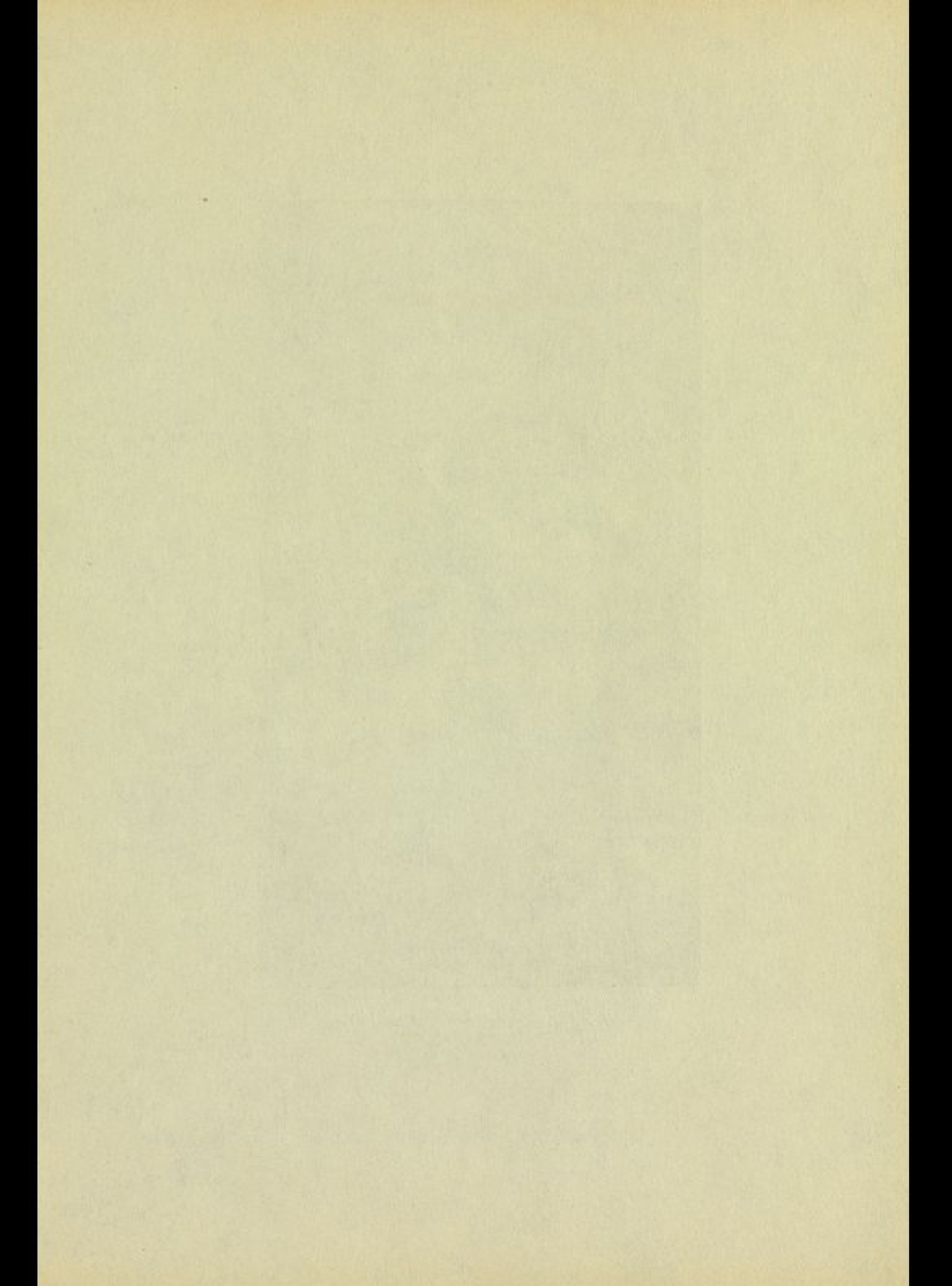
١٢ فبراير سنة ١٩٤٤ — طه حسين

گرم از دست برخیزد که با دلدار بنشینم
زجام وصل می نوشم ، زباغ عیش گل چینم
شراب تلخ صوفی سوز بنیادم بخواهد برد
لبم بر لب نه ای ساقی وبستان جان شیرینم
رموز عشق وسر مستی ز من بشنو نه از حافظ
که با جام وقدح هر شب ندیم ماه وپروینم

(من الغزل رقم ٣٥٧)



[حافظ الشيرازي كما تخيله المصور الألماني فوير باخ]



الباب الأول

حافظ الشيرازى

فى القرن الثامن الهجرى ، كان يعيش فى شيراز شاعر يتغنى بالحب والجمال ؛
وكان الوادى من حوله يدوّى بوقع الأسنة والسيوف وصخب الجيوش والرجال ؛
ولكن أقواله كانت تتجاوب فتملأ القلوب بالحب والآمال ؛
حتى لقد تستمع إلى نبراتها الخافتة تناديه فى ضراعة وابتهال :

تعال انظم لنا غزلا ، وهبْ نظمه دررا — فقد نَظَمتْ لك الأبراجُ فى عقد ثرياها

وكان هذا الشاعر يعرف شغف القوم به وبشعره فيبعث إليهم ذوب نفسه وفيض حسه ، وقد صاغهما أقوالا جميلة ، أقل ما توصف به أنها أهازيج الشعر فى أبراج الفلك تغنيها آلهة الشعر والخيال ، مضت ترتلها فى فضاء الكون كلمات اصداؤها السحر الحلال ، ومضى الإلهام يرجعها على مرّ الحقب وكرّ الأجيال ، أصوات سائغات حملت ما فى النفس من أمان وآمال ، همسات خافتات تردد بعث الحب وسحر الجمال ، وحيا تتلقفه الأسماع فى وجد وروعة وجلال :

بسود الهدب حدثنى ، طمعتَ بغمزها دينى — تعال الآن خلصنى ، فسحر العين يشقينى
قرينَ القلب ! لا كانت مواتيةً ودانيةً — سويعاتٌ ، أرى نفسى وشوق لا يواتينى
ومجد العالم الباق ، فداء الخلّ والساق — وملك العالمين فدىً لعشقٍ كاد يضنينى
ولو بدلى رأى خيراً له غيرى ، فما عملى — حرام لو أبدّله بروحى تلك أو دينى
«صباح الخير» أسمَعُها فأين الكأسُ يا ساق — خمار الليل فى رأسى وخمرك تلك تشفينى
وليلة رحلتى أغدو إلى قصر به حور — إذا أسلمتُ أنفاسى وكنتَ معى تواسينى
حديث الشوق جمّعه «كتابُ العمر» فأسمعه — وما نقصا به أخشى ، و«حافظُ» كان يُمْلينى

(ترجمة الغزل ٣٢٤)

الشاعر

هذا الشاعر هو شمس الدين محمد ، المعروف بـ «خواجه[1] حافظ الشيرازى» ، والملقب بـ «لسان الغيب

---

(١) تنطق فى الفارسية بإهمال الواو كما لو كانت « خاجه » بتفخيم الألف واشباعها .

وترجمان الأسرار » ، شاعر الشعراء فى القرن الثامن الهجرى ، وشاعر الشعراء فى إيران إلى يومنا هذا .

كان أبوه « بهاء الدين » يشتغل بالتجارة فى شيراز . وكان أصله فيما يقولون أصفهانيا أقام فى شيراز وتزوج بها فأنجب ثلاثة أولاد ، كان أصغرهم « شمس الدين محمد »

وتوفى « بهاء الدين » واجتمع أولاده الثلاثة حول أمهم فظلوا فى سعة من العيش ؛ ثم فرقت بينهم الأيام ، وذهب كل واحد منهم مذهبه فاختل معاشهم واضطربت حالهم . وبقى شمس الدين وحده مع أمه فأصابهما عسر وضيق فى الرزق مما اضطر الأم إلى أن تدفع بولدها الصغير إلى واحد من أهل محلتها ليتولاه برعايته ويقوم على تربيته

خباز وشاعر

وظل شمس الدين مع راعيه فترة من الزمن ، ثم هرب منه لما لاحظه على سيده من سوء المعاملة وسوء الخلق ، واشتغل خبازاً « خميرگير » ؛ فكان يستيقظ كعادة الخبازين فى نصف الليل ويقوم بعمله إلى الفجر ، ثم يشتغل بالعبادة بعد فراغه من أعماله ، فإذا ارتفعت الشمس فى السماء ، توجه إلى مدرسة بالقرب منه فقضى فيها قدراً من أوقات فراغه فى الدرس والتحصيل ، وكان يقتصد جزءاً من أجره اليومى يدفعه إلى معلمه أجراً لتعليمه ، حتى استطاع أن يكمل القرآن حفظاً وأصبح يلقب بعد ذلك بـ « الحافظ » ، وهو اللقب الذى اختاره فيما بعد « تخلصا » عرف به فى أشعاره

وكان يجاور خلال ذلك أحد البزازين الشعراء ، وكان يدلف إليه أحيانا فيستمع إلى أشعاره ، وكأنما شاقه ذلك إلى إنشاء الشعر وإنشاده فبدأ يقول أبياتاً لم تصادف شيئاً من الإعجاب أو التوفيق ، وكانت سبباً فى الاستهزاء والاستخفاف به . وهنا نصل إلى قصة عجيبة فى تاريخ حافظ ، فقد ورد عنه أنه فى هذه الفترة أيضاً كان يتعشق فتاة تعرف باسم « شاخ نبات » ، وأنه كان يعرض لها فتعرض عنه ، فدفعه هذا الحب الفاشل كما دفعه اخفاقه فى قرض الشعر إلى أن يختار العزلة والاعتكاف ، فاختار ضريحا إلى شمال شيراز يعرف بضريح « بابا كوهى » فلزمه أربعين يوما يتقرب فيها إلى الله بالدعاء والضراعة

فلما كاد يكمل أيام عزلته ، زاره هنالك — كما يقولون — الإمام على وأطعمه طعاما سماويا ، ولقنه غزله المعروف :

دوش وقت سحر از غصه نجاتم دادند	واندر آن ظلمت شب آب حياتم دادند
بيخود از شعشعهٔ پرتو ذاتم كردند	باده از جام تجلى صفاتم دادند
چه مبارك سحرى بود وچه فرخنده شبى	آنشب قدر كه اين تازه براتم دادند

(من الغزل ١٣٢)

ومعناه : ليلة أمس ، فى وقت السحر ، أعطونى النجاة من الألم والويل
وناولونى ماء الحياة ، وسط هذه الظلمات من الليل

— فأخرجونى عن نفسى ، بما انبث من ضياء ذاته
وناولونى خمراً فى جام يتجلى فيها بصفاته
— فيا له من سحر مبارك ويا لها من ليلة سعيدة !!
ليلة القدر هذه التى منحونى فيها البراءة الجديدة

ثم خبره الساقى بعد ذلك أنه سيكون شاعراً ذا شأن وأنه سيكون مؤيداً بتأييدات من عالم الغيب !

وتستمر القصة بعد ذلك فتقول إن الأمور تيسرت له بعد هذه العزلة فأسلس له الشعر قياده ، وأسلست له « شاخ نبات » من قيادها فأقبل عليهما ، ولكنه اضطر إلى الابتعاد عن معشوقته عند ما تذكر قسمه فى الخلوة بأن يكون زاهداً معرضاً عن متع الحياة

وسواء صدق الرواة فيما رووه من أمر هـذه القصة أو لم يصدقوا فهى لا تخلو من متعة وفائدة ، لأنها تكشف لنا من غير شك عن فترة غير موفقة فى حياة حافظ حينما كان شابا متحفزا يريد أن يصل إلى بعض ما أدركه غيره من شهرة ومجد ، فإذا به يجد نفسه فى بداية الطريق قد باعده التوفيق ، والسبل متشعبة ، والطرائق مفترقة ، والآمال جامحة ، والمقاصد نازحة ، وهو ينوء تحت هذا كله وتحت ما ضمنته ضلوعه من آمال كبار ؛ ولكن نفسه الكبيرة تسمو ولا تخبو وتقدم ولا تحجم ، فإذا اختارت العزلة فترة فإنما لتنشد فيها الراحة التى يجدها المتعب المكدود الذى يريد أن يستلهم نفسه ويستوحى حسه ليخرج من عزلته مجدد العزم مطمئن النفس يحمل بين ضلوعه زاداً من الأمل ، إن لم يكن هو بعينه الطعام السماوى الذى يناوله على ، فلا أقل من أن يكون زاد الأيام الذى ينضج ألذ الأحلام ، ويحقق من الرجاء أشهاه ، ومن الطموح أحسنه وأحلاه

ولقد حققت الضراعة الرجاء ، واستجابت العناية لحرارة النداء ، فخرج حافظ من « زاويته » ينشد من الأشعار الجميلة ما فتن أهل بلدته وأهل إيران كلها ، وما جعله بعد ذلك يفخر فى حرارة واطمئنان بأنه لم ير بين حفظة القرآن من جمع مثله لطائف الحكماء مع أحكام القرآن :

ز حافظان جهان كس چو بنده جمع نكرد   لطائف حكما با كتاب قرآنى

وبأنه لم ير أجمل من شعره ، قسما بالقرآن الذى يكنه فى صدره :

نديدم خوشتر از شعر تو حافظ   بقرآنى كه تو در سينه دارى

لسان الغيب وترجمان الأسرار

والظاهر أن أقوال حافظ راجت رواجا لا نظير له واستحسنها الناس استحسانا قلما قابلوا به أقوال غيره من الشعراء فأخذوا فى ترديدها وترتيلها ، وراقتهم تلك المعانى الجميلة التى احتوتها أبياته وتضمنتها عباراته ووجدوها معجزة تقصر الألسنة عن أداء مثلها ، وتعجز الأفئدة عن سبكها وقولها ، فأخذوا

يلقبونه بـ « لسان الغيب وترجمان الأسرار » . ولعل اقتران هـذا اللقب باسم حافظ ثبت له أثناء حياته أو بعد موته بقليل فإن « جامى » الذى عاش فى القرن التالى لعصر حافظ مباشرة لقبه بهذا اللقب فى كتابيه « نفحات الانس » و « بهارستان » ، وعلل هـذه التسمية بأن أشعار حافظ خالية من التكلف والاضطراب .

وليس من شك فى أن القوم وجدوا فى أشعار حافظ تلك الأمانى العذبة التى تجول فى النفس ، وقد صورها لهم فى أحسن الصور ، وعبر لهم عنها فى أعذب النبرات فبدأوا يرفعونه إلى مرتبة فيها شىء من التقديس والاجلال ، كما يفعل العامة عادة فى إعجابهم بالبطولة والإبطال ، فلقبوه بهذا اللقب الذى ثبت له عن جدارة واستحقاق ، وكان هو نفسه يعرف أن أشعاره تهزهم هزاً عنيفاً يطربهم أشد الطرب فيجترىء على أن يقول :

بشعر حافظ شيراز مى رقصند وى غلطند   سيه چشمان كشميرى وتركان سمرقندى

ومعنــاه : بشعر حافظ شيراز يرقص فى سرور وهناء
أتراك « سمرقند » وأهل « كشمير » أصحاب العيون السوداء

شاعر ومدرس

وكانت أشعار حافظ تتردد فى الآفاق على ألسنة تلاميـذه الذين كانوا يحضرون دروسه فى مدرسة يقولون أن « خواجه قوام الدين محمد » الذى تولى الوزارة للشاه شجاع فى سنة ٧٦٠هـ هو الذى أسسها وأسند فيها منصب الأستاذية لحافظ بعـد ما ذاع صيته فى قول الشعر وإنشاد القصيد ، فكان التلاميذ يجتمعون حول حافظ فيدرس لهم « كشاف الزمخشرى » فى التفسير ، و « مصباح المطرزى » فى النحو ، و « طوالع الأنوار » فى الحكمة والتوحيد ، و « مفتاح العلوم » فى الأدب ، حتى إذا فرغ من دروسه أو أراد الراحة قليلا ، أسمعهم شيئاً من شعره كانوا يستطيبونه فيستوعبونه ، ثم يأخذون بعـد ذلك فى ترديده فى المحافل والمجالس فيسرى بين الناس ويتلقفه العام والخاص

والظاهر أن حافظا ظل بقية حياته يقوم بالتدريس فى هذه المدرسة ، وكان يجد فيها متعة لنفسه عما يظفر فيها من نشر لدروسه ونشر لأشعاره وتعاليمه ، ولـكنه كان يحس أحيانا بشىء من الملل والضجر يحسه لتلاميذه ولـكتبه ولجدران المدرسة أيضاً ، فتنعكس آثار ذلك فى قصائده التى يتبرم فيها من « الدرس والبحث » و « الاشتغال بكشف الـكشاف » و « قيل المدرسة وقالها » و « العلوم الظاهرة » و « مجالسة العلماء الذين لا عمل لهم »

بل لقد يتبرم بمهنة التدريس هـذه التى اختارها لنفسه فيشكو منها ومن أنها لا تدر عليه من الرزق

إلا النزر اليسير ، وأن أجره خاضع لتقلبات الزمان والحكام ، فأحياناً يصل إليه كاملا ويدفع إليه عاجلا وأحياناً تنتقص حدوده ويمتنع وروده

وإشاراته التى أشار بها إلى هذه المعانى كانت جميلة رقيقة فهى لا تبلغ مبلغ الشكوى والبكاء ولا مبلغ الإلحاح فى الطلب والرجاء ؛ وإنما هى إشارة شاردة ربما شاء بها التذكير بعسره والإقرار بفقره ، وربما كانت زفرة من زفرات المحروم ينفس بها عن قلبه المكلوم ، وربما كانت سخرية من عصره الملىء بالاحداث والشرور ، واستهانة بأمر هذا المرتب الذى لم يكن ليستعبده إذا دفع إليه أو يبكيه إذا منع عنه

عصر حافظ

والواقع أن العصر الذى عاش فيه حافظ اضطره إلى أن يكون لطيفا فى كل شىء ، وأملى عليه نوعاً من الحكمة جعلته يرتفع بنفسه الكبيرة عن دنايا دنياه ، فيتأنق فى عباراته وتفكيره وفى بيانه وتصوره ، وفى كل شىء تكون له صلة بالناس أو صلة بالحكام وأصحاب الأمر . فقد كان العصر الذى عاش فيه عصراً مضطرباً أشد الاضطراب ، وقعت فيه شيراز فى أيدى جملة من الحكام عاصرهم حافظ جميعاً فرأى تطاحنهم وتنازعهم ، ورآهم مقبلين أو مدبرين ، ورأى الضعيف والعاتى ، والهين والقاسى ، والمتكبر الصلف ، والمغرور فى ضعف ، والمأخوذ فى تيه ، والضال فى بواديه ؛ ولكنه كان ينظر إليهم جميعاً نظرة المتفرج الذى لا يهمه من السياسة شىء ، والذى لا ينفعه أو يضيره فوز الفائز أو خيبة الخائب ، والذى ربما أحس فى قرارة نفسه بأن حكام عصره ليسوا إلا جماعة من الرجال أفسدتهم المطامع ، ولعبت بهم الأغراض والنوازع ، فتبعوا أهواءهم واستبدت بهم شهواتهم وطغت عليهم نزعاتهم ، فالتمسوا ما يطلبون بكافة الطرق واستباحوا لأنفسهم سائر الوسائل التى توصلهم إلى السلطة والجاه والشوكة والعظمة

رآهم ينقضون العهد إذا كان فى نقض العهد فائدة لهم ، ورآهم يخلفون الوعد إذا كان فى خلف الوعد نفع لهم ، ورآهم يحبسون الآباء ويقتلون الأبناء ويسملون الأعين ويعدمون الأخوة ، إذا كان فى كل ذلك ما يبعث الرهبة والخوف والوجل أو ما يحقق الرغبة والهدف والأمل

ولم يكن يعنيه من تلك الأمور شىء لأنه كان أكبر منها جميعاً ؛ وربما أحس لها فى قرارة نفسه بشىء من الاحتقار والازدراء ، وربما ضنّ على نفسه أيضا أن يصبح — بواسطتها — هدفا لإحقاد الطامعين المتنافسين ، فاستقبلهم جميعاً وودعهم جميعاً وتحت شفته ابتسامة سخرية تستتر ولا تبين ، ولكن وميضها لامع وبصيصها ساطع

وما شأنه بهم وهم فى أغلب الأحيان أقارب فرقت بينهم الأغراض والمآرب ؟! وما ذنبه معهم وهو رجل علم وزهد وهم طلاب مكانة ومجد ؟! وما دخله بهم وهو رجل يقين وعرفان وهم رجال العتو والطغيان ؟! وما شأنه بهم وهو رجل قلب وفؤاد وهم جماعة الزيغ والعناد ؟!

أنهم لديه شر يجب على النفس الأبية أن تستقبله إذا حل ، وأن تودعه إذا رحل ، وأن تتمسك خلال ذلك بالحكمة والحزم ، وأن تعتصم بالصبر والعزم ، وأن ترجو من الله أن يكشف الغمة إذا ألمت وأن ييسر الأمور إذا أزمت :

وراحة الأمانى تفسيرها يدريه ... من للصديق تمنى وللعدو دارى
آسايش دوگيتى تفسير اين دو حرفست ... با دوستان مروت با دشمنان مدارا

***

وقد استطاع حافظ بهذه الخطة التى انتهجها لنفسه أن يكون صديقا لجميع الحكام والأمراء الذين حكموا أو سكنوا بلدته شيراز ، فاتصل فى شبابه بجماعة من أسرة اينجو أشهرهم « جلال الدين مسعود شاه اينجو » و« شاه غياث الدين كيخسرو اينجو » و « شاه شيخ جمال الدين أبو إسحق اينجو » ؛ وكان على ما يظهر شديد الاتصال بالأخير منهم حتى إذا دالت دولته على يد « مبارز الدين محمد بن المظفر » لم ير حافظ بأسا أو بدا من أن يستقبل الحاكم الجديد وأن يرضى به ، فهو إن لم يكن خيراً من سابقه فلن يكون شراً منه ، فأقنع نفسه بالرضى عنه فعاش معه هادئا آمنا مسالما ، حتى إذا دارت عليه دورة الفلك وانقلبت عليه الأمور ، وقبض عليه أولاده واقتسموا أملاكه ، استقبل الحكام الجدد من أولاده وذريته الواحد بعد الآخر ، فلم يفضل واحداً على واحد ، أو مقبلا على مدبر ، أو غالباً على مغلوب ، بل كان فى كل ذلك حازما كيسا بعيد النظر لا يتبع إلا ما تمليه عليه قواعد اللياقة والكياسة وسلامة الرأى



حافظ وأبو إسحق اينجو — نقلا عن مخطوط بالمتحف البريطانى

ومن أجل هذا النهج الحازم الذى اختاره ، استطاع أن يبعد نفسه عن تنافر المتنافرين وتنافس المتنافسين ، فوردت فى أشعاره إشارات كثيرة لأغلب « آل المظفر » الذين إذا ذكروا بشىء كان فى طليعة ما يذكرون به هذا التطاحن العائلى الذى امتاز به حكمهم والذى أودى بهم جميعاً حينما ظهر « تيمور » فاجتزهم من جذورهم وخلص الناس من شرورهم . . .

ولولا أن حافظاً أمضى أيام رجولته وكهولته بين هؤلاء ، لما كان لهم كثير من الشأن أو الذكر ولطوى التاريخ صفحاته عليهم واكتفى القارئ بأن يمر على أخبارهم مجملا فى غير تريث ، ثم يصفهم بعد ذلك فى كلمتين موجزتين بأنهم « أسرة نكدة الحال مفككة الأوصال »

وقد كنا نود أن تكون إشارته إلى هؤلاء الحكام صريحة لا مواربة فيها ، فقد كانت فى هذه الحالة تساعدنا على تأريخ عدد من غزلياته وترتيبها ترتيباً زمنياً معقولا ، ولكنه للأسف فضل أن يتبع طريقته فى ذكر هؤلاء ، فكان يكتفى بالتلميح حيث يلزم التصريح ، وكان يكنى بالإشارة حين تستوجب العبارة . وكان يقول ما يريد فى صيغة رمزية يفهمها أهل عصره الذين كانوا يعرفون دقائق الحوادث فيدركون مقاصده ، والذين كانوا يقفون أولا بأول على ما يقع من أمور فى بلدتهم فيعرفون معانيه ومداركه ، والذين كان لديهم من العلم بالظروف المحيطة بهم ما يجعل التلميح فى مثابة التصريح ، والإشارة العابرة فى منزلة القول الفصيح

بل أن هناك من يقول إن حافظا لم يكن يجسر على القول صراحة بسبب اضطراب عصره ، وكان يخشى أن يصرح بأسماء من يتحدث عنهم خشية أن تتغير الأحوال فيصبح الغالب مغلوبا ، والفائز منكوبا أو يصبح الضعيف قويا ، والمهين جباراً عتيا

وقالوا إنه من أجل ذلك اختار أن يشير إلى من يمدحه بأنه « حبيب » و « معشوق » و « صديق » ، كما كان يشير إلى من يكرهه بأنه « رقيب بغيض » و « خصم عنيد » و « عدو غير شفيق »

ومع ذلك كله فهناك جملة من الحوادث أشار فيها حافظ صراحة إلى جماعة من حكام عصره تناولناها بالبحث ، واستطعنا أن نثبت فيها كيف كانت تنعكس إصداء عصره فى أشعاره ، وكيف كان يتأنق فى تصوير الأحداث دون أن يعبث بها أو يتناساها أو يخل بمعناها ونحواها [1]

غير أن أشعاره هذه التى أشار فيها إلى حكام عصره والتى تناولناها فى خمس فصول تبين علاقة الشاعر بـ « أبى إسحق اينجو » ، ثم بـ « مبارز الدين محمد » ، ثم بابنه « الشاه شجاع » ، ثم بوزراء شيراز ، ثم بالسنين الأخيرة من حياته التى عاصر فيها البقية الباقية من « آل المظفر » الذين قضى عليهم بعد قليل « تيمور » فى غارته الثانية على شيراز ؛ كل هذه الأشعار وإن كانت جميلة من ناحية دلالتها التاريخية وترتيبها الزمنى ، إلا أنها ليست شيئاً بالمقارنة إلى أشعاره التى تتمثل فيها فكرته الإنسانية التى جعلها عماداً لأشعاره فى جملتها ، وأساساً لفلسفة يمكن أن نسميها فلسفة حافظية خالصة

---

(١) تناولت هذه الموضوعات بالبحث المستفيض فى رسالتى عن « حافظ الشيرازى ، شاعر الغناء والغزل فى إيران » وهى الرسالة التى حصلت بها على درجة الدكتوراه فى الآداب وسأنشرها قريباً

فلسفة حافظ

هذه الفلسفة الحافظية تتمثل فى موضوعات حافظ التى تغنى بها فى سائر أشعاره ، وفى هذا الضرب من الشعر الذى برع فيه خاصة وعرف باسم « الغزل » أو « الغزليات » ؛ فقد جعل مواضيعه فى هذه الغزليات مواضيع النفس الظامئة إلى الحب الصادية إلى قطرة من شراب ترتوى به ، المولهة بحبيب جميل تهدأ إليه ، المتطلعة إلى فيض من وجد تحس فيه بمتعة اللقاء وحرارة التمنى ورقة الوصال ، المشغوفة بالطبيعة وما فيها من آيات بينات يستطيع أن يتذوقها من وصل إلى نبعها الطاهر فتجرع منه ما يروى غلته ويشفى رغبته ، الناظرة إلى بصيص من نور يكشف لها الدياجى والدياجير ويخرجها إلى النهار المشمس المنير

كان يتغنى بالشباب إلى الشباب فيذكرهم بالربيع الناضر يتضوع بأريج الورد العاطر ، والبلبل الولهان يترنم على الأفنان ، والنسيم الرطيب يحمل رسالة الحبيب ، والخمر الصافية تروى القلوب الصادية ، والشراب المذاب يديره الساقى بالأمانى العذاب ، والمطرب الجميل مضى فى الدعاء والترتيل ، وخدّ الحبيب يدعوك إلى قبله ، وعينه إلى غمزة ، وثغره إلى رشفة ، وقده إلى ضمة ، وشعره إلى شمة ، فإذا أقبل عليك فملك مباهج الحياة وما بها من متع عذاب ، وإن أفلت منك فدونك الوجد والشوق والوله واللوعة والهيام والعذاب

وكان يتغنى أيضاً للمشيب بأشعار المشيب ، فيحدثهم عن لطف الأزل الذى هو مصدر لكل جمال وحسن ، وعن فائدة الرضا والقناعة والهدوء والطاعة دون أن يوحى إليهم بقنوط أو يأس ، ودون أن يوصد عليهم باب الأمل وأمانى النفس

الحياة عنه تفيض ولا تغيض ، تتقد ولا تخبو ، تزدهر ولا تذوى ، روضة مورقة لن يصيبها ذبول ، وشمس متألقة ليس لها أفول ، وصباح باسم جماله لا يزول

وآلام الحياة عبء تتغلب عليه بالصبر والأناة ، فحذار من الضجر والسأم ، وحذار أن تزل بك القدم ، فالهوة بعيدة عميقة والواقعة رهيبة دقيقة

وحذار من النفاق والرياء ، فإثم الصراحة خير من مداجاة الأدنياء ؛ والاعتراف بالتقصير خير من التماس المعاذير ؛ وأنا إنسان كسائر الناس أخطئ وأصيب ، ولكنى لا ألجأ إلى الألاعيب والأكاذيب ؛ ولكنى أدل الناس على حسناتى لا أستطيع أن أنكر سيئاتى ؛ وأنا مثلهم أحب وأحيى ، وأسعد وأشقى ، وأتطلع إلى معين لا ينضب ، وإلى شمس لا تغرب ؛ فإذا شربت ففى غير خفاء ، وإذا تعبدت وتهجدت ففى غير إعلان وخيلاء ؛ فدعنى إذن أصارحك القول بأنى عاشق عابث عربيد ، ولكنى مع ذلك خير بكثير ممن يدعون الصلاح والتقوى والزهد الشديد :

— وما عساك تقول عن العار وشهرتى مستمدة من العار والشنار ! !
وماذا تطلب من الشهرة وعارى من بعد الصيت والاشتهار ! !

— ونحن إذا كنا نشرب الخمر ، سكارى ، نعربد ، لا نغض الأبصار
فأى شخص ليس حاله كحالنا فى هذه المدينة والديار ؟!

(من الغزل ٤٤)

فإذا فهمت حالى وعفوت عنى فادن منى لكى أهمس فى أذنيك ببعض ما أفكر فيه ، ولكى أعترف لك بما لم أنكره على غيرك ، فإنك متى فهمتنى أصبحت من الأطهار الأخيار ، وأصبحت عندى محرما لما خفى من الأسرار ، وأمكننى أن أقول لك فى وضح النهار :

مضى قلبى على حالٍ ، وعنه الآن لا يرجعْ ... بحب الغانيات البيض لم يهدأ ولم يقنعْ
بربّى منك لا تنصح ، فتلك الكأس والصهبا ... حديثى فيهما دوما ، فزدنى منهما أسمع
ويا ساق ألا أقبل ، وناولنى ولا تمهل ... دهاقا لونها وردٌ كضوء الخدّ إذ يسطَع
وكأس الخمر هل أحسو على سرٍ بلا جهر ؟! ... فيا بؤساً ! إذا أودت بنا « نار الريا » أجمع
فطوّحْ خرقتى واهناً فإن « الشيخ » أفتانى ... بأنّ الدلق لا يكفى لكأس واحد تُقرع
وذوب النفس يسمو بى إلى كأسٍ مصفّاة ... كما تسمو بنا الكأسُ إلى الصفو الذى تجمع
لماذا قلتَ لى : أغمضْ ، ولا تقربْ لها وِرداً ... ألاَ فاذهب وباعدنى ، فوعظى اليوم لا ينفع
أتهدبنى أنا العربيد ! دع حكم القضا عنى ! ... وخذ كأسا ، فضيق القلب بالصهباء قد تدفع
ضحكتُ الآن فى بؤسى ، وصرتُ الشمع فى جمعٍ ... لسانى ناره تعلو ، ونورى فيه لا يسطع
وما أحلاه من صيد ، فؤادى ذاك فانزعه ... فأحلىٰ منه لن تلق طيور الوحش فى بلقع
وإنى دائم الحاجات والمعشوق مستغنٍ ... فهل بالسحر أبغيه وفيه السحر لا يصنع
فخذ منى كـ« ذى القرنين » مرآتى وطوّحْها ... إلى نارٍ لتجلوها إذا لم تصفُ أو تلمع
أنا الدرويش فارحمنى أيا ربى ! فلا أدرى ... سوى ذا الباب أبغيه ، وأنت القصد والمطمع
وزادت حيرتى لما رأيتُ العذبَ من شعرى ... ولم أجمع به مالا ، وحتى الشكر لم أسمع !!

(ترجمة الغزل ١٨٠)

موضوعات حافظ

ومن حسن الحظ أنه يمكننا أن نحدد موضوعات حافظ التى تغنى بها فى غزلياته وسائر أشعاره ، بهذه الموضوعات الثلاثة التى كان أول من أدركها « الشاه شجاع المظفرى » حينما اعترضه يوماً وقال له :

« إن غزلياتك لا تجرى على منوال واحد ولا تصاغ على نمط واحد ، بل كل واحدة منها تشتمل على بعض الأبيات فى الشراب ، وبعض الأبيات فى التصوف ، والبعض الآخر فى وصف الأحبة »

فقد أصاب « الشاه شجاع » فى تحديد هـذه الموضوعات التى جعلها حافظ مداراً لأحاديثه وأغانيه ، والتى كان لا يمل ترديدها وترجيعها ، والتى بقيت ممتعة لم يسأم معاصروه سماعها ، ولم يسأم خلفه وأعقابه وعيها ، ولم نسأم نحن على بعد العهد بيننا وبينه أن نقف منها موقف المعجب بالفن الذى لا يعرفه وطن ولا يحدده زمن :

— وعجيب ذلك الشعر كيف يطوى بيداء الزمان والمكان !!
وهو طفل لما يبلغ الليلة الأولى من عمره ولكنه يطوف ويعمر إلى آخر الزمان !!

وهل أجمل إلينا من أن نستمع إليه وهو يحدثنا عن « نفسه الصادية » التى لم يرقها من زمانها ما امتلأ به من رياء ونفاق ، فأخذت تتغنى بالطيبة الحقة وبالصلاح الحق ، وبالتقوى الصحيحة والإيمان الصادق ، وأخذت تدفع عن النفوس ما أصابها من ضيم جلبه إليها الرياء والنفاق ، وما أدركها من شر ألحقه بها الزهد المصطنع والتعفف الكاذب

فإذا فرغ من موضوعه هذا غناك بـ « الحب والشباب » فأثار النفوس إلى محبوب جميل تجد المتعة فى محادثته وحواره ، والراحة فى ملازمته والهدوء إلى جواره ، واللذة فيما يبدى من حسنه وجماله ، والرقة فيما تدرك من عناقه ووصاله

فإذا أحس لواعج الشوق تتقد فى صدرك ، وحرارة الوجد تستعر بين ضلوعك أخذ يغنيك بـ « الخمر والشراب » ، فقدم إليك كأساً مزاجها الطرب والمرح ، ودعاك بشربها إلى البهجة والفرح ، ثم سألك بعد ذلك أن تغسل بها الصدأ الذى علا مرآة القلب ، وسبب لك الحزن والكرب ، وأعاد على مسمعك أبياته الجميلة :

أيامنا الدوانى خرافة الأمانى ... الغنم فيها قربى من الحبيب دارا
فى روضة غنت لى ، عنادلٌ أشجتنى ... «هات الصبوح هيا ياأيها السكارى»
فالخمر إن أسموها : أم الخبائث طرا ... «أشهى لنا وأحلى من قبلة العذارى»
أيامنا إن ضاقت ، نحسو بها البواقى ... فهذه أكسير يُضحى الفتى جبارا
لا تقتربْ لعتابى ، والخمر ملء ثيابى ... يا شيخنا المتقىّ ! أبغِ لنا الأعذارا

(ترجمة الغزل ١٠)

***

وأنا لا أود أن أنساق فى بيان موضوعات حافظ أكثر من ذلك فالحديث فيها لا ينتهى ، وقد خصصت الجزء الرابع من رسالتى عن حافظ لهذه الموضوعات ؛ وليتنى أستطيع أن أقول — بعد كل ما ذكرته فى الرسالة وفى هذه الكلمة الموجزة — أننى انتهيت من حافظ وموضوعاته ، فقد حدثنا الشاعر الألمانى « جوته » فى « ديوانه الشرقى الغربى » ، بأن المشتغل بحافظ لا يستطيع أن يفرغ منه ، وأن القارئ لشعره لا يستطيع أن يتحول عنه ، فقال مخاطبا شاعر إيران :

أنت يا « حافظ » لا تؤذن بانتهاء، وهذه عظمتك

ولا عهد لك بابتداء، وهذه قسمتك

وشعرك كالفلك يدور على نفسه بدايته ونهايته سيان

وما يرد فى وسطه يرد فيما هو لاحق أو سابق بأجلى بيان

إنك نبع الشعر الذى يصل بالأمانى إلى الأوج

فإذا هى فيض فى أثر فيض، وموج فى أثر موج

وإذا الفم نزّاع للتقبيل؛ وأغنية الصدر جديرة بالترتيل

والحنجرة صادية عطشى إلى الشراب؛ والقلب طيب يفيض بالآمال العذاب

خاتمة الحياة

وآخر ما يروونه من أمر حافظ أنه عند وفاته أراد جماعة من رجال الدين أن يمتنعوا عن تشييع جنازته، وقالوا أنه متهم فى دينه مطعون عليه فى عقيدته، فجادلهم قوم آخرون فيما ذهبوا إليه من اتهام وطعن، ثم احتكموا بعد ذلك إلى أشعاره فكتبوا بعضها على جزازات من الورق، ثم اقترعوا على هذه القصاصات فوقعت القرعة على البيت الأخير من الغزل ٤٨ ونصه:

قدم دريغ مـــدار از جنازهٔ حافظ   كه گرچه غرق گناهست ميرود به بهشت

ومعنــــاه: لا تؤخر قدمك أو تتردد عن جنازة حافظ

فهو غريق فى الآثم ولكنه ذاهب إلى الجنة

وعند ذلك آمن العلماء بأن حافظا جدير بجنازة المسلمين ومقابرهم فدفنوه فى « روضة المصلى » التى كان يحبها ويتعشقها أثناء حياته، وأصبح قبره بعد ذلك يعرف فى شيراز باسم « الحافظية » أو « بارگاه حافظ » . وقد أمر بتجديد بنائه « أبو القاسم بابر بهادر » أحد أحفاد تيمورلنك — حينما تيسر له فتح شيراز فى سنة ست وخمسين وثمانمائة (٨٥٦ هـ — ١٤٥٢ م) . فلما كانت سنة (١٢٢٦ هـ — ١٨١١م) أدخل عليه « كريم خان زند » كثيراً من التحسين والتجميل ووضع اللوحة الرخامية الجميلة الموضوعة على القبر . فلما تولى « الشاه رضا پهلوى » العرش أمر بتجميل «الحافظية» من جديد، وكان من حسن حظى أن شاهدت جانبا من هذا التجميل فى خريف سنة ١٩٣٨ عند ما كنت فى زيارة قصيرة لشيراز حججت فيها أكثر من مرة إلى الحافظية التى ما زالت مكانا له احترامه وتقديره عند الشيرازيين الذين لا يعتبرونها مقبرة شاعر فحسب، بل يرفعون الشاعر إلى مرتبة القديسين، كما يرفعون قبره إلى أضرحة الأولياء والصلحاء

وعلى قبر حافظ غزلية جميلة من غزلياته ، مطلعها :

مژدهٔ وصل تو کو کز سر جان بر خیزم　　طایر قدسم واز دام جهان بر خیزم

(غزل رقم ٣٧٢)

وترجمتها العربية الكاملة :

— أين بشرى وصالك حتى أهب من رقادى للقائك ، فأنا طائر القدس أفلتُّ من شباك الدنيا على ندائك

— وبحبي لك ، لو أنك دعوتني الخادم الأمين ، لصحوتُ وأنا سيد الأكوان على دعائك

— فيا رب ، أدركني بغيث من سحب الهداية ، قبلما أهب حفنة من التراب محرومة من آلائك

— واجلس على تربتي ومعك المطرب والشراب ، حتى أهب من لحدى — طمعاً فيك — راقصا على نغماتك

— ثم قم أيها الصنم الجميل ، وأرني قدّك وخفة حركاتك ، فإنني عند ذلك أهب راغبا فى الحياة مصفقا لبهائك

— فإن كنتُ عجوزاً ، فضمّني ليلة إلى صدرك وضيّق علىّ العناق ، فإنني فى وقت السحر ، أهب غضّ الإهاب من ضمّاتك

— ثم أمنحني مهلة ، أرَك فيها يوم الممات والرحيل ، فقد أستطيع كحافظ ، أن أهب راغبا فى الحياة للقائك



قبر حافظ

وتشتمل الحافظية فيما تشتمل ، على بهو من الرخام أنيق المنظر دقيق الصنع مرفوع على أعمدة رخامية وسط حديقة جميلة ، وقد توجوا إفريزه العلوى بغزلية حافظ الرائعة التى مطلعها :

چو بشنوی سخن أهل دل مگو که خطاست　　سخن شناس نهٔ ، دلبرا ، خطا ز ینجاست

ومعناها نظما بالعربية :

إذا ما استمعتَ لأهل القلوب فحاذر تصفهم بقول العيوب
فإنك لستَ الخبيرَ المرجىَّ بسرّ الضلوع وسرّ القلوب
فإنى بقيتُ عزيزا كريما ، ولم أحنِ رأسى لدنيا الذنوب
فبورك رأسى ، وما فيه يجرى ، إلى يوم أقضِى ورأسى طروب
ولست لأدرى وقلبى جريحٌ طويةَ نفسى إذا ما تذوب
فإنى صموتٌ كثيرُ السكوت وها تلك منى تطيل النحيب
وها ذاك قلبى تعدّى الحجابَ فأين المغنّى بقول يطيب
تعالَ فحدّثْ ، وزدنى كلاما ، فقولك ذلك قول لبيب
ولم يك شُغلى بتلك الحياة أمورَ الحياة وشغلَ الرقيب
فوجه الحياة جميل التمنى إذا كان فيه حديث القلوب
وتلك الليالى مضت بخيالى على الرغم منى بسرٍ رهيب
خُمارى برأسى وسرّى بنفسى فأين الشراب النقى الرطيب
تعالَ إلى فإنى الحبيسُ دمائى تُلطّخ دَيْرى الحبيب
وأسرعْ إلىّ بدَنّ الشراب فطهّرْ وجودى فأنت المصيب
لئن كنتُ عند المجوس عزيزا فما ذاك إلاّ لأمرٍ عجيب
فها ذاك قلبى بنار المجوس تلظّى حريقا بحرّ اللهيب
وذاك المغنّى تغنّى طويلا بقول جميل فصيح أريب :
« ألا فامضِ عمرى فراسى ملىءٌ بحب بعيد وحب قريب »
وأمس أتانى حديثُ الأمانى بشوق جديد وحب غريب
فأحيَ فؤادى بصوت ينادى : « ألا فامض عنى فأنت الحبيب »

(ترجمة الغزلية ٨٥)



« كتاب الشوق » أملاه « حديث العمر » فاسمعه

وما نقصاً به أخشى ، وقلبي كان يمليـــنى

الباب الثانى

ديوان حافظ الشيرازى

الفصل الأول : طبعات الديوان الشرقية والغربية

الفصل الثانى : ترجمة الديوان إلى اللغات الأجنبية

الشروح التركية — التراجم الأوروبية

الفصل الثالث : ترجمتى العربية لديوان حافظ الشيرازى

الفصل الأول

ديوان حافظ ـــ طبعاته الغربية والشرقية

النسخ الموجودة من « ديوان حافظ » فى الشرق والغرب لا يمكن أن يحصيها عد أو حصر : والمخطوط من ديوانه يكثر كثرة قلما تشاهد فى ديوان شاعر آخر ؛ ولأمر ما يزداد غرام الشرق باقتناء نسخة مخطوطة من ديوان حافظ ، ولأمر ما اشتغل الخطاطون بإنتاج هذه النسخ واستمروا فى إنتاجها إلى اليوم حتى فى عصرنا هذا الذى ازدهرت فيه الطباعة ، وأخرجت من الكتب كل منمق ومنسق

وكثرة المخطوط من هذا الديوان ، واختلاف الأعصر التى كتبت فيها هذه المخطوطات ، كل ذلك استدعى اختلافات كثيرة وقعت فى نصوص الديوان ، وتناولت مفرداته فغيرت فيها أو بدلت ، كما تناولت محتوياته فزادت فيها أو أنقصت

واستتبع ذلك أيضاً أنه حينما جاء عصر الطباعة اختلفت النسخ المطبوعة من الديوان باختلاف نسخ الأصل وباختلاف أماكن الطباعة وعناية الطابعين

نسخة سودى البوسنوى

وأفضل نسخة مطبوعة من الديوان وأكثرها قبولا لدينا هى النسخة التى يرجع أصلها إلى القرن الخامس عشر أو السادس عشر الميلادى ، والتى نحن مدينون بها للشارح البوسنوى «سودى» الذى شرح حافظاً باللغة التركية ، ونشره فى القرن السابع عشر الميلادى

ونسخة سودى هذه تحتوى على ٦٩٣ منظومة بيانها كالآتى :

٥٧٣	من الغزليات	٦٩	من الرباعيات	٢	من القصائد
٤٢	من المقطعات	٦	من المثنويات	١	من المخمسات

وقد عم الأخذ بهذه النسخة فى أوروبا وفى الشرق خصوصاً بعد ما طبع الديوان وفقاً لها مرتين فى ألمانيا والنمسا ، وأربع مرات أو أكثر فى تركيا وثلاث مرات فى مصر ومرة واحدة على الأقل فى بلاد الهند

نسخة بروكهاوس

وأول مرة طبع فيها ديوان حافظ فى الغرب كانت فى مدينة « ليبزج » فيما بين سنتى ١٨٥٤ — ١٨٥٦ م ، فقد تمكن Hermann Brockhaus من أن يطبع الديوان برمته فى جزئين كبيرين تحت عنوان : "Die Lieder Des Hafis", Liepzig 1854 — 1856 ، اشتمل الجزء الأول منهما على مقدمة باللغة الألمانية تتعلق بحافظ وديوانه وعلى ثمانين غزلية بأصلها الفارسى مصحوبة بالشرح التركى الذى قام به « سودى » . وأما الجزء الثانى فيشتمل على بقية الديوان بأصله الفارسى دون سواه وفقا لنسخة « سودى » التى حدثتك عنها فيما سبق

نسخة روزنزويج

وفى السنوات العشر التالية لظهور الجزء الأول من نسخة بروكهاوس فى « ليبزج » أى فيما بين سنة ١٨٥٤ وسنة ١٨٦٤ نشر روزنزويج Rosenzweig فى مدينة «ڤينا» نسخة أخرى لديوان حافظ ، اعتمد فيها أيضاً على النص الذى نشره « سودى » فجاءت مطابقة إلى حد كبير لنسخة بروكهاوس ، وإن كانت تمتاز عنها بأنها اشتملت بالإضافة إلى النص الفارسى على ترجمة ألمانية منظومة لجميع الديوان

وتقع هذه النسخة فى ثلاث مجلدات تحت عنوان :

"Der Diwan des Grossen Lyrischen Dichters Hafiz" Wien, 1858 — 1864.

نسخة جاريت

وفى سنة ١٨٨١ نشر Major H. S. Jarrett فى مدينة كلكتا « ديوان حافظ » تحت إشراف حكومة الهند ، واعتمد فى نشره على نسخة «سودى» وعلى نسختين خطيّتين إحداهما بدون تاريخ والأخرى بتاريخ سنة ١٠٩٣ هـ . وقد جاءت نسخته هذه مطابقة لنسخة بروكهاوس ، وبمعنى آخر لنسخة سودى البوسنوى ، وإن كانت تختلف عنها قليلا فى كونها تشتمل على أربعة وأربعين غزلا رأى سودى حذفها من ديوان حافظ لعدم ثبوتها له على وجه اليقين

طبعات أخرى

وقد طبع الديوان أكثر من مرة فى تركيا ومصر والهند وإيران ؛ وفيما يلى وصف موجز لمختلف طبعاته فى هذه البلاد :

الطبعات التركية

النسخ التركية التى وقعت فى يدى من ديوان حافظ خمس كلها مطبوعة فى مدينة استانبول :

١ — ديوان حافظ سنة ١٢٥٥ هـ

وهو عبارة عن ٢٥٩ صحيفة ، متوسطة الحجم . طبع فى استانبول سنة ١٢٥٥ هـ ، وسجل تاريخ طبعه فى الصحيفة الأخيرة منه بهذه العبارة :

« طبع شد اين ديوان بلاغتعنوان در مطبعهٔ باب حضرت سر عسكرية فى سنة ١٢٥٥ هجرية »

٢ — ديوان حافظ سنة ١٢٨٩ هـ

وهذه النسخة أيضاً عبارة عن ٢٥٩ صحيفة ، طبعت « فى مطبعة الحاج عثمان زكى در وزير خانى ، ربيع الأول سنة ١٢٨٩ هـ »

٣ — ديوان حافظ سنة ١٢٩٠ هـ

وهذه النسخة أيضاً عبارة عن ٢٥٩ من الصحائف المساوية فى حجمها لصحائف النسختين السابقتين وقد سجل الطابع فى نهايتها تاريخ طبعها بهذه العبارة :

« طبع شد اين ديوان بلاغتعنوان در مطبعة الحاج عزت وعلى بك فى سنة ١٢٩٠ هـ »

وهذه النسخ التركية الثلاث متفقة كما رأيت فى عدد صفحاتها وترقيمها ، كما هى متفقة في ترتيب الغزليات مما يشهد بأنها جميعها منسوخة عن أصل واحد ، أو أن كل واحدة منها نسخة مطابقة تمام المطابقة للنسخة التى سبقتها .

وهى تشتمل على ٦٧١ منظومة بيانها كالآتى :

٥٦٣	من الغزليات	٥	من المثنويات
٣٢	من المقطعات	٢	من القصائد
٦٨	من الرباعيات	١	من المخمسات

ولو أنك رقمت غزلياتها لوجدت أنها تكاد تتفق فى ترتيبها مع نسخة سودى أو بروكهاوس ، وإن كانت غزلياتها الأخيرة تختلف أرقامها نقصاً عن هاتين من ١ — ١٠ بسبب النقص الذى حدث فى عدد الغزليات

٤ — شرح سودى لديوان حافظ

بالإضافة إلى هذه النسخ السابقة طبع ديوان حافظ مرة أخرى فى استانبول فى المطبعة العامرة فى سنة ١٢٨٦ هـ ، ولكنه كان فى هذه المرة مزوداً بشرح سودى باللغة التركية

٥ — شرح ديوان حافظ للسيد محمد وهبي القونيوى

ثم طبع الديوان مرة أخرى فى تركيا فى « المطبعة العامرة » فى سنة ١٢٨٨ هجرية ، وكان فى هذه المرة يشتمل على شرحين باللغة التركية لأشعار حافظ

أما الشرح الأول منهما فلأحد مشايخ الطريقة المولوية المعروف بمحمد وهبي بن سيد حسن الأشعرى القنوى

وأما الشرح الثانى فليس إلا شرح سودى بعينه ، وقد أورده طابع الكتاب على هامشه

ويقع هذا الشرح مع الأصل فى جزئين كبيرين ، اشتمل الجزء الأول منهما على ٧٦٨ من الصفحات تنتهى بالغزليات المقفاة بحرف الدال ، وأما الجزء الثانى فيشتمل على بقية الديوان ، وعدد صفحاته مساو لصفحات الجزء الأول

الطبعات المصرية

طبع ديوان حافظ فى مصر ثلاث مرات :

١ — شرح ديوان حافظ لسودى سنة ١٢٥٠ هـ

كانت أولى هذه المرات حينما أتمت مطبعة بولاق فى سنة ١٢٥٠هـ طبع الشرح التركى الذى قام به سودى البوسنوى مع النص الفارسى للديوان ، وقد وقع هذا الشرح فى ثلاث مجلدات كبيرة جرى الشارح فيها على أن يذكر بيتاً من الأصل ، ثم يتبعه بترجمته التركية مفسرا ما يكون هنالك من ألفاظ وتراكيب ، ثم يختم ذلك كله بذكر « محصول البيت » كما فهمه ، وقد يذكر بعض الشواهد تدليلا على رأيه أو يكتفى فى بعض المواضع بالمعنى الاجمالى للبيت

والجزء الأول من هذه الطبعة يشتمل على ١٥٥ من الغزليات التى فى بداية الديوان ، ويقع فى ٤١١ من الصفحات

وأما الجزء الثانى فيشتمل على ٢٢٨ من الغزليات تنتهى بالغزل الرقيم ٣٨٣ ، ويقع فى ٤٥٥ من الصفحات .
والجزء الثالث والأخير يشتمل على بقية الديوان ، ويقع فى ٤٦٤ صحيفة ، جاء فى نهايتها ما يلى :
« وكان تمام طبعه فى يوم السبت المبارك الرابع والعشرين من شهر ربيع الثانى سنة خمسين ومائتين وألف ، من هجرة من له العز والشرف ، عليه الصلاة والسلام وعلى آله وصحبه الكرام . إلا أن المجلد الأول ومائة وعشرين صحيفة من الثانى طبع فى مطبعة ولى النعم التى بالاسكندرية بتصحيح

الفاضل عزيز أفندى . وأما باقيه فبمطبعة ولى النعم الكبرى التى ببولاق بتصحيح أحمد أفندى ، تلميذ العلامة اللوذعى والفهامة الألمعى ، الحافظ الشيخ محمد مراد أفندى ، الذى كان فى تقرير عوارف المعارف يعيد ويبدى ، بتكية مراد ملا الكائنة ببازار چهار شنبه ، أمدنا الله بامداده ، وسلك الدنيا بنا قويم رشاده »

٢ — ديوان حافظ طبع بولاق سنة ١٢٥٦ هـ

ثم طبع ديوان حافظ لأول مرة فى مصر بدون شرح أو تعليق فى سنة ١٢٥٦هـ ، فوقع فى أربعة وثمانين ومائتين من الصحائف المتوسطة الحجم المطبوعة على الحجر ، جاءت فى آخرها هذه العبارة :

« وكان تمام طبعه بدار الطباعة الباهرة ، الكائنة ببولاق مصر القاهرة ملحوظا بعين عناية ناظرها السنى المراتب ، حضرة حسين أفندى الملقب براتب ، ومشمولا برعاية رئيس مصححيها المفتقر إلى ألطاف ربه الصمد ، المدعو بالشريف حمد ، على ذمة محمد كامل أفندى فى غرة جمادى الآخر سنة ست وخمسين ومائتين بعد الألف من هجرة خاتم الرسل الكرام صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه المكملين بكماله »

ولما كانت هذه النسخة تتفق تماما مع النسخة التالية فإنى سأحدثك عنهما بعد قليل حديثاً واحداً ينطبق عليهما فى كل التفاصيل

٣ — ديوان حافظ طبع بولاق سنة ١٢٨١ هـ

هذه الطبعة كسابقتها بدون شرح أو تعليق ، وهى تتفق مع سابقتها فى كل شىء حتى فى ترقيم الصفحات وفى عددها وطريقة طبعها . ولو لم يذكروا فى نهايتها تاريخ طبعها لظن من يتناولها أنها نسخة طبق الأصل من النسخة المطبوعة قبل ربع قرن من الزمان فى سنة ١٢٥٦ هـ

فهى مثلها وفى نفس حجمها تقع فى أربع وثمانين ومائتين من الصفحات المتوسطة . تتشابه محتويات كل صحيفة منها مع الصحيفة المقابلة لها فى النسخة السابقة ، أو تفترق عنها افتراقا يسيراً لا تكاد تلاحظه لتفاهته وقلة أهميته

وقد جاء فى الصحيفة الأخيرة منها أنه : « كان تمام طبعه بدار الطباعة الباهرة الكائنة ببولاق مصر القاهرة ، تعلق المستعين بربه المعيد المبدى ، عبد الرحمن بك رشدى ، ملحوظاً برعاية الموكل بإدارتها ، وحسن نضارتها ، من عليه لسان الصدق يثنى ، حسين افندى حسنى ، بمعرفة مصححه راجى عفو ربه عما مضى وما يأتى مصطفى افندى مستى ، وذلك فى أواخر محرم سنة ١٢٨١ من هجرة خير الأنام عليه وعلى آله أفضل السلام »

وهذه النسخة وسابقتها ليس لها مقدمة ، وتحتوى الواحدة منهما على ٦٩٣ منظومة بيانها كما يلى :

٥٧٣	غزليات	٤٢	مقطعات	٦٩	رباعيات
٦	مثنويات	٢	قصيدتان	١	مخمس

والنسختان مطبوعتان على الحجر وينقصهما الترقيم

وقد لاحظت أن الغزليات واردة بهاتين النسختين وفقاً لنسخة سودى أو بروكهاوس وبترتيبهما تماما .
ولكن — لكى توجد المطابقة التامة فى ترقيم غزليات نسختى بولاق مع نسخة بروكهاوس — يجب ملاحظة ، أنه فى بداية ص ١٤٢ بعد السطر الأول منها ، يجب فصل الغزلية التى مطلعها :

سحر ز هاتف غيبم رسيد مژده بگوش　　　كه دور شاه شجاعست مى دلير بنوش

عن سابقتها التى تتفق معها فى نفس القافية . فإذا أعطيت لهذه الغزلية رقم « ٣٢٧ » ، وجدت المطابقة تامة بين نسختى بولاق مع النسخ التالية :

١ — شرح سودى لديوان حافظ
٢ — نسخة بروكهاوس طبع ليزج سنة ١٨٥٤ م
٣ — نسخة روزنزويج طبع ڤينا سنة ١٨٥٤ — ١٨٦٤ م
٤ — نسخة Jarrett طبع كلكتا سنة ١٨٨١ م
٥ — شرح محمد وهبى لديوان حافظ طبع استانبول سنة ١٢٨٨ هـ

طبعات الهند

تمتاز طبعات الهند عما عداها من الطبعات بمقدمة تقع فى تسع صحائف كتبها فيما يقال أحد تلاميذ حافظ الذى كان يحضر مجلسه ويستمع إلى درسه ، وكان يعرف باسم « محمد گلندام » وهو نفسه الذى جمع لنا شعر حافظ فيما تروى الأخبار ، وكما أخبرنا هو فى نهاية مقدمته القصيرة لهذا الديوان

وتمتاز أيضاً طبعات الهند بشىء آخر يتصل بترتيب الديوان وتبويبه ، فقد شاهدنا فيما سبق من نسخ أنها جميعها تتفق فى إيراد الغزليات فى البداية ، ثم المقطعات فالرباعيات فالمثنويات فالقصائد ثم تنتهى بالمخمس . ولكننا نرى هذا الترتيب يختلف فى نسخ الهند ، فهى كلها تتفق على إيراد القصائد فى البداية ثم تتبعها بالغزليات ، فإذا فرغت من ذلك ذكرت لنا قطعة من النوع الذى يعرف بـ « تركيب بند » ثم قطعة أخرى من النوع الذى يعرف بـ « ترجيع بند » ثم المثنويات ثم المقطعات ثم المخمس ثم الرباعيات

فتكون محتويات الديوان ٧١٥ منظومة على هذا النحو :

٦	قصائد	١	ترجيع بند	١	مخمس
٥٨٤	غزلية	٣	مثنويات	٧٧	رباعية
١	تركيب بند	٤٢	مقطعات		

وطبعات الديوان فى الهند أكثرها على الحجر وعلى ورق غير صقيل انفردت به مطبوعات الهند عامة حتى السنين الأخيرة ، وربما كان ذلك من مستلزمات الطباعة على الحجر

والديوان فيما أعرف طبع فى الهند مراراً عديدة ، وفيما يلى قائمة ليست على سبيل الحصر لهذه الطبعات :

ا — طبعات مدينة كلكتا

١ — طبع أبى طالب خان سنة ١٧٩١ م
٢ — إعادة طبع النسخة السابقة « ١٨٢٦ م
٣ — نسخة أخرى على الحجر « ١٨٢٦ م
٤ — نسخة مع شرح لفتح على « ١٨٥٨ م
٥ — نسخة جاريت « ١٨٨١ م

ب — طبعات بمباى

٦ — نسخة طبع حجر سنة ١٨٢٨ م
٧ — نسخة أخرى « ١٨٤١ م
٨ — نسخة طبع « كارخانه كنبت را و كرشناجى » سنة ١٢٦٧ م
٩ — نسخة أخرى كالسابقة سنة ١٢٧٧ هـ
١٠ — طبع مطبعة حيدرى « ١٣٠٠ هـ / ١٨٤١ م
١١ — غزليات حافظ مع تعليقات Taskar سنة ١٨٨٧ م
١٢ — طبع مطبعة جعفرى « ١٣١٢ هـ
١٣ — طبع مطبعة كريمى « ١٣٢٩ هـ

حـ — طبعات لكنو

١٤ — نسخة طبع حجر سنة ١٢٨٣ هـ
١٥ — نسخة أخرى « ١٢٨٥ هـ
١٦ — « « « ١٨٧٦ م
١٧ — « « « ١٨٧٩ م
١٨ — « « « ١٨٨٣ م
١٩ — غزليات حافظ مع شرح لمولانا محمد صادق على سنة ١٨٧٦ م
٢٠ — إعادة طبع النسخة السابقة سنة ١٨٨٦ م

د — طبعات دهلى

٢١ — نسخة تاريخها سنة ١٢٦٩ هـ
٢٢ — نسخة أخرى تاريخها « ١٨٨٤ م
٢٣ — « « « « ١٨٨٨ م

هـ — طبعات أخرى

٢٤ — نسخة على الحجر طبع كونپور سنة ١٨٣١ م
٢٥ — نسخة على الحجر طبع لاهور سنة ١٨٨٨ م

وهذه القائمة اعتمدت فيها على ما أورده Ethé فى فهرست المخطوطات الفارسية بمكتبة إدارة الهند ، وفيما أورده Clarke فى مقدمته للترجمة الإنجليزية للديوان

أما ما أمكننى الاطلاع عليه منها فلم يزد على خمس نسخ ، إحداها نسخة بغير تاريخ موجودة بمكتبة الجامعة تحت رقم ١٣٦ فارسى ثم النسخ الرقيمة ٨ ، ١٠ ، ١٢ ، ١٣ من هذه القائمة ، وعليها اعتمدت فى مقارنة النسخ الهندية بغيرها من طبعات الديوان

طبعات إيران

الطبعات الإيرانية لديوان حافظ قليلة بالنسبة لشهرة الشاعر ومكانته ، ولعل السبب فى ذلك يرجع إلى الأمور التالية :

أولا : اعتدادهم بأقوال حافظ اعتداداً رفعه إلى مرتبة التقديس ، ووصفهم له بـ « لسان الغيب » ، و « ترجمان الأسرار » جعلهم يتنافسون فى اقتناء النسخ الخطية منه مما شجع الخطاطين على إنتاج نسخ قيمة مكتوبة بخط فارسى جميل ، ومحلاة بأبدع النقوش المذهبة مما لا تستطيع أن تنتجه آلة الطباعة

ثانياً : اعتماد القراء على ما كان يطبع من كتب فارسية فى تركيا أو فى الهند وخصوصاً فى الأخيرة منهما حيث ينتجون الكتب الرخيصة التى تكون فى متناول الجميع

ثالثاً : تأخر فن الطباعة فى إيران حتى السنوات الأخيرة حينما بدأت النهضة فى جميع النواحى العلمية فى أيام الشاه السابق رضا پهلوى

والذى وصلت إليه بعد البحث هو أن الديوان طبع فى إيران الطبعات التالية :

١ — تبريز سنة ١٢٥٧ﻫ طبع حجر
٢ — طهران سنة ١٢٥٨ﻫ طبع حجر
٣ — مشهد سنة ١٢٦٢ﻫ طبع حجر
٤ — تبريز سنة ١٢٧٤ﻫ طبع حجر
٥ — تبريز سنة ١٢٨٢ﻫ طبع حجر وهى عبارة عن مختارات من الديوان طبعت فى مطبعة كربلائى عبد الحسين ، وتقع فى ٧٧ صحيفة
٦ — طهران سنة ١٣٠٦ هجرى شمسى . . طبع السيد عبد الرحمن خلخالى

وهذه النسخة الأخيرة وسابقتها هما ما أمكنني رؤيته من الطبعات الإيرانية ، وإن كنت أذكر أيضاً أنني رأيت أثناء وجودي في طهران سنة ١٩٣٨ نسخة أخرى جميلة لديوان حافظ مطبوعة في طهران لم أتمكن للأسف من الحصول على نسخة منها لسهو واستعجال

كذلك أصدرت وزارة المعارف الإيرانية طبعة حديثة لديوان حافظ اشترك في إخراجها الأستاذان الجليلان آقاى محمد قزويني والدكتور قاسم غنى ، ولكنني للأسف أيضاً لم أستطع الاطلاع عليها بسبب الظروف العالمية في الوقت الحاضر

النسخة التي نقلتها الى العربية

ونسخة طهران سنة ١٣٠٦ هي التي اعتمدت عليها في ترجمتي لديوان حافظ إلى اللغة العربية . وهي تقع في ٢٧٥ من الصفحات المتوسطة الحجم ؛ يضاف إليها ثمانون صحيفة أخرى اشتملت على لواحق للديوان رأى الناشر أن يلحقها به

والناشر هو « السيد عبد الرحيم خلخالي » وقد صدّر نسخته بمقدمة له تحتوى على ٣٤ صحيفة لا تدخل في عداد الصفحات التي ذكرناها فيما سبق

قال السيد عبد الرحيم خلخالي في مقدمته : « كان ولا يزال عندى شغف كبير مفرط بقراءة ديوان حافظ ، وحب زائد لجمع النسخ الخطية والمطبوعة من هذا الديوان ، ولقد وقع في يدى على مدى السنين ثلاثون نسخة مخطوطة أو مطبوعة منه ، وبمراجعتها ومقابلتها صادفت كثيراً من الاختلاف بينها ، فاجتهدت في الإكثار من النسخ على أمل أن تقع في يدىّ نسخة جامعة خالية من الحشو والزوائد ، ولكني كنت كلما أكثرت من عدد النسخ زاد الاختلاف والتفاوت بينها ، وقلما صادفتني نسخة انطبقت على نسخة أخرى . وأعجب من ذلك كله أن كل واحد من المحررين أو الناسخين أو الناشرين كان يدعى أن نسخته هي أفضل النسخ وأصحها إلى اليوم »

ثم قال في موضع آخر : « لقد امتنعت شخصياً بسبب ما قدمته لك من حديث عن التعرض لتصحيح غزليات حافظ أو تنقيح أشعاره بالاعتماد على الذوق الشخصي والقريحة الشخصية ؛ حتى وقعت في يدى في النهاية نسخة من ديوان حافظ يرجع تاريخ تدوينها إلى سنة ٨٢٧ الهجرية . أي بعد وفاة الشاعر بخمس وثلاثين أو ست وثلاثين سنة . ومن مقابلة هذه النسخة النفيسة بالنسخ الخطية والمطبوعة الأخرى ، اتضح لى ترجيحها على ما عداها من حيث الصحة والخلو من الحشو والزوائد ، ولقد وافقني على هذا الرأى كل من رأى هذه النسخة من أدباء هذا العصر وعلمائه ، كما شجعوني على طبعها ونشرها »

فإذا صح أن هذه النسخة التي نشرها « خلخالي » يرجع تاريخها حقيقة إلى سنة ٨٢٧ الهجرية ، فإنها تكون بغير شك أقدم النسخ الخطية من ديوان حافظ ، ويترتب على ذلك ضرورةُ وجوبِ الاعتماد

عليها فى الترجمة التى نحن مقبلون عليها ، بل ربما كان ذلك هو أهم الأسباب التى دعتنى فعلا إلى جعلها الأساس الذى بنيت عليه ترجمتى العربية لغزليات حافظ

صحيح أن النسخ التى أخذت عن سودى كانت جميلة حقاً ولكنها كانت لا تخلو من نقد ، وكان النقاد ينبهوننا من وقت إلى آخر إلى ضرورة الاعتماد فى نشر ديوان حافظ أو ترجمته على نسخة أخرى غيرها قريبة التاريخ من وقت وجود الشاعر أو وفاته . وكان Friedrich Veit عند حديثه على « محاكاة الشاعر الألمانى Graf Platen لقصائد حافظ[1] » يشير إلى ضرورة إيجاد نسخة كاملة يمكن الاعتماد عليها فى ترجمة ديوان حافظ . وكان يقترح من أجل ذلك الرجوع إلى المكاتب الأوربية حيث حدثنا أنه توجد بها نسخ للديوان لا يتعدى تاريخها السنة السبعين بعد وفاة حافظ ؛ وهذه المخطوطات نشأت فى فارس ، ولم يتيسر لسودى الذى كان يعيش فى الجزء الأوروبى من تركيا ، أن يراها أو يستفيد منها ، ونبهنا خاصة إلى المخطوط الموجود فى المكتبة الملكية فى ڤينا الذى كتب عام ١٤٥٥ ميلادية لحاكم شيراز التيمورى أبى القاسم بابر بهادر ، وكذلك نبهنا إلى المخطوط الموجود فى المتحف البريطانى الذى يرجع تاريخه إلى عام ١٤٥١ م ، ثم قرر أنه على إحدى هاتين النسختين أو واحدة تشبههما يجب الاعتماد فى نشر ديوان حافظ أو ترجمته

وأنا نفسى أحمد الله كثيراً أن هيأ لإيران واحداً من أبنائها استطاع أن يحقق رغبة هذا الأوروبى ، فنشر لنا هذه النسخة الفريدة من ديوان حافظ التى اعترف صراحة باطمئنانى إلى الاعتماد عليها فيما أقدمت عليه من عمل للأسباب الآتية :

أولا : أنه آن الأوان لأن نعتمد على الإيرانيين أنفسهم فيما يتعلق بآثارهم وآدابهم ، فهم أخبر الناس بها وأحرصهم عليها من افتئات الذوق الأجنبى ، ولقد تجمعت لهم سبل النهضة فى السنين الحديثة بحيث توفرت لديهم كل الميزات التى كانت تنقصهم

ثانياً : إن النسخة التى نشرها « خلخالى » أقدم من جميع النسخ المعروفة من ديوان حافظ . وقد أقرها أدباء هذا العصر من الإيرانيين ورأوا الأخذ بها ؛ فلا أقل من أن نطمئن إلى نظرتهم ، ومنهم أصحاب الرأى الصائب والنظر السليم

ثالثاً : إن موضوع ترجمتى فى هذه المجموعة ، ينحصر فى الغزليات التى تحتويها هذه النسخة ، والتى يبلغ عددها ٤٩٦ غزلية . وهذه الغزليات جميعها تكاد تكون موجودة فى سائر الطبعات المتمدة لهذا الديوان فيما عدا عدد قليل ليس موجوداً فى طبعات الهند ، وعدد آخر أقل منه لا يوجد فى طبعات استانبول

---

(١) انظر "Graf Platens Nachbildungen aus dem Diwan des Hafiz und ihr persichen original." Von : Friedrich Veit

وتشتمل نسخة طهران على ما يأتى :

٤٩٦	من الغزليات	٢٩	من المقطعات
٢	من المثنويات	٤٢	من الرباعيات

فهى بهذا تشتمل على ٥٦٩ منظومة من الشعر ، ترجمت منها « الغزليات » فى هذه المجموعة ، وأما باقيها فقد ترجمته فى أماكن متفرقة من رسالتى عن « حافظ الشيرازى شاعر الغناء والغزل فى إيران » .



الفصل الثانى

ترجمة الديوان إلى اللغات الأجنبية

الشروح التركية — التراجم الأوروبية

الشروح التركية

انتقل الإعجاب بحافظ من الشرق إلى الغرب ، وكانت تركيا أقرب هذا الغرب إلى إيران ، تربطهما روابط الدين والثقافة والأدب ، كما يربطهما التنافس الأزلى الذى يوجد بين الجارين العظيمين

وكما كان الفضل فى نشر رباعيات « عمر الخيام » فى الغرب يرجع إلى الشاعر الإنجليزى « فيتز جيرالد Fitzgerald » ، فكذلك كان الفضل فى نشر حافظ الشيرازى فى الغرب يرجع إلى تركيا وإلى جماعة من علمائها ظهروا فى القرن العاشر الهجرى أو السابع عشر الميلادى ، وعنوا بدراسة اللغة الفارسية وتدريسها ، كما عنوا بنشر الكتب الفارسية أو شرحها وترجمتها

وهنالك على الأقل أربعة من الشروح التركية على ديوان حافظ ، اشتهرت عما عسى أن يكون إلى جوارها من شروح :

أولا : شرح سودى

أول هذه الشروح وأكثرها قبولا هو الشرح الذى قام به سودى فى القرن العاشر الهجرى أو السابع عشر الميلادى وقد حدثتك حديثاً فيه الكفاية عن هذا الشرح وأخبرتك عند الكلام على « طبعات الديوان » (ص ١٧) أنه كان الأساس لنشرة متداولة معتمدة لديوان حافظ طبعت مرتين فى ألمانيا والنمسا ، وأربع مرات أو أكثر فى تركيا ، وثلاث مرات فى مصر ، ومرة واحدة على الأقل فى بلاد الهند

وسودى افندى الذى إليه يرجع هذا الفضل ، كان من أهل البوسنه ، وقد اشتغل باللغة الفارسية ، فأنتج لنا شروحاً باللغة التركية على الكتب الفارسية التالية :

١ — گلستان للشيخ سعدى

٢ — بوستان » »

٣ — المثنوى لجلال الدين الرومى

٤ — ديوان حافظ الشيرازى

وفى مقدمة النسخة المطبوعة من شرحه لكتاب « گلستان » طبع استانبول سنة ١٢٤٩ هـ ، نبذة قصيرة تعيننا على تعرف شيء من حياته ، نصها التركى كما يلى :

« مومئ إليه بوسنوى الأصل در ، قائد توفيق إيله تحصيل علم وكمال ايچون دور ممالك وكالاى ملكيه مالك أولدقدن صكره دار السلطنة ده طريق سعادت رفيق تدريسه بعد الدخول وظيفه' تقاعد ايله قناعت وعهد قديمده جنتمكان سلطان أحمد خان أول طاب ثراه حضرتلرينك جامع شريفلرى محلنه مشرف إبراهيم پاشاى قديمه منسوب اولوب بندگان خاص پادشاهى يه مأواى تعلم وتربيه اولان سرايده خواجه لك خدمتنه مواظبت اوزره ايكن بيك بش سنه سى حدودنده انتقال ايتمشدى

اشبو گلستان شرحندن بشقه مثنوى شريف ، وديوان حافظ وبوستانى شرح ايدوب كافيه وشافيه ترجه لرى واردر . قاضى مير حسين ميبدينك هداية الحكمة شرحى اوزرينه حاشيه' مشهوره سى وآثار سائره سى أولان مصلح الدين لارى مرحوم ديار بكر ده مفتى ومدرس ايكن تحصيلى هنگامنده واروب لسان فارسى بى اندن أخذ ايتمشدى ، يعنى لارينك تلميذى ايدى عليهم الرحمة والغفران »

وهذه النبذة تحدد تاريخ وفاة سودى بأنه سنة ١٠٠٥ هـ بينما نجد أن « ملا كاتب چلبى » يحدد تاريخ وفاته فى « كشف الظنون » بسنة ألف هجرية

وشرح سودى لديوان حافظ يقع كما خبرتك فيما مضى فى ثلاث مجلدات تحتوى على شرح كامل للغزليات والمقطعات والرباعيات والمثنويات والقصائد والمخمسات التى تبلغ فى مجموعها ٦٩٣ منظومة

وقد افتتح سودى شرحه ، بمقدمة قصيرة فى بضعة أسطر ذكر لنا فيها شيئاً عن حافظ وعن أشعاره ونصها كما يلى :

« الحمد لله الذى وفقنى لبيان العلوم والمعارف ، لسان العرب المهذب والعجم المعذب (كذا) . والصلاة والسلام على أفضل خلقه محمد أفصح ذوى الحسب والشرف والنسب ، وعلى آله الأبرار وأصحابه الأخيار . وبعد معلوم اولكه بو اوراقك محررى ومسطرك مقررى بزه كار نحيف ، أعنى سودى' ضعيف ايدر كه شويله بلمك گرگدر كه خواجه حافظك اسم شريفى شمس الدين محمد در ، ومشايخ آراسنده نامى « لسان الغيب وترجمان الأسرار » . در . أشعار آبدارى رشك چشمه' حيوان ، وبنات أفكارى غيرت حور ولدان در . ومذاق عوامى لفظ متين ايله شيرين ، ودهان خواصى معناى مبين ايله تمكين ايدوب أصحاب ظاهرك اكا آشنا لغى كشوده ، وأرباب باطنك روشنائى چراغ چشمى افزوده اولوب هر واقف سخنه نسبت حالنه موافق سوز سويلمش وهر كس ايچون معناى لطيف وغريب پيدا ايليوب عبارت قليلة ايله معناى كثيره درج ايلمشدر . . . . . الخ »

طريقة سودي في شرح الديوان

ثم يمضي سودي بعد ذلك في شرح الديوان على طريقته التي امتاز بها ، فيذكر بيتاً من أشعار حافظ ثم يتبعه بتفصيل مفرداته ، وقد يستشهد أثناء ذلك بشيء من الأشعار الفارسية أو العربية أو التركية ، ثم يختم كل ذلك بذكر « محصول البيت »

وفيما يلي مثال من شرح سودي لديوان حافظ على الغزل رقم ٧٧ من نسخة طهران المساوي لرقم ٧٩ من نسخة بروكهاوس : —

[روی تو کس ندید ، وهزارت رقیب هست در غنچهٔ هنوز ، وصدت عندلیب هست]

هزارت ، تاسی معنی جهتندن رقیبه مقید در . وصدت تاسی عندلیبه . محصول بیت جانانه خطاب ایدوب بیورر سنك رویكی كه گورمدی حال بوكه بیك رقیبك وار غنچه ده سین هنوز یعنی دخی پرده ایچنده سین حال بو كه یوز عندلیبك وار . حاصلی خانه دن طشره چقمامش انك قوبننده سین لیكن عالم تمام مبتلا كدر . آخرنده ها اولان لفظده همزه وحدتیچون وخطاب ایچون ومصدریت ایچون اولور . غنچه لفظنده مصدریت ظاهر در دین كسه مكرر خطا ایلمش زیرا معنی یانكدر همزه نك دگل تنكیر سابقاً بیان اولنمشدر . ثانیاً غنچه ده مصدریت ظاهر در دیدكیده خطا در كه انده یا خطا بیچوندر وهمزهٔ مجتلبه یایی ما قبلنه ایصال ایچوندر

[گر آمدم بكوی تو ، چندان غریب نیست چون من در این دیار فراوان غریب هست]

فراوان ، چوق دیمكدر . محصول بیت : اگر سنك محله كه گلدم ایسه اولقدر عجیب دگلدر . مصراع ثانی حكم تعلیلده در زیرا بنم گبی بو دیارده چوق غریب وار . حاصلی بنم سنك محله كه گلمم غریب دگلدر زیرا غربا مقامیدر غریب ایسه غریبه مائل در كه الغریب إلى الغریب یمیل . دیاردن مراد بونده كوی جاناندر

[هرچند دورم از تو ، كه دور از تو كس مباد لیكن امید وصل تو ام عن قریب هست]

دور از تو كس مباد ، جملهٔ دعائیه حشو ملیح در . محصول بیت : هر نقدر كه سندن ایراغ اسم كسه ایراق اولمسون ، أما سنك وصلك امیدی یقیندر یعنی عن قریب واصل اولمق امیدی وار در . حاصلی ظاهراً سندن بعیدم ، أما وصل امیدی قریبدر

[در عشق خانقاه وخرابات فرق نیست هر جا كه هست پرتو روی حبیب هست]

محصول بیت : طریق عشقده خانقاهله میخانه ما بیننده فرق یوقدر ، هر یر كه وار در انده دوستك یوزی پرتوی وار در . یعنی اگر صومعهٔ زاهد واگر دیر راهبدر جمیعنده خدا حاضر در وآثار جمالی وجلالی منكشف ومنجلی در »

ويمتاز شرح سودى عما عداه من الشروح التركية التى سأذكرها لك فيما بعد بأن سودى حصر مجهوده فى بيان المعنى الحرفي للأشعار ، وتجنب كل محاولة فى تفسيرها تفسيراً رمزياً أو البحث عن معانيها الخافية ، وبذلك امتاز عن جميع الشارحين الأتراك بأنه لغوى مدقق ومترجم محقق

***

ثانيا : شرح سرورى

وهناك شرح تركى آخر قليل التداول أظنّه لم يطبع على حدة إلى الآن ، وإن كانت نسخه المخطوطة كثيرة فى المكاتب العامة . وهذا الشرح هو الذى قام به أيضاً فى القرن العاشر الهجرى أحد الأتراك المسمى مصطفى بن شعبان ، المتخلص بـ«سرورى» ، والمتوفى فيمايقول صاحب كشف الظنون فى سنة ٩٦٩ هـ

ويصفه كاتب چلبى بأنه « شرح على لسان التصوف » كما يذكر لنا Rieu عند تعليقه على المخطوط رقم ADD 7765 بأنه « عبارة عن شرح تركى لديوان حافظ كتبه « سرورى » الذى ذكر فى مقدمته أنه « كتبه لبعض أصدقائه من رجال الدين لكى يكشف لهم عن المعانى الروحية لأشعار حافظ »

وفى مكتبة الجامعة ستة مخطوطات من شرح سرورى على ديوان حافظ ، أرقامها كما يلى :

٦٧٠٩ ت	،	٦٥٢٧ ت	،	٧٧٤٣ ت
٧٢٩٩ ت	،	٧٧٠١ ت	،	٢٢٦٣ ت

وسأصف لك فيما يلى هذه المخطوطات :

المخطوط رقم ٦٧٠٩ ت

وهو عبارة عن جزئين فى مجلد واحد :

الجزء الأول منهما يقع فى ١٥٧ ورقة قطعها ١٣٫٥ × ٢٠٫٥ سم ، وعدد سطورها ٢٧ ، ومكتوب بخط شكسته صغير

وهذا الجزء يشتمل على مقدمة صغيرة للشارح ، يعقبها مباشرة شرحه على ديوان حافظ ؛ فيأخذ فى إيراد شطرة من أشعار حافظ باللغة الفارسية ، ثم يأخذ فى تفسيرها باللغة التركية . وينتهى فى هذا الجزء بالغزلية المقفاة بحرف الظاء

وأما الجزء الثانى فيقع فى ٣٢٧ ورقة قطعها أيضاً ١٣٫٥ × ٢٠٫٥ سم وعدد سطورها ٢١

وهذا الجزء يختلف عن سابقه فى أنه مكتوب بالخط النسخ . وهويشتمل على بقية أشعار حافظ مبتدئاً بالغزلية العينية القافية التى مطلعها :

بفر دولت گيتى فروز شاه شجاع كه باكسم نبود بهر مال وجاه نزاع

(رقم ٣٤٥ بروكهاوس)

وأغلب الظن أن هذين الجزئين لم يكونا فيما مضى مجموعة واحدة من شرح سروري على ديوان حافظ فقد اختلفا في كثير من الأمور :

ا — اختلفا فى الخط ، فكان الجزء الأول بالخط المعروف باسم شكسته ، بينما كان الجزء الثانى بالخط النسخ

ب — واختلفا فى عدد أسطر الصحيفة ، فكانت الصحيفة فى الجزء الأول ٢٧ سطراً ، بينما هى فى الجزء الثانى ٢١ سطراً

ح — واختلفا فى تاريخ كتابتهما اختلافا كبيراً ، فقد ورد فى نهاية صحائف الجزء الأول ما يلى :

« تم المجلد الأول فى وقت الضحى فى شهر رجب المبارك فى تاريخ سنة ٩٦٠ هـ فى مدرسة رستم باشا فى بلدة قسطنطينية »

بينما لم تتم كتابة الجزء الثانى كما هو وارد بآخر صفحاته إلا سنة ٩٦٦ هـ ، فقد ورد فى نهايتها ما يلى :

« قد وقع الفراغ من التأليف فى الليلة الرابعة يوم الأربعاء الرابع من شهر ذى الحجة الشريفة سنة ست وستين وتسعمائة ... الخ »

المخطوط رقم ٦٥٢٧ ث

يقع فى ٢١٨ ورقة ، قطعها ١٥ × ٢٠ سم ومسطرتها ٢٣ سطراً نصفه تقريباً مكتوب بخط نسخ واضح ، والباقى مكتوب بخط فارسى نستعليق ، ويبدأ بنفس المقدمة التى يبدأ بها المخطوط الأول مع قليل من الاختلاف فى الألفاظ . ويستمر فى الشرح حتى يصل إلى الغزليات المقفاة بحرف اللام ، فيشرح منها ثلاثاً ، ثم يقف الكاتب فجأة ويترك لنا باقى الصحيفة بياضاً غير مكتوب

المخطوط رقم ٧٧٤٣ ث

يقع فى ٢٥٤ ورقة ، قطعها ١٢ × ١٩ سم ومسطرتها ٢٥ سطراً مكتوب بخط فارسى جميل على ورق جيد صقيل . ويبدأ بنفس المقدمة التى يبدأ بها شرح سرورى عادة وينتهى بشرح الغزل المقفى بحرف الظاء ، ولكنه لا ينتهى بشرح هذا الغزل بأجمعه ، بل تنقصه بقية قليلة لو أنها زيدت ورقة واحدة تالية ، لكان هذا المخطوط معادلا فى محتوياته للجزء الأول من المخطوط الأول فى هذه المجموعة

المخطوط رقم ٧٢٩٩ ت

عدد أوراقه ٤٧ وقطعه ٣١ × ٢٠ سم ومسطرته ٢٣ سطراً ، وهو مكتوب بالخط النستعليق ، ويحتوى القدر الذى استطاعت أن تستوعبه هذه الصحائف القليلة من شرح سرورى الطويل .

المخطوط رقم ٧٧٠١ ت

عدد أوراقه ٢٨٢ ، وقطعه ١٦ × ٢٤ سم وعدد سطور صحيفته ٢١ سطراً . وهو مكتوب بالخط النسخ الدقيق

وهذا المخطوط عبارة عن الجزء الثانى لجزء آخر مفقود ، وهو يشتمل على شرح الغزليات المقفاة بحرف العين ، وقد ورد فى صحيفته الأولى ما يلى :

« الحمد لله عين أعيان الدين ، لإجراء عين العلم وينبوع اليقين ، والصلاة على عين الأنبياء والمرسلين وبعينه على آله وصحبه أجمعين :

عينى بالاى بدنده ايلمش خـــــلاّق خلق

بنده حرف عينى قلدم أول جـــــلد دوم

ثم يبدأ بعد ذلك بشرح أشعار حافظ فيذكرها شطرة شطرة ويفسرها على طريقته ، وليس أفضل من أن أورد لك مثلا واحداً يبين لك منهاج سرورى وطريقته فى الشرح والتفسير :

[بفر دولت گيتى فروز شاه شجاع] شاه شجاعله جهان نورلندرجى دولتنك قوة حقيچون [كه با كسم نبود بهر مال وجاه نزاع] كه كمسه ايله بوقدر بنم مال ومنصب ايچون نزاعم مراد ظاهره نظر شاه شجاعدن يزد پادشاهى يا شيراز پادشاهى دركه سخى وكريم شاه ايدى ، طريقته نظر مراد أول شاه دين دركه نفس وشيطان جنكنده شجاع در . لا جرم انك عالى نور لندرجى نصيحتك دولتى وعلم ومعرفتى قوتنده مال ومنصب ايچون كمسه ايله نزاعم اوليوب سلطنت فراغت ونعمت قناعت ايله استغناى كلى حاصل اتمشدر

ملوك الأرض أصحاب الرعايا	عبدنا نحن خلاق البرايا
إذا افتخروا بديباج وخز	فخرنا بالمرقع والعبـــايا
وإن ركبوا خيولا سابقات	مشينا فى فلاتهم حفـــايا
رضينا القوت من خبز شعير	إذا أكلوا الحلاوة والقلايا
وإن نزلوا قصوراً عاليات	نزلنا فى المساجد والزوايا
غدا تتبين السادات منا	وتبصر من تكون له العطايا

.... الخ »

وينتهى هذا الشرح بذكر تاريخ وفاة حافظ ، وإن ديوانه مرتب ، أما بحسب أحرف الهجاء أو بحسب المناسبات التى قيل فيها ، ثم يخلص من كل ذلك بأنه « قد وقع الفراغ من التأليف فى الليلة الرابعة يوم الأربعاء الرابع من شهر ذى الحجة الشريفة سنة ست وستين وتسعمائة ، وقد وقع الفراغ من تنميقه بعون الله وحسن توفيقه يوم الخميس السادس والعشرين من ذى الحجة الحرام سنة ست وستين وتسعمائة »

المخطوط رقم ٢٢٦٣ ت

هذا المخطوط يطابق الشرح السابق فى محتوياته من بدايته إلى نهايته ، وإن كان يختلف عنه فى أنه مكتوب بالخط الرقعة الكبير ، فوقع فى ٣٧٣ ورقة قطعها ١٤ × ٢٤ سم ، وعدد سطورها ١٩ سطر

وقد أخطأت مكتبة الجامعة فنسبته فى فهارسها إلى الشارح شمعى مع وضوح الخطأ فى ذلك

***

ثالثا : شرح شمعى

وفى نفس الوقت الذى كان يشتغل فيه سودى وسرورى بشرح ديوان حافظ كان شارح آخر تركى اسمه « مولانا شمعى افندى » يقوم بنفس هذا العمل

ومن التعليقات الموجودة على نسخة المتحف البريطانى الرقيمة OR 29 ، ومما ذكره صاحب كشف الظنون يمكننا أن نستنتج الحقائق التالية :

١ — إن شمعى كتب هذا الشرح إجابة لولى الفضل عليه « احمد فريدون »

٢ — إنه فرغ منه فى ذى الحجة سنة ٩٨١ هـ

٣ — إن الوفاة أدركت شمعى سنة ١٠٠٠ هـ

وهذا الشرح أيضاً نادر الوجود كسابقه ، وأكثر ما يوجد مخطوطاً فى المكاتب العامة . وبدار الكتب الملكية نسختان من هذا الشرح تحت رقم ن ع ٦٢٧٦

***

رابعا : شرح محمد وهبى القونيوى

ثم شرح ديوان حافظ مرة رابعة فى تركيا ، وكان ذلك فى مدينة قونية ، وشرحه فى هذه المرة أحد مشايخ الطريقة المولوية المعروف بمحمد وهبى

واسم الشارح الكامل كما يبدو من مقدمة شرحه هو « مولانا سيد محمد وهبي بن سيد حسن الأشعرى القونيوى »

وقد طبع هذا الشرح فى تركيا فى المطبعة العامرة فى سنة ١٢٨٨ هـ ، ووضعوا على هامشه شرح سودى أيضاً . فوقع الكتاب فى مجلدين كبيرين اشتمل كل منهما على ٧٦٧ من الصفحات

وقد سار الشارح فى هذا الشرح أيضاً كما كان ينتظر من أهل الطريقة المولوية ، فوضع لكتابه مقدمة طويلة عن التصوف ومراتب المتصوفة ، ونقل فى ذلك فصولا برمتها من كتاب « نفحات الأنس » لمؤلفه « جامى »ثم أورد بعد ذلك طائفة من اصطلاحات الصوفية ، فبين معانيها ، وما ترمز إليه

وقد جرى وهبي فى شرحه على أن يذكر البيت من شعر حافظ ثم يتبعه بترجمة كاملة له ، ثم يتبع ذلك بتفسير مفرداته كلمة كلمة ، ثم يختم كل ذلك بذكر المعنى الذى يشير إليه حافظ ، وهو المعنى الرمزى الذى يفسر السر الخفى لأشعاره

وإليك مثلا من هذه الترجمة :

[ديدم بخواب خوش كه بدستم پياله بود تعبير رفت كار بدولت حواله بود]

گوزل دوش ايله گوردم المده پياله وار ايدى . تعبير اولندى ايش دولته حواله اولدى

مفردات : (ديدم) گوردم (با) للملابسة (خواب) دوش (خوش) م (بدستم) المده (پياله) قدح (بود) وار ايدى . (تعبير) م (رفت) گتدى (كار) ايش (بدولت) دولته (حواله) م (بود) اولدى

معناى اشارتى : (الدنيا كحلم النائم) خبرى سرنجه بحمد الله وتوفيقه گوردم كه المده عشق ومحبت شرابنك قدحى وارايدى . لسانمدن وقلبمدن عشق الهيدن غيرى مسلوب ايدى تعبير اولندى وحسن ظنم حضرت الهه شويله اولدى كه كار عمرز دولت ابديه يه حواله اولدى وعشقله سلطنت ابدى گوردى

[چل سال رنج وغصه كشيديم وعاقبت تدبير آن بدست شراب دو ساله بود]

قرق ييل رنج وغصه چكدك . وعاقبت انك تدبيرى ايكى ييللق شراب النده اولدى

مفردات : (چل) قرق (سال) ييل (رنج) م (غصه) م (كشيديم) چكدك (عاقبت) م (تدبير) م (آن) أول (با) للملابسة (دست) ال (شراب) م (دو) ايكى (سال) ييل (ها) مقداريه (بود) اولدى

معناى إشارتى : قرق سنه رياضات ومجاهدات وزهد وتقوى ايله درد وبلا چكدم ، تا كه كبرى وعجبى وذمايم أخلاق وشهوات نفسانيه يى ازاله ايدهم ، وطهارت قلب ايله أنوار تجليات الهيه يه ايرهم دبو عاقبت ازلى اولان عشق الهى شرابى اله گلمدكجه ونوش اولمدقجه مرادم حاصل اولمدى ، وقلبمده انكشاف أنوار جمال الله ظهور بولمدى

التراجم الأوروبية للديوان

١ — التراجم اللاتينية

بدأ الاهتمام بحافظ فى أوروبا منذ القرن السابع عشر أيضاً ، فأخذ جماعة من المشتغلين بالشرق يترجمون بعض غزلياته إلى اللغة اللاتينية . لغة العلم والأدب فى ذلك الوقت . وقد حفظت لنا الكتب التالية أمثلة لهذه التراجم :

1— F. Meniski, "Linguarum Orientalium", Vienna, 1680.

الغزلية الأولى من غزليات حافظ مترجمة إلى اللغة اللاتينية نثراً

2— T. Hyde, "Syntagma Dissertationum", Oxford, 1767.

الغزلية الأولى مترجمة نثراً إلى اللغة اللاتينية

3— de Reviski, "Specimen poeseos Persicae".

به ترجمة نثرية إلى اللغة اللاتينية لست عشرة غزلية الأولى من غزليات حافظ

4— W. Jones, "His Works, Vol. 2".

ترجم ست عشرة غزلية إلى اللغة اللاتينية ، وكان فى بعض الأحيان يكتفى بترجمة بعض أبيات هذه الغزليات دون أن يتمها جميعاً .

٢ — التراجم الألمانية

كان الألمان من أوائل من ترجموا ديوان حافظ إلى لغات أوروبا الحديثة . فمنذ موت « شيلر » أخذ تيار جديد يغزو الآداب الجرمانية كان مصدره الشرق وآثار الشرق

فمنذ ما نصل إلى القرن الثامن عشر نجد جماعة من كبار شعراء ألمانيا مثل Klinger و Wieland و Lessing ينقلون ميدان شعرهم إلى الشرق كما أخذ Herder فى ترجمة الكثير عن الهندية والفارسية ... لكن جميع هؤلاء الشعراء كانت معرفتهم للشرق وحياته وأدبه معرفة سطحية بسيطة ، فكانت تراجم Herder فى الواقع ترجمة عن ترجمة لأنه كان يجهل السنسكريتيه والفارسية ، وأما الدراسات الشرقية فى ألمانيا فكانت محصورة فى وسط رجال اللاهوت ولم تخرج عن دائرتهم

لكن منذ بداية القرن التاسع عشر خطت الدراسات الشرقية فى ألمانيا خطوات واسعة لم تعرفها من قبل ، ويرجع الفضل فى ذلك إلى اهتمام جماعة من الرجال كانوا أبعد نظرا وأعمق ثقافة من سابقيهم ،

وكان من بينهم أهل اللغة وأصحاب الإحساس الشعرى كما كان من بينهم المؤرخون أصحاب النظر الصائب، والسياسيون أصحاب الآراء السليمة ، فتعاون هؤلاء جميعاً على استخراج الحجر الكريم من الشرق فصقلوه وجعلوه درة يتيمة قدموها هدية إلى شعراء الألمانية[١]

وكان من أوائل التراجم الألمانية ما يلى :

١ — الترجمة التى قدمها Wahl لبعض قصائد حافظ فى :

Neue Arabische Anthologie, Leipzig 1791.

٢ — ترجمة Von Hammer لديوان حافظ

وهى ترجمة كاملة لديوان حافظ قام بنشرها سنة ١٨١٢م (J. Von Hammer) —الذى أمضى زمناً طويلا فى خدمة الحكومة النمساوية فى الشرق — وقد قوبل الديوان فى أول الأمر بشىء من النقد والاستخفاف ، ولكنه سرعان ما كسب الشاعر الكبير «جوته» ، وجعله يهتم بالشرق الاسلامى اهتماما عظيما يظهر أثره بعد ذلك فى ديوانه الشرق الغربى

ولم يتمكن الشاعر العجوز «جوته» من دراسة اللغات الشرقية الدراسة الوافية التى تعينه على إدخال التعبيرات أو الاصطلاحات الشرقية فى اللغة الألمانية ، ولكنه استطاع بنشر ديوانه السابق أن يلفت الأنظار إلى الشرق والاهتمام به وبآدابه حتى ظهر شاعران مطبوعان تمكنا من دراسة اللغات الشرقية دراسة واسعة أعانتهما على تعرف مواضع الجمال فيها وهذان الشاعران هما F. Rückert و Von Platen وقد ترجم الأول جلال الدين الرومى وبعض قصائد حافظ[٢] كما اشتغل الثانى بحافظ فأبدع فيه وأجاد

٣ — ترجمة شعرية لبعض القصائد نظمها Von Platen

أما «پلاتن» فقد كان اتصاله بالشرق عن طريق أستاذه Rückert أبان إقامته معه فى ڤينا عام ١٨١٨ م وقد أظهر فى دراسته للغات الشرقية استعداداً عظيما مكنه من التفوق على أستاذه ، وفى الشهر الأول من عام ١٨٢١م بدأ «پلاتن» ينظم الغزل الفارسى . ولكنه لم يستطع لا هو ولا «ريكرت» من نقل الشعر الفارسى بأوزانه ، بل نقله إلى لغة ألمانية روعيت فيها القافية والرديف[٣] .

وأقبل «پلاتن» على شعر حافظ ، فنقل منه إلى الألمانية شعراً متأثراً بالأسلوب الشرقى ، فزاد فى ثروة الأسلوب ولعب بالصيغة الألمانية وجعلها صالحة لأداء المعانى الشرقية فأضاف إلى لغته القومية صيغاً لم تعرفها الألمانية من قبل وقدم إلى مواطنيه ماهو أثمن من ذلك وهو شعر حافظ ، زهرة الشعر الشرقى

---

(١) هذه نبذة مترجمة عن كتاب Graf Platents Nachbildungen aus dem diwan Hafis. Von Friedrich Veit. P. 260 — 262.

تكرم بها على زميلى الدكتور فؤاد حسنين على ؛ فإليه أتقدم بجزيل الشكر اعترافا بفضله

(٢) انظر : Magazin für die Litt. des Inn-und auslandes, Berlin 1890

الجيل . فألف كتابة الشهير « مقتبسات على غرار شعر حافظ »

"Nachbildungen aus dem Diwan des Hafis"

ولم يظهر كتابه هذا إلا بعد وفاته ، فإنه لم يستطع إقناع ناشر بطبعه إلى أن كانت سنة ١٨٣٩ م ؛ فظهرت من كتابه طبعة مقتضبة . فلما كانت سنة ١٨٨٠ م عرف العالم بكتاب « پلاتن » كاملا ، أى بعد مرور ٦٠ عاماً على تأليفه أو ٤٥ عاماً على وفاة مؤلفه

٤ — ترجمة منظومة مقفاة للديوان بأجمعه

قام بها Rozenzweig-Schwannau وقد طبعت الترجمة مع الأصل الفارسى فى ثلاثة أجزاء فى مدينة « ڤينا » فيما بين سنتى ١٨٥٦ — ١٨٦٤ م

٥ — قصائد من ديوان حافظ ترجمها G. F. Daumer

وطبعت فى هامبورج سنة ١٨٤٦ م ، و « نورنبورج » سنة ١٨٥٢ م

٦ — منتخبات من أشعار حافظ ترجمها شعراً إلى الألمانية Nesselmann

تحت عنوان Der Diwan des Schems-eddin Muhammad Hafiz

وكتابه مطبوع فى برلين سنة ١٨٥٦ م

٧ — منتخبات من أشعار حافظ ترجمها Bodenstadt وطُبعت فى برلين سنة ١٨٨٧ م

٨ — Hans Bethge : Nachdichtungen der Lieder der Hafis, Leipzig 1910.

٣ — التراجم الفرنسية

التراجم الفرنسية لديوان حافظ قليلة أذكر لك ما استطعت أن ألم به منها :

١ — غزليات مترجمة شعرا أو نثرا قام بها W. Jones فى الجزء الخامس من كتابه

٢ — ترجمة لرباعيات حافظ قام بها J. Carpentier

عنوانها : Roubâyyat de Hafiz et D'Omar Khayyam, Paris 1921

٣ — ترجمة لغزليات حافظ قام بها Charles Devillers

عنوانها : Les Ghazels des Hâfiz. Paris, 1922.

٤ — ترجمة لبعض الغزليات قام بها A. Guy

عنوانها : Hâfiz : "Les Poèmes erotiques" ou Ghazels des Chames ed Din Mohammed Hâfiz en calque rhytmique et evec rime à la Persane. Tome 1. 1927.

٣ — التراجم الإنجليزية

التراجم الإنجليزية لديوان حافظ كثيرة ومتعددة. ولكنه تُرجم برمته وبأكمله للمرة الأولى فى سنة ١٨٩١م ، عند ما قام بترجمته إلى لغة انجليزية منثورة Lieut-Col H. Wilberforce Clarke متبعاً نسخة Jarret التى سبق الحديث عليها . وقد اجتهد « كلارك » فى أن يفسر كثيراً من المعانى الرمزية لشعر حافظ وسلك فى ذلك مسلك أهل التصوف ، ثم التزم حرفية الترجمة فيا نقل ، فكان ذلك كله مدعاة لانتقاده من الأستاذ « براون » الذى يكاد يقصر فائدة ترجمته على أغراض تعليمية ليس غير

ثم ظهرت فى سنة ١٩٠١م ترجمة انجليزية منظومة للديوان قام بنشرها John Payne فى ثلاثة مجلدات تحت عنوان :

John Payne	: Hafiz; Poms, now first completely done into English Verse from the Persian, in accordance with the original forms. London 1901 . . . 3 Vols.

وأما التراجم الانجليزية الأخرى فتشتمل على غزليات متفرقة أو مجموعات من الغزليات والقصائد ، وأهمها ما يلى :

1— J. Richardson	: Specimen of Persian Poetry. London, 1774.
2— J. Notts	: Select Odes, rendered into English Verse. London 1787.
3— W. Jones	: Works. London 1797.
4— W. Ouseley	: "Persian Miscellanies". London 1795. (Oriental Collections, London 1797).
5— J. Hindley	: Poems of Hafiz 1800.
6— S. Rousseau	: Richardson's Specimen of Persian Poetry, revised and corrected. London 1802.
7— Gore Ouseley	: Biographical notices of poets. London 1846.
8— H. Bicknell	: Selections from the Diwan. London 1875.
9— E. H. Palmer	: The song of the Reed and other pieces. London 1876.
10— H. Blockmann	: Journal, Asiatic Society, Bengal Vol. 46 An unknown ode of Hafiz (p. 237) Calcutta 1877.
11— W. H. Lowe	: Twelve odes of Hafiz, Cambridge 1878.
12— S. Robinson	: A Century of Ghazals in Prose. London 1873.
13— E. P. Evans	: "Atlantic Monthly" January 1884.
14— Miss Gertrude. L.Bell	: "Poems from the Diwan of Hafiz" London 1897.
15— Walter Leaf	: Versions from Hafiz. 1898.
16— E. G. Browne	: Literary History of Persia, Vol. III, Cambridge 1920.
17— Richard le Galienne	: Odes from the Diwan of Hafiz. New York 1903; London 1905.

الفصل الثالث

الترجمة العربية للديوان

ترجمتي العربية لديوان حافظ الشيرازي

النسخة الأخيرة التى حدثتك عنها فى نهاية الفصل الأول من هذا الباب هى النسخة التى اعتمدت عليها فى ترجمة ديوان حافظ (انظر ص ٢٤)

وهذه هى المرة الأولى التى ينقل فيها شعر حافظ إلى العربية ، أقدمه لك مترجماً عن أصله الفارسى ، وإن كنت لا أكتمك الحق أنى كنت أقابل ترجمتى بالشروح التركية وبالتراجم الأوروبية التى حدثتك عنها فى الفصل السابق ، فكنت إذا اتفقت معها قنعت بالهدى والتوفيق ، وإن اختلفت عنها أمعنت فى التدقيق والتحقيق

والجزء الذى ترجمته هنا ، من ديوان حافظ ، هو ما يعرف « بالغزليات » وهو الجزء الأكبر والمهم من الديوان كله ، وعليه قامت شهرة حافظ فى جميع العصور ، وفيه انحصرت فلسفته وآراءه ومميزات فنه

الغزليات

والغزل أو الغزلية فى الشعر الفارسى عبارة : « عن منظومة قصيرة تتراوح بين سبعة أبيات وخمسة عشر غالبا ، وموضوعه الغزل أكثر الأحيان ويكون أحياناً غرضاً آخر من أغراض الشعر ، ويلتزم الشاعر ذكر لقبه الشعرى أو « تخلصه » كما يقول الفرس والترك فى آخر بيت من الغزل »[1]

والغزل فى أصل اللغة مشتق كما يقول الفيروزابادى فى « القاموس المحيط » « من مغازلة النساء ، أى محادثتهن والاسم الغزل محركة . والتغزل التكلف له ، وكـكتف المتغزل بهن »

ويقال لمن يحادث النساء أو يدنو منهن غزل وغزيل ومتغزل وغزّيل[2]

وجاء أيضا فيه أنه يقال « غزل الكلب كفرح أى فتر ، وهو أن يطلب الغزال حتى إذا أدركه وثغا من فرقه انصرف عنه »

---

(١) من مقال عن «أوزان الشعر وقوافيه» للدكتور عبد الوهاب عزام منشور فى المجلد الأول من العدد الثانى من مجلة كلية الآداب سنة ١٩٣٣

(٢) ص ١٦٣ « أساس البلاغة » للزمخشرى ، طبع دار الكتب بالقاهرة سنة ١٩٢٣

وعلى ذلك يمكن أن نقول أن كلمة الغزل مشتقة من إحد أصلين :

ا — الغزل بمعنى التقرب والتودد إلى النساء ومحادثتهن

ب — الغزل بمعنى الفتور والرقة التى تصيب المتودد إلى النساء، كما يفتر الكلب إذا دنا من صيده فرآه يثغو فرقاً وخوفاً ، فينصرف عنه [1]

وبمثل هذا التفسير ، فهم كتاب الفرس كلمة « الغزل » . فقد ورد فى كتاب « المعجم فى معايير أشعار العجم » تأليف شمس الدين محمد بن قيس الرازى ، فى أوائل القرن السابع الهجرى ، ما نصه [2] :

« وغزل در اصل لغت حديث زنان ، وصفت عشق بازى با ايشان ، وتهالك در دوستى ايشان است ، ومغازلت عشق بازى وملاعبت است با زنان ، وگويند « رجل غزل » يعنى مردى كه متشكل باشد بصورتى كه موافق طبع زنان باشد ، وميل ايشان بدو بيشتر بود بسبب شمايل شيرين وحركات ظريفانه وسخنان مستعذب .

وبعضى أهل معنى فرق نهاده اند ميان نسيب وغزل وگفته اند : معنى نسيب ذكر شاعرست خلق وخلق معشوق را وتصرف أحوال عشق ايشان در وى ، وغزل دوستى زنان است وميل هواى دل بايشان وبأفعال وأقوال ايشان . وازينجاست كه گويند چون سگ درصيد بآهو رسد ، وآهوك بيچاره گردد ، بانگى ضعيف بكند از ترس جان ، سگ را رقتى پيدا شود ، واز وى باز ايستد ، وبچيزى ديگر مشغول شود ، گويند « غزل الكلب »

وهمانا آهورا غزال ازينجا نام نهاده اند كه اين مغازلت را شايسته است

وبيشتر شعراء مفلق ذكر جمال معشوق ووصف أحوال عشق وتصابى را غزل خوانند . وغزلى كه مقدمهٔ مدحى يا شرح حالى ديگر باشد آنرا نسيب گويند . وبحكم آنكه مقصود از غزل ترويح خاطر وخوش آمد نفس است ، بايد كه بناء آن بر وزنى خوش مطبوع وألفاظى عذب سلس ومعانى رايق مروق نهند ، ودر نظم آن از كلمات مستكره وسخنان خشن محترز باشند »

النسيب والتشبيب والغزل

وفرقوا فى الفارسية بين النسيب والتشبيب والغزل فقالوا :

١ — إن النسيب غزل يجعله الشاعر مقدمة لما يريد أن يقول من أغراض ، وكأنما يقصد بهذه القدمة أن يستميل السامع إليه ، بذكر أحوال المحب والمحبوب ، ومغازلة العاشق والمعشوق ، حتى إذا

---

(١) وهذا شبيه بما يراه ابن دريد ، من أن اشتقاق الحب من أحب البعير إذا برك ، فلم يثر أو أصابه كسر أو مرض فلم يبرح مكانه (انظر ص ٣٠ ج ٢ « نهاية الأرب » طبع دار الكتب بالقاهرة سنة ١٩٢٤) ، وكذلك « قاموس المحيط » للفيروزابادى

(٢) ص ٢٨٧ من هذا الكتاب طبع ليدن سنة ١٩٠٩

تنبهت الحواس واستيقظت الأذهان والمدارك ، دخل الشاعر فى موضوعه مطمئن النفس إلى أنهم يدركون ما يقول .

وأسموا القصيدة التى تخلو من مقدمة فى النسيب بـ « المحدودة » أو « المقتضبة »[١]

٢ — أما التشبيب فهو عبارة عن غزل يصور أحوال الشاعر مع معشوقته وما وقع بينهما من أمور ، كأشعار كثير عزة ومجنون ليلى وعمر بن أبى ربيعة وأمثالهم[٢]

غير أن كثيراً من الناس اختلط عليهم الأمر فلم يستطيعوا التفريق بين النسيب والتشبيب ، وأسموا كل ما يرد فى بداية القصائد بإحدى هاتين التسميتين سواء تعلق بوصف الدمن والأطلال ، أو تناول الحنين وشد الرحال ، أو أخذ فى وصف الرعد القاصف والبرق الخاطف والجو العاصف ، أو أخذ يردد نغمات الرياح الذارية ، والمياه الجارية ، والطيور الشادية

٣ — وأما الغزل فاسمه ينطبق على النوعين السابقين بحيث يمكن تسمية كل « نسيب » أو «تشبيب» غزلا ؛ ولـكنه لا يصح على العكس من ذلك أن يقال لـكل غزل بأنه «نسيب» أو « تشبيب » ، ذلك لأن الغزل يمتاز عن هذين النوعين بما يأتى :

أولا : من ناحية الشكل — الغزل منظومة قصيرة ، قائمة بذاتها تتكون فى العادة من خمسة أبيات إلى خمسة عشر بيتاً ، وقد تزيد على ذلك فى بعض الأحيان ، وقد اشترطوا فى القصيدة العربية أن لا تقل أبياتها عن سبع ، ولـكنهم تجاوزوا عن هذا الشرط فيما يتعلق بالغزل الفارسى ، وإن كانت العادة قد جرت على ألا تقل أبياته عن خمسة أبيات

والغزل ينتهى عادة بأن يذكر الشاعر لقبه الشعرى فى البيت الأخير منه ، أو البيت السابق على ذلك ، وهذا ما يعرف فى الفارسية بالتخلص ، ولعلهم لجأوا إلى ذلك ليجعلوا أشعارهم فى مأمن من أن يسطو عليها الغير ، فيدعيها لنفسه ، أو لعلها طريقة فارسية امتاز بها الشعر الفارسى وصارت بعد ذلك من خصائصه ومميزاته

ثانياً : من ناحية الموضوع — يمتاز الغزل بأن موضوعه العشق المنزه والحب العفيف ، يعبر عن أمانى الروح وما تحتويه من أحلام وآمال ، ويصور نزعات النفس وما توجوه فى ضراعة وابتهال ، الحبيب فيه جميل ، وكل ما يصدر عنه جميل ، والمعشوق فيه نبيل ، وكل ما يبدو منه نبيل ؛ وموضوعه هذا قائم بذاته ، فلا هو مقدمة كالنسيب تقدم لممدوح يرجى فضله ، ولا هو كالتشبيب وصف شامل لما وقع بين العاشق والمعشوق حتى تحقق وصله ، بل هو أغان تغنى

---

(١) ص ٣٨٣ نفس المرجع

(٢) نفس المرجع ؛ وكذلك ص ٨٥ كتاب « حدائق السحر فى دقائق الشعر » تأليف « رشيد الدين وطواط » طبع طهران سنة ١٣٠٨ هجرى شمسى

وأمان تتمنى ، يكون فيها ترويح الخاطر وتحريك المشاعر

ثالثاً : من ناحية الأسلوب — ولسمو الأغراض التى يلمسها الغزل اشترطوا فيه أن يكون عذب الألفاظ ، سلس المعانى ، بعيداً عن الكلمات النابية والعبارات الواهية ، وأن يكون مبنياً على وزن من أوزان الشعر التى تقرع موسيقاها الأسماع ، وتجذب إليها القلوب والطباع ، فتستسيغ ما ركب فيها من نغمات ونبرات ، وتستعذب ما اشتملت عليه من أنات ورنات

طريقة الأداء عند حافظ

كان شاعراً عاتياً ، فلم يكن يأبه لشىء ، ولم يكن يهتم بشىء . . . . كان يعلم أن أقواله تفتن الجماهير ، ولكن ذلك لم يشغله إلا إلى قدر يسير ؛ وكان يعرف أن أشعاره تأسر الألباب ، ولكنه لم يكن يهتم بهذا الإعجاب ، بل كان يمضى فى طريقه كالجيش اللجب يطوى بيداء الحقب فى أناة أو صخب .

وكان كالنهر العاتى يفيض على جنبات الوادى ، فيكتسح حطامه ويهد ركامه ، ويدفع ما أمامه ؛ جبار عنيد يشتد هديره ويزداد نذيره ، وهو ماض فى سبيله على نغماته الدائمة التى لا تهدأ ولا تسكن

وكان فنانا ، فكان يرضى نفسه قبل كل شىء ، تهتف به فيلبيها ، وتناديه فيجيبها ، وتحدثه فيقبل عليها ، ثم يستمع إلى نبراتها الخافتة التى لا تكاد تبين ، ويتحسس سكناتها الصامتة التى تخفى فى قرارة المعين ، فإذا فرغ إلى نفسه مرة أخرى رددها فى أسلوب مفصح مبين ، أو سجلها عليها كلمات معجزة تنحدر من عليين ، أو أعادها إلى نفسه ليؤكد لها ما جاشت به من قول مخلص أمين

اعترضه يوما « الشاه شجاع » حاكم شيراز وفاجأه بهذا القول : « إن غزلياتك لا تجرى على منوال واحد ، ولا تصاغ على نمط واحد . بل كل واحدة منها تشتمل على بعض الأبيات فى وصف الشراب ، وبعض الأبيات فى التصوف ، والبعض الآخر فى ذكر الأحبة ، وهذا التلون والتنوع ليسا من طريقة البلغاء »

فتبسم حافظ ابتسامة خفيفة تحت شفته ، جمعت كل معانى السخرية ، وعدم الاهتمام ثم قال :

« إن ما تفضل بقوله مولاى هو عين الصدق والصواب ، ومع ذلك فشعرى قد طوف بالآفاق ، بينما أشعار غيرى لم تتعد هذه الأبواب !! »

آراء الشراح فى شعر حافظ

غير أن هذه القدرة الجامحة ، وهذا الاعتداد الزائد بالنفس ، وهذا الفن الرائع المندفع ، وهذا الأسلوب الرفيع المنقطع النظير ، كل هذه الأسباب وأمثالها جنت على حافظ أثناء حياته كما جنت عليه بعد مماته ، فأعجبت معانيه البعض فقالوا إنه شاعر يهيم فى كل واد ، وأشكلت أو استغلقت على البعض ، فوصفوه

بأنه « لسان الغيب وترجمان الأسرار » وانقسم شراحه بعد ذلك إلى رأيين يختلفان كل الاختلاف :

١ — فن قائل أن أشعاره يجب أن تفسر على ظاهرها دون أن نلتمس لها من المعانى الأخرى مالا تحتمله الألفاظ والعبارات

فأخذوا يفسرون حافظاً بناء على هذا الرأى فإذا الخمر التى تغنى بها هى هذه الخمر الأرضية الفانية التى تملأ الكأس وتلعب بالرأس ، وإذا «معشوقه» من لحم ودم يمشى على قدمين ، وإذا حبّه حب عادى من الجائز أن يصيبنى أو يصيبك أو يصيب غيرنا من الناس . . . . الربيع عنده ربيع الحياة الذى يتلوه صيف فخريف فشتاء ؛ والزهرات عنده هى هذه الزهرات النامية فى روعة وبهاء ؛ وهذا الطير الصادح هو ما نسمعه وقت الصباح يشدو بالهديل والغناء ؛ وهذه الخميلة النضيرة هى الروضة الدانية التى تهدأ إليها إذا أصابك الملل والعناء

٢ — وذهب قوم آخرون إلى أن أشعاره يجب ألا تؤخذ على معانيها الظاهرة ، إذ أن هـذه المعانى غطاء تستتر دونه معان أخرى أبعد منالا ، وأقوى حجة ، وأشرف غرضاً ، وأروع مقصداً . . . .

وقالوا فى ذلك أنه « صوفى » يسلك مسلك العارفين ، ويستعمل مصطلحاتهم وعباراتهم ، ولهذه الطائفة مصطلحات وعبارات خاصة بهم يتعذر على الإنسان بدون الاطلاع عليها ، فهم كلامهم وإدراك مرادهم ، « فحديثهم على ألسنة الطير ، ولا يدرك أسرارهم إلاّ من كان شبيهاً بسليمان »[1]

ووفقا لهذا الرأى أخذوا يفسرون « الخمر » بأنهـا خمر أزلية يديرها « الساق » الذى يرشدك إلى « طريق » الهداية ، فيملأ لك « الكأس » من تعاليمه العالية التى تدفع عنك الضلالة والغواية ، كما تدفع عنك « خمار الليل » فتجعلك تفيق إلى « معشوق » جميل والله جميل ، وهو كنز مخفىّ ، و « صديق » وفىّ لطفه أزلىّ و « قد كنت كنزا مخفيا فأحببتُ أن أعرف فخلقت الخلق لـكى أعرف »

وأما « الربيع » عندهم فربيع الأبرار ، وأما « الخميلة » فروضة الصلحاء والأخيار ، وأما هذا الطير الشادى فألسنة من يسبحون آناء الليل وأطراف النهار

ومثار هذا الجدل كان مصدرا لصعوبة دائمة اعترضت الناقلين والشارحين والمترجمين . ولعلها كانت أشد صعوبة اعترضتنى عند ما اعتزمت ترجمة « الغزليات » إلى اللغة العربية فقد سلـكت النهجين وجربت الأمرين فوجدتهما جميعاً يخرجان بى إلى ترجمتين ممتعتين لا ينقصهما شىء من الجمال والرواء . وإن كان إدراك الأولى يختلف عن إدراك الثانية ، فالواحدة لأهل الظاهر ، والثانية لأهل المعنى ، والواحدة لأهل الواقع ، والثانية لأهل الرمز

---

(١) ص ٣٧ « رياض العارفين » تأليف رضا قلى هدايت ، طبع طهران سنة ١٣١٦ هجرى شمسى ؛ وأصل هذه العبارة بالفارسية كما يلى :

« گفتگوى درويشان بر زبان مرغانست ، راز شان كسى داند كش بود سليمانى »

وتحيرت فترة أى النهجين أتبع وأيهما أسلك ، وأخيراً رأيت من الصواب أن أسلك مسلكا وسطا بين الرأيين ، على أن يكون أساس ترجمتى هذا المذهب الأول الواضح الذى لا خفاء فيه ، فإن سارت القافلة سرت معها ، وإن توقفت التمست لها من المذهب الثانى ما يحدوها إلى الأمام وما يدفعها إلى النشاط والحركة والسير

ولعلى فى هذا لم أختط لنفسى نهجاً جديداً أدعيه ، أو رأياً فريداً أستطيع أن أفخر به ، بل كنت فى ذلك متابعا لرأى قديم جدير بالإعجاب والتقدير حينما قرأت رأى المستشرق الكبير إدوارد براون عند ما أعجب بشرح « سودى » لديوان حافظ فقال ما معناه[1] :

« وشرح سودى هو أحسن الشروح وأجملها ، لأن مؤلفه حصر جهوده فى بيان المعنى الحرفى للأشعار وتجنب كل محاولة فى تفسيرها تفسيراً رمزيا أو البحث عن معانيها الخافية البعيدة

ومع ذلك فقليل من الناس من ينكر أن كثيراً من غزليات حافظ يجب تفسيرها تفسيراً رمزيا وإعطائها المعانى الصوفية البعيدة

كما أن أحداً لا يستطيع أن ينكر أن بعض هذه الغزليات تقصد حقيقة ما تتغنى به ، فتشير إلى جمال غير سماوى ، وإلى شراب غير أزلى . كما أن بعضها الآخر قد تختلط به الروحانيات والماديات كما اشتكى ذلك « الشاه شجاع » . ولكن هذا المزيج لن يكون مدعاة لإثارة أى مفاجأة لنا ، ولا لأى شخص يعرف النفسية الشرقية الشاعرة ، حيث يمكن أحيانا أن تقابل أناساً يتبدلون فى يوم واحد من مسلمين صلحاء إلى مستهترين سفهاء ، ومن صوفية أتقياء إلى شكاكين أغبياء أو حتى إلى إنصاف آلهة أو أجساد أرضية تقمصتها أرواح السماء »

والمشتغل بحافظ الذى لا يقدر أن يفرق بين الأشعار الواجب تفسيرها حرفيا ، والأشعار التى تؤخذ بمعانيها الرمزية والصوفية ، لن يفيده الشراح كثيراً ، فهم جميعاً يكررون مصطلحات واحدة بأن « الخمر » معناها « الوجد » ، و « الحانة » معناها « خانقاه الصوفيين » و « شيخ المجوس » يشار به إلى « شيخ الطريقة » وأمثال هذه الأقوال . . .

أسلوب الترجمة العربية

الأصل فى هذه الترجمة أنها منثورة لا تتقيد بقيد من القيود ؛ فقد تحققت منذ البداية أن نقل الشعر إلى شعر أمر عسير كل العسر يحتاج على الأقل إلى شاعر مطبوع يسلس له الشعر القياد ، ويكون له من القدرة على الأساليب والأوزان ما يبلغ مبلغ شاعرنا الأصيل أو يتعداه صنعة وفنا

صحيح أن بين أدبنا العربى والأدب الفارسى قرابة لا يمكن أن تنفصم ، وصحيح أن أوجه المقاربة بين

(١) انظر ص ٢٩٩ ج ٣ من كتابه « تاريخ أدبيات إيران »

الشعر العربى والفارسى كثيرة متعددة ؛ فالقافية والأوزان والصناعة البديعية إن لم تكن واحدة فى الاثنين ، فهى على الأقل متشابهة أو مأخوذة عن أصل واحد . ولكن كل هذا لايساعدنا قليلا أو كثيراً فى ترجمة الشعر بالشعر والمحافظة على أوزانه وقوافيه وما به من صنعة بديعية

ذلك لأننا حتى لو نجحنا فى كل ذلك فسينقصنا دائما « الذوق الأدبى » ، وهو مسألة لا تخضعها الضوابط ولا تحكمها الأصول ، كما سينقصنا أيضا بالإضافة إلى ذلك ، « موسيقى الحروف والعبارات » التى يتكون منها البيت من الشعر والتى عليها فى كثير من الأحيان مدار جماله وروائه

تحققت من هذا كله ، فلم أحاول من أول الأمر ترجمة الشعر بالشعر ، ورأيت فى النثر وحده ، الأداة الصالحة للتعبير الصادق والنقل الأمين ، فهو لا يتقيد بهذه القيود التى يتطلبها الشعر ، ولا يتطلب من الصنعة إلا قدراً يسيراً ربما أمكن الوصول إليه بالتحلل من هذه القيود الشعرية الكثيرة

غير أن بعض غزليات حافظ كانت تقع من نفسى موقعا خاصاً ، وتؤثر فيها تأثيراً خاصاً ، فكنت أظل أنوء بها وهى تتردد فى صدرى حتى تخرج موزونة يمكن تسميتها « نظما » أو « شعراً » كما يمكن وضعها فى باب « التقليد » أو « التجديد »

وقد أوردت هذه القطع المنظومة ضمن هذه المجموعة المترجمة من الغزليات ، ولكننى كنت دائماً أقرنها بترجمة نثرية ، أعتبرها وحدها العماد فى المقابلة بين الترجمة والأصل الفارسى . وإن كنت أترك لذوقك الحكم فى هذه التراجم المنظومة التى حدثتك عنها

وكان « حافظ » فى كثير من الأحيان يخضعنى لأساليبه ، ولا أستطيع أن أخضعه لأساليبى بحيث انتهى بى الحال إلى أن أجد نفسى ، وقد سلكت طرائق مختلفة فى هذه الترجمة ، أستطيع أن أحصرها فيما يلى :

أولا : ترجمة منثورة مطلقة غير مقيدة ، لم أتبع فيها وزنا ولا سجعا

ومثالها الترجمة المنثورة للغزلية رقم ٣

ثانيا : ترجمة منثورة مسجعة ، فى شطرى البيت الواحد من الأصل . . . . . ومثالها الغزلية رقم ٢

ثالثاً : ترجمة منثورة مسجعة على نمط القوافى فى القصائد ، أى أن الشطرات الأخيرة من الأصل

تقع جميعها مقفاة فى الترجمة . . . . ومثالها الغزلية رقم ١٦

رابعا : ترجمة منثورة تتكرر فيها كلمة الرديف . . . . ومثالها الغزلية رقم ١١

خامسا : ترجمة منظومة متحدة مع الأصل الفارسى فى الوزن والقافية ، ومثالها الترجمة المنظومة للغزلية رقم ١

سادسا : ترجمة منظومة لم تتفق مع الأصل الفارسى فى الوزن والقافية أو فى أحدهما

ومثالها الترجمة المنظومة للغزلية رقم ٨٥

بإحدى هــذه الطرق ترجمت غزليات حافظ فـكانت سبلها مختلفة لا تتبع نهجا واحداً ؛ ولـكنى مع ذلك مغتبط بهذا الاختلاف فقد أبعـدها إلى حد ما عن الملل الذى يحس به من يسلك الدروب الواحدة والسأم الذى يصيب الناظر إلى صورة واحدة غير متباينة ، والضجر الذى يصيب النفس إذا استمعت إلى أقوال تجرى على وتيرة واحدة متشابهة متشا كلة

***

بقيت مسألة أخرى أحب إلا أنساها وهى أن اللغة الفارسية لا تعرف التذ كير والتأنيث ، وقد ترتب على ذلك صعوبة كبيرة فى ترجمة كلمات مثل « يار » و « دوست » و « آشنا » و « دلبر » و « شاهد » و « نـگار » و « دلدار » . . . . الخ

فهذه الـكلمات وأمثالها كما يمكن ترجمتها بصيغة المذ كر بمعنى « صاحب أو صديق أو معشوق » يمكن أيضاً ترجمتها بالتأنيث بمعنى « صاحبة أو حبيبة أو معشوقة »

والضمائر الفارسية التى تعود على مثل هذه الـكلمات لا تساعدنا على معرفة النوع أن كان ذ كراً أو أنثى ، لأنها واحدة فى الفارسية ، ولأنها تشير إلى كلا النوعين على السواء . . . . فضمير المخاطب « تو » يفيد « انتَ » للمذ كر ، كما يفيد « انتِ » للمؤنث . . . . ومثل ذلك ضمير الموصول « كه » معناه « الذى » أو « التى »

وقد رأيت توحيداً للترجمة أن أترجم مثل هذه الـكلمات بصيغة المذ كر إلا إذا دلنى السياق إلى عكس ذلك

وكان من أ كبر الأسباب التى دعتنى إلى سلوك هذه الطريق :

أولا : إن حافظا حينما استعمل الـكلمات العربيـة « حبيب » و « محبوب » و « معشوق » استعملها غالباً فى صيغة المذ كر

ثانياً : « معشوق » حافظ سيظل موضعاً للبحث والجدل والتساؤل هل كان من لحم ودم يمشى على قدمين أو كان ذاتا إلهية لطيفة لا يعرف كنهها إلا من وصل إلى مراتب الوصول ومدارج الـكمال ، وقد جرى العرف فى الحالة الأخيرة بالاشارة إلى المعشوق فى هذه الصيغة المذ كرة

الباب الثالث

أغاني شيراز

أو

غزليات حافظ الشيرازي

شاعر الغناء والغزل في إيران



چو در دستست رودی خوش ، بگو مطرب سرودی خوش

که دست افشـــان غزلخوانیم وپا کوبان سر اندازیم

بهشت عدن اگر خـــواهی بیا با ما بمیخـــانه

که از پای خمت روزی بحوض کوثر اندازیم

(من الغزل ٣٦٠)

الترجمة

وأمسكْ أيها الشادى ، برأس « العود » واطربنى

فإنى راقصٌ تيهاً ، ورأسى بالمـــنىٰ دائرْ

وتابعـــنى إلىٰ دارٍ ، بها حانوت خمارٍ

ففيها جنّةُ المأوىٰ ونهر الكوثر الزاهرْ



﴿ حرف الألف ﴾

غزل ١

ألا يا أيهـــا الساقى أدر كأسا وناولها
كه عشق آسان نمود أول ولى افتاد مشكلها

ترجمة منظومة

« ألا يا أيها الساقى ! أدرْ كأساً وناولها »
فإنى هائمٌ وجداً ، فلا تمسكْ وعجّلْها
بدا لى العشقُ ميسوراً ، ولكن دارت الدنيا
فأضحى يسرُهُ عسراً ؛ فلا تبخلْ وناوِلْها
وهل لى فى صبا ريحٍ مضتْ فى طُرةٍ شَعثى
بنشر الطيبِ تدعونى : ألاَ عجّل وقبّلْها
وذاك المنزل الهانى إذا يممتُه ، دقّوا
به الأجراس أن هيَّ رحالَ السير واحمِلْها
وشيخى عارفٌ يدرى رسوم الدار فاتبعنى
وخذ سجادة التقوى بماء الكرم فاغسلْها
قضيتُ الليلَ فى خوفٍ ، بحورُ الهمِّ تطوينى
فقل للعاتب الزارى : تعالَ الآن فانزِلْها
وأمرى ساء من حبّى لنفسى ، والورى يدرى
بسرٍّ كنتُ أخفيه ونفسٍ لم أبدّلها
اذا ماشئتَ لقياهُ تذكّر « حافظٌ ! » قولاً :
« متى ما تلق من تهوى ، دع الدنيا وأهمِلْها »

ترجمة منثورة

— ألا يا أيهـــا الساق أدر « الكأس » وناولها لى
فإن « العشق » ظهر لى سهلا فى البداية ، ولـكن وقعت بعد ذلك الصعوبات والمشاكل

— وفى نهاية الأمر ، على « رائحة » النافجة التى يفتحها « نسيم الصَّبا » عن تلك الذؤابة
ومن طيات شعراتها الجعدة المسكيّة السوداء ، أى دم وقع فى القلوب ! !

— وأى أمن أو راحة لى فى منزل الأحبة ، وفى كل لحظة من اللحظات
يصلصل الجرس قائلا : « أعقد الأحمال واربط الرحال » ! !

— فلوّن « السجادة » بالخمر ، إذا قال لك ذلك « شيخ المجوس »(١)
فإن « سالكا » مثله لا يجهل الطريق ورسوم المنازل

— والليل مظلم ، والخوف أمواج متلاطمة ، والأعاصير هائلة جامحة
فكيف يعلم بحالنا من يتنقلون بخفّة على السواحل ؟ !

— ولقد انتهى أمرى — من أجل رغائب نفسى — إلى سوء الشهرة
وكيف يبقى خافياً ذلك السر الذى تزخر به « المحافل » ؟ !

— ولـكن إن كنت تريد « الحضور » فلا تغب عنه يا « حافظ »
ومتى ما تلق من تهوى ، دع الدنيا وأهملها

ملاحظات وتعليقات على الغزل الأول

الشطرة الأولى من البيت الأول مأخوذة من قول يزيد بن معاوية مع شىء من التقديم والتأخير فى أجزائها . فإن قصيدة يزيد تبدأ بهذا المطلع :

أنام المسموم ما عندى بترياق ولا راق   أدر كأساً وناولها ألا يا أيها الساق

وقد تعرض بعض الفرس لحافظ ، فلاموه لاقتباسه من شعر يزيد ، وذلك لما يعرف عنهم من كراهية ليزيد قاتل الحسين بن على

(١) « پير مغان » بمعنى شيخ المجوس ويستعمله الصوفية بمعنى الشيخ الكامل أو المرشد الواصل كما يستعملون « دير مغان » أو « دير المجوس » بمعنى مجالس العارفين

قال : « اهلى الشيرازى[١] » (متوفى سنة ٩٤٢ هـ) شعراً فى هذا الشأن ، وفيه تعنيف شديد لحافظ لتضمينه شعر يزيد فى مطلع ديوانه ، قال :

خواجه حافظ را شبى ديدم بخواب گفتم أى در فضل ود انش بى مثال[٢]
از چه بستى بر خود اين شعر يزيد با وجود اين همه فضـــل وكمال
گفت واقف نيستى زين مسألة مال كافر هست بر مؤمن حلال

ومعناه : « إننى رأيت ليلة حافظاً فى المنام ، فخاطبته قائلا يا عديم المثيل فى الفضل والمعرفة ! لماذا ألزمت نفسك بشعر يزيد مع مالك من فضل وكمال ؟ فأجابنى : ألا تدرى بهذه المسألة الدقيقة ، وهى أن مال الكافر حلال للمؤمن ؟ ! »

وكذلك قال شاعر آخر هو « كاتبى النيسابورى » (متوفى سنة ٨٣٨ هـ) هذه الأبيات :

عجب در حيرتم از خواجه حافظ بنوعى كش خرد زان عاجز آيد
چه حكمت ديد در شعر يزيد او كه در ديوان نخست از وى سرايد
اگر چه مال كافر بر مسلمانان حلالست ودرو فيـــلى نشايد
ولى از شير عيبى بس عظيمست كه لقمـــه از دهان سگ ربايد

ومعنى هذه الأبيات هو ما يلى :

« إننى فى حيرتى أتعجب من حافظ بشكل يعجز العقل عن تصوره . فأى حكمة رآها فى شعر يزيد حتى يتغنى به فى بداية ديوانه ؟ ومع أن مال الكافر حلال على المسلمين ، وليس فى هذا مجال للقول أو الجدل ، ولكنه عيب عظيم على الأسد أن يختطف لقمة من فم كلب »

والظاهر أنه يشير بالبيت الأخير من هذه القطعة إلى قصة قديمة رائجة ، وهى أن أناساً من أهل شيراز لاموا حافظاً على تضمينه لقول يزيد فى مطلع أشعاره ، فأجابهم بقوله « لست أرى حرجا على من يرى كلباً فى فمه ياقوتة فيوقفه ليأخذها من فمه الملوث !! »

تفسير صوفى للغزل الأول

والصوفية ومن يتبعهم ممن يأخذون أشعار حافظ على أن لها مدلولات لا يدركها إلا الخبير بلغتهم ، يفسرون هذه القصيدة على النحو الآتى :

١ — يقول فى البيت الأول : ألا يا أيها « الساق » أى يا أيها المرشد الحقيق والهادى التحقيق إلى

(١) انظر شرح سودى باللغة التركية على ديوان حافظ
(٢) فى الأصل وردت « بى حساب » ، ولكنى أفضل جعلها « بى مثال » لإقامة القافية مع بقية الأبيات

الله الواجب الوجود — أدر « كأسك » بما احتوته من خمر إلهية ؛ ثم ناولنيها حتى استقى منها وحتى أروى غلتى ، فإنه قد ظهر لى « العشق » فى البداية عند ما عاهدت « الحبيب » سهلا يسيراً هيناً لا صعوبة فيه ، ولكن عرضت بعد ذلك مشكلاته ، وتتالت مصاعبه حتى أحسستُ بأننى أنوء بما حملت . ويقولون إنه يشير بعهده مع الحبيب إلى العهد الذى قطعه الإنسان مع الله حيث يقول تعالى « إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا » (سورة الأحزاب آية ٧٢)

٢ — البيت الثانى : وعلى «رائحة» أى الأمل ، فى هذه «النافجة» أى الرسالة التى يبعث بها «الحبيب» بواسطة « الصَّبا » أى الرسول بين العاشق والمعشوق ، ومن « طيات الشعر » أى الحواجز التى تمنع من انتشار « الرائحة » ، وتصل بالسالك إلى حالة « القبض » — « أى دم وقع فى القلوب » كناية عما يقع فى قلب السالك من حيرة وهو فى هذه الظلمة الدائمة التى تمتد كطيات الشعر الأسود الجعد »

٣ — البيت الثالث : وأى أمن للعيش لى فى منزل « الحبيب » عند ما اصل إليه وأفنى فيه . وهم فى كل لحظة يدقون لى الأجراس مُعلنةً بأن موعد الرحيل قد حان ، وأنه علىّ الآن أن أهيئ رحالى لأننى منتقل إلى « عالم آخر »

٤ — البيت الرابع : لوّن « سجادتك » أى كيانك ووجودك « بالخمر » أى بهذه الخمر الإلهية ، واتبع فى ذلك « شيخ المجوس » يعنى « شيخ الطريقة» أو « المرشد » . فإنه لن يضلك . فهو « سالك » فى سبيل الله . وهو أكثر دراية وخبرة ومعرفة « بالطريق » و « بالمنازل » و « بالمقامات »

٥ — البيت الخامس . « الليل مظلم » أى هذا الجهل الذى نضرب فيه شديد القتام ، وهذه الدنيا التى هى دار الفناء حالكة السواد ، وخوفنا ألا نصل إلى « الحبيب » متكاثر كالأمواج المتلاطمة ، وسط الأعاصير الصاخبة

فإذا كانت حالنا على هذا ، فكيف يعلم بها أصحاب الأحمال الخفيفة الذين يلزمون ساحل اللجة ، ولا يخوضون عبابها ؟ ! وقالوا إنه يقصد بهؤلاء السلف الصالح أو الملائكة الأطهار

٦ — البيت السادس : من أجل « حبى لنفسى » وانصرافى عن « معشوق » انتهى أمرى إلى سوء السيرة ؛ ذلك لأنى بحبى للكل أى لله الواجب الوجود ، إنما أنا أحب نفسى التى هى جزء من هذا الكل

وكذلك لأنى أذعت « السر » أى هذا الحب ، ولم أبقه خافياً فامتلأت به « المحافل » أى مجالس العارفين وزخرت به . ولكن هذا السر لم يكن ليبقى خافياً إلى الأبد

٧ — البيت السابع : فإذا كنت تريد « الحضور » أى وصال الحبيب ، فلا تغب عن ذكره أبداً ، فإذا لقيته بعد ذلك فدع أمور الدنيا واهملها

غزل ٢

أى فروغ ماه حسن از روى رخشان شما

آبروى خوبى از چاه زنخـــــدان شما

— يا من ضياء القمر من وجهك النضير يسطع ! !
ويا من « ماء الحسن » من بئر غمازتك[١] العميقة ينبع ! !

— لقد وصلت روحى إلى شفتى ، على أمل أن تراك
فما عساك تأمر ؟! أترجع إلى حيث كانت ، أم تتقدم للقياك ؟ !

— ولم يغمض أحدٌ عينه حينما دارت « نرجسة » عينك
نخير لهم ألا يبيعوا هذا « التعفف المستور » إلى سكارى حبك

— ولربما يصحو حظى النائم من غفوته وسباته
فإن ماء وجهك الساطع قد أصاب ناظرى بقطراته

— فارسل إلىّ مع « الصبا » قبضةً من ورد وجناتك
فلعلى أشم « نفحة » عطرة من تراب روضاتك

— ويا سقاة محفل « جمشيد »[٢] لتطل أعماركم ، ولتدم بالمراد أيامكم
ولو أن كؤوسنا لم تفض بالخمر على عهدكم

— فمتى يأتلف ويتحقق غرضى هذا يا رب ؟!
حينما يتحد خاطرى المجموع مع شعرك هذا المبعثر المضطرب

— فإذا مررت بنا فارفع — عن التراب والدماء — ذيلك
فإن القتلى كثيرون فى هذه الطريق ، وكلهم قرابين لك ! !

— و « حافظٌ » يدعو ويبتهل ، فاستمع إليه ، وقل : « آمين »
عندما يقول : « لتكن شفتك الحمراء التى تنثر السكر ، زادا لى على طول السنين »

---

(١) « زنخدان » النقطة العميقة التى تكون غائرة فى الذقن وهى من علامات الجمال

(٢) « جمشيد » من ملوك إيران الأقدمين ، من الدولة التى تعرف بالپشدادية ، وصلت الرعية فى أيامه إلى درجة كبيرة من الترف

— وأنت ياريح « الصبا » قولى نيابة عنا لساكنى مدينة « يزد » :
« لتكن رؤوس الذين لا يقرّون بحقوقكم كرات لصوالجكم[1] تعدّ »

— ونحن وإن بَعُدنا عن بساط قربكم ، ولكن الرغبة فيكم ليست قاصرة
ونحن عبيد لسلطانكم نثنى عليه وعليكم بالمدائح الباهرة

— فيا أيها الملك « الرفيع النجم ! » بربّك ساعدنى بهمة شانك ! !
على أن أقبل — كالنجم الرفيع — ترابَ إيوانك !!

غزل ٣

اگر آن ترك شيرازى بدست آرد دل مارا
بخال هندويش بخشم سمرقند وبخارارا

ترجمة منظومة

لك الدنيـــا وما فيها أيا تركىّ شيراز — سمرقنـــدٌ لك الأخرى وتتلوها بخاراها
فيا ساق لنا الباق ، ففى الجنّاتِ لا تمشى — على حافاتِ « رُكناباذِ » أو روضِ مصلاها[2]
ويا حزنى ، وقد عاشوا على سلبى مُنَى قلبى — كفعلِ الترك قد عاشت على أسلاب قتلاها
جمال الخلّ تُغنيه ، عن التدليل فى عشق — خدودٌ لونها صاف بلون الورد سوّاها
و« يوسف » من كمال الحسن والإعراض فى تيهٍ — « زليخا » تلك أحشياها على وجد وأضناها
وعاكَ الله أن تمضى ، بإيلامى وتجريحى — فَمُرّ القول لا يجرى على ثغر رشفناها

(١) وربما كان فى هذه القصيدة شىء من التعريض بملك يزد فهو يقول إن كأسه لم تفض بالخمر على عهده وكأنه فى هذا البيت الذى يخاطب به سكان مدينة « يزد » ، والبيتين التاليين له يعتذر عن شىء بدر منه

والظاهر أن ملك يزد كان ضنينا عليه ، فقد ذكره فى قصيدة أخرى بقوله :

شاه هرموزم نديده بكزمان صد لطف كرد — شاه يزدم ديد ومدحش كردم وهيچم نداد

يعنى : أن شاه مدينة هرمز لم يرنى قط ومع ذلك فقد تلطف على مئات المرات
وأما شاه يزد فقد رآنى ومدحته ومع ذلك فلم يعطنى شيئا

(٢) « ركناباد » نهر بشيراز ؛ و « روضة المصلى » محلة بها كان يقيم فيها حافظ وبها قبره ، وكثيراً ما تغنّى حافظ بهذين الموضعين

فياروحى! استمعْ نصحى ، فنصحُ الشيخِ مقبولٌ   لدى الشبّان ردّده وقُلْ : ذكرىً وعيناها
حديثَ المطرب استمعْه ، وسرَّ الدهرِ قاطعْه   فما حلّوا من الأيام والدنيا معمّاها
تعال انظم لنا شعرا ، وهيئْ نظمه دُرَّا   فقد شدّت لك الأبراجُ فى عقدٍ ثُريّاها

ترجمة منثورة

— لو أن ذلك التركى الشيرازى يأخذ قلوبنا بإشارة واحدة من يده
فإننى من أجل خاله الأسود أهبه « سمرقند » و « بخارا »[(١)]

— فيا أيها الساقى ! ناولنى الخمر الباقية ، فلن تجد فى جنة المأوى
أحلى مكانا من حافة نهر « ركناباد » ، وروضة « المصلى »

— ويا أسفا ! إن النوريات الجسورات الطيبات ، الفاتنات ،
سلبن الصبر من قلبى كما يسلب الأتراك خوان الأسلاب

— وجمال الحبيب فى غنًى عن حبنا الناقص الذى لا يكمل
وأى حاجة لوجهه فى التزين والتجمل ، وفيه النضرة والبهاء ، والخال والخط ! ![(٢)]

— ولقد علمتُ — أنه بسبب ذلك الحسن الوضّاح الذى كان « ليوسف » —
إن العشق ربما أخرج « زليخا » عن حجاب العصمة

— فإذا وبختنى أو عنّفتنى فإننى أدعو الله قائلا :
أيليق الكلام المرير بالشفاه الحلوة الحمراء ! ؟

— فيا حبيبى ! استمع لنصيحتى فإن الشبان السعداء
يحبّون أكثر من أنفسهم نصيحة « الشيخ » العارف

---

(١) روى المؤرخون وأصحاب التراجم أن « تيمورلنك » حينما دخل شيراز لأول مرة ، استقدم حافظا إليه ولامه على قول هذا الغزل

قال تيمورلنك : « إنى سخرت أكثر الربع المسكون بحدّ السيف والحسام ، وأما أنت فتهب موطنى العزيزين « سمرقند » و « بخارا » إلى خال أسود على وجه ترك شيرازى

أجاب حافظ : بسبب هذه الهبات الخاطئة — يا مولاى — وأنا أقضى حياتى فيما أنا فيه من فقر ومسكنة ... ...
فضحك « تيمورلنك » وعفا عنه

(٢) « الخال » هو الشامة السوداء على وجه الحبيب ، و « الخط » هو الشعرات الصغيرة النابتة حول الوجه

— وتحدث عن المطرب والخمر ، وأقلّ البحثَ ، فى أسرار الدهر
فإن أحداً لم يحلّ ، بالحكمة هذا اللغز المعمى ، ولن يكشف عنه أحد

— وأما أنت يا « حافظ » ! فقد قلت غزلا ، فنظمت دررا ؛ فتعال وغنها فى صوت عذب
كيما ينثر الفلكُ على نظمك عقدَ الثريا

غزل ٤

دوش از مسجد سوى ميخانه آمد پير ما
چيست ياران طريقت بعد ازين تدبير ما

ترجمة منظومة

صلاة الأمس أدّاها ، وولّى نحو حانوتٍ
رفاقَ العمر ! قولوا لى : أفيما كان تدبيرُ ؟!
فإنّا من مريديهِ ، فكيف الآن نتلوهُ ؟!
وسعيُ «الشيخ» للخمّار والحانات مقصور؟!
وإنا من محبيه ، ومحوبنا « خراباتٌ »
ومن عهد مضى بعداً ، جرى فى ذاك تقدير
ولو يدرى الأولى لاموا ، بطيبِ الحالِ فى قيدى
لَجُنُّوا رغبةً سعياً لقيدى وهو زنجير
وذاك الوجه من نور بدا فى حسنه آياً
هى الحسن ، وما فيها لغير الحسن تفسير
وأما قلبهِ العاتى ، فما لانت نواحيه
بأنّاتى وقد أمسى لها فى الليل تسعير
فباعدْ آهة المحزونِ واحذرْها لكى تمضى
إلى الأفلاك بالشكوى... وهل للأمر تغيير ؟!

ترجمة منثورة

— ليلة أمس ، أقبل شيخنا من المسجد إلى الخان
فيا رفاقَ الطريقة ! ما التدبير بعد هذا الذى كان ؟ !

— وكيف نتّجه إلى القِبْلة نحن المريدين الأخيار
بينما يتجه الشيخ إلى حانة الشراب ودار الخمّار ! !

— وفى « خرابات » الطريقة ، نحن زملاء وأقران
وهكذا جرى التقدير علينا ، منذ عهد الأزل وأقدم الأزمان

— ولو علم العقل ، كيف يطيب حالُ القلب فى قيد ذؤابتك
لجُنَّ العقلاءُ رغبةً فى التقيد بسلاسل طرتك

— ولقد كشف علينا وجهك « آيةً » من « اللطف » الرائع
ومنذ ذلك الوقت وليس فى « تفسيرنا » غير لطفك وحسنك الجامع

— فهل يؤثِّر — فى ليلة من الليالى — فى قلبك الحجرى النافر ،
تأوهاتى النارية ، وسعيرُ صدرى المتقد الساهر ؟!

— وهاك سهم تأوهى ، يخترق الأفلاك ، فالصمتَ الصمتَ !! أيها الحبيب !!
وكن رحيما ، واخلص بروحك ... ، وابتعد عن سهمى الرهيب !!

غزل ٥

ساقى بنـــــور باده بر افروز جام ما
مطرب بگو كه كار جهان شد بكام ما

— أيها الساقى !! أشعل بنور الخمر كأس شرابى
وأنت أيها المطرب !! غَنِّ لى وقُلْ : « أصبحت الدنيا وفقاً لمرادى »

— فكثيراً ما رأيت فى كأس الشراب ، صورة الحبيب ممثلةً بادية
فهل عندك نبأ بذلك ، يا من تجهل لذة احتساء الخمر الصافية ؟!

— ولن يموت أبداً من يعيش قلبه على العشق الدائم
ولذلك فدوامنا مثبتٌ فى صحف العالم ... !!

— أمّا هذه النظرة الفاترة ، وهذه القامة الهيفاء ، فإلى متى تكونان ؟!
وشجرة السرو المجلوة تقبل علينا كالصنوبرة المختالة فى اطمئنان !!

— فيا نسيم الصبا ! إذا مررتَ بروضة الأحباب
تنبّه ؛ واعرض رسالتى على الأحبة والأصحاب

— وقل له ، لماذا تتعمّد أقصاءَ إسمى عن ذاكرتك ؟!
(لست فى حاجة إلى ذلك) فسيأتى الوقت الذى ينمحى فيه ذكرى من عندك !!

— والشراب والخلاعة جميلان فى عين حبيبى الناعسة المخمورة
ومن أجل ذلك فقد أسلموا زمامى إلى الشراب والخلاعة المحظورة

— وأشد ما أخشاه — أنه فى يوم القيامة — سوف لا يفضلُ أو يرجُح فى الميزان
خبزُ الشيخ الحلال ، شرابىَ الحرام المعتق فى الدِّنان

— فيا « حافظ » ! اسكب حَبَّةً واحدة من دمعك
فربما يقع « طائر الوصل » فى شباك أسرك !

— وبحر الفلك الأخضر — وهذا الهلال السابح كالسفينة
غريقان فى نعم « الحاج قوام الدين »[1] ، وأفضاله الثمينة

غزل ٦

صوفى بيا كه آينه صافيست جام را
تابنگرى صفاى مى لعـــل فام را

— تعال أيها الصوفى !! فإن مرآة القلب صافيةٌ لـكأس من الشراب ؛
وانظر فيها لـكى ترى صفاء الخمر الحمراء القانية

— واسأل السكارى المعربدين عن الأسرار التى تكنُّها الحجب والستر
فهذه الحال ليست حال الزاهد العالى المقام

— « والعنقاء » ليست صيداً لأحد ؛ فاجمع شباكك
فـكل ما يقع فيها هو قبض الريح ... !!

— وفى وقت الطرب ، خذ كأساً أو كأسين ثم انصرف
ولا تطمع فى دوام الوصال ... !!

— ويا قلبى !! لقد انقضى الشباب ولم تجن وردة واحدة من ورود العيش
فالآن وقد كبرت رأسك ، لا تهتم بالحياة والشهرة

---

(١) هو حاجى قوام الدين حسن وزير أبى إسحق اينجو حاكم شيراز (المتوفى سنة ٧٥٤ هـ)

— واجتهد فى العيش نقداً ؛ لأنه عندما نضب الماء
ترك آدم روضة دار السلام

— وعلينا حقوق كثيرة للخدمة على أعتابك
فيا أيها السيد ! انظر بترحم مرة أخرى إلى غلامك وخادمك

— و « حافظٌ » مريد لجام من الخمر ؛ فاذهبى يا ريح الصبا !
واعرضى خضوعى على الشيخ « جام »[1]

غزل ٧

صبا بلطف بگو آن غزال رعنا را
كه سر بكوه وبيابان تو دادهٔ ما را

— يا ريح الصبا ! قولى بلطف لهذا الغزال الأرعن :
أنك قد طوّحت برأسى فى الجبال والفلوات

— و « بائع السكر » هذا الذى أدعو له بطول العمر ،
لماذا لا يتفقد هذه الببغاء التى تعيش على مضغ السكر ؟!

— تُرى أيتها الوردة ، هل أخذك غرور حسنك فلم تجيزى لنفسك
أن تسألى هذا العندليبَ الموله بك ، أى سؤال !!

— وبالخُلق واللطف يمكن صيد أهل النظر
أما بالشباك والأحابيل فلا يمكن صيد الطائرُ الحذر

— ولست أدرى لم لا يكون للصداقة لون
عند طوال القد ، سوداوات العيون ، ذوات الوجوه كالأقمار !!

— فإذا جلست مع الحبيب وبدأت تكيلَ الخمر
فتذكّر قليلا كلّ من يحب اكتيال الخمر !!

---

(١) هو الشيخ أحمد تمسكى ، أحد أصدقاء حافظ ؛ و « جام » أيضا يعنى الكأس

— ولست أستطيع أن أعيب جمالك فى شىء
إلا أن الحب والوفاء لا يكونان فى أصحاب الوجوه الجميلة

— فأى عجب فى السماء، إذا أضحت أقوالُ « حافظ »
أغنيةً للزُهرة تدعو المسيح إلى الرقص[1] ... !!

غزل ٨

رونق عهد شبابست دگر بستان را
ميرسد مژدهٔ گل بلبل خوش الحان را

— الآن يتجدد الشباب مرةً أخرى فى البستان
فتصل بشرى الورد إلى البلابل الشادية بأعذب الألحان

— فيا نسيم الصبا ! إذا مررتَ على شباب الخميلة مرة أخرى
فاعرض خدماتنا على السرو والورد والريحان

— وإذا تجلّى هذا الطفل المجوسى — ابن بائع الخمر — مثل هذا التجلى
جعلتُ أهدابى — من أجله — مكنسة لباب الحان

— فيا من تسحب على القمر صولجاناً من العنبر الخالص[2]
لا تجعلنى مضطرب الحال ، فإنى دائر الرأس حيران

— ولشد ما أخشى ، أن هؤلاء الذين يضحكون ممن يشرب الثمالة
سيُتلفون فى نهاية الأمر ما عندهم من إيمان ... !!

— فكن صديقاً لرجال الله ، فقد كانت فى سفينة نوح
حفنة من تراب لم تهتمّ بأمر الطوفان

---

(١) يشير بذلك إلى ما تعارفوا عليه من أن المسيح ارتفع إلى السماء الرابعة . وفى هذه الطبقة من السماوات توجد أيضا « الزهرة » التى تمثلها الأساطير بامرأة جميلة لعوب

(٢) هو هنا يصور وجه الحبيب بالقمر ، وهذه الخصل المتهدلة حوله كأنها الصولجان المصنوع من العنبر الأسود اللون

— واذهب عن هذا المنزل الدائر[١] ، ولا تجهد نفسك بطلب الخبز
فهذه الدنيا البخيلة ذات الكأس السوداء تقتل ضيفها فى نهاية الأمر

— وقل لمن مضجعه فى النهاية قبضتان من التراب :
ما حاجتك إلى رفع الإيوان إلى الأفلاك ؟!

— ويا قمرى — قمر كنعان — لقد أضحى لك مسند مصر
وقد حان الوقت الذى تودع فيه محبسك

— أما أنت يا « حافظ » ! ! فاشرب الخمر ، وعربد ، واهنأ بالا ؛ ولكن
لا تجعلْ القرآن — مثل الآخرين — شبكةً للتزوير والتمويه ... !!

غزل ٩

ساقيا بر خيز ودر ده جام را
خاك بر سر كن غم ايام را

— أيها الساقى ! قم فأدر الكأس وناولنى المدام ، وانثر التراب على أحداث الزمان وأحزان الأيام
— وضع كأس الخمر فى كفى ، حتى (أستطيع أن) أخلع عن صدرى هذا الدلق الأزرق اللون[٢]
— وإذا ساءت شهرتنا لدى العقلاء ، فنحن لا نريد الشهرة الواسعة ولا الصيت العريض
— وناولنى الخمر ، (فلست أعرف) إلى متى تثير ريح الغرور ، ترابها فوق النفوس السيئة العاقبة
— والدخان المنبعث من تأوهات صدرى المحترق ، كافٍ لإحراق هؤلاء الضعفاء الأغرار ... !!
— ولست أجد بين الناس محرماً لأسرار قلبى المولّه ، سواء التمستُ منهم الخاص أو العام
— ولكن خاطرى منعّم هانئٌ مع حبيبى ، ولو أنه سلب الراحة من قلبى دفعة واحدة
— ولن ينظر مرة أخرى إلى السرو فى الخميلة ، من رأى شجرة السرو ذات القامة الفضية
— فاصبر يا « حافظ » ! على شدة الأيام والليالى ، فستظفر فى النهاية — يوماً ما — برغباتك ..!!

---

(١) الدنيا (٢) لباس الدراويش

غزل ١٠

دل میرود ز دستم صاحبدلان خدارا

دردا که راز پنهان خواهد شد آشکارا

ترجمة منظومة

أفلَتَ من مقدوري ، يا قلبي ! اقتدارا

أسفاً ، سيصبح أمري مفتضحاً وجهارا

يا ريح ! قوى همّي ، في مَراكبي وخُبّي

فربما رأينا حبيبنا المختارا

أيامنا الدواني ، خرافةُ الأماني

الغنمُ فيها قُرْبي من الحبيب دارا

في روضةٍ غنّت لي ، عنادلٌ أشجتني

« هات الصبوح هيا يا أيها السكارى »

يا صاحب الكرامهْ ! شكراً ! لكَ السلامهْ !

انظرْ لنا بحنانٍ ، إنّا هنا حيارى

وراحة الأماني ، تفسيرها يدريه

من للصديق تَمنّى ، وللعدوّ دارَى

ما أدخلونا يوماً ، في مجمعٍ لكرامٍ

إن كنت تأنف هذا ، فالغِ القضا اقتدارا ؟!

والخمر إن أسمَوْها : « أمّ الخبائث طُراً »

« أشهى لنا وأحلى من قُبْلة العذارى »

أيامنا إن ضاقت ، نحسو بها البواقى

فهذه أكسيرٌ ، يُضحى الفتى جبارا

فلا تكن عنيداً ، فتحترقْ أكيداً

فالصخرُ أضحى شمعاً ، في كفّه ، وصارا



(حافظ كما تخيله المصور الألمانى فوير باخ)

انظر فكأس شرابى مرآةُ ذى القرنينِ
إنى أريك فيها أحوال ملك دارا
والطيبات قولاً ، الواهبات عمرا
يا شاربيها بِشْراً ، إبريقها قد دارا
لا تشتغلْ بعتابى ، والخمر ملء ثيابى
يا شيخنا المنقّى ! أبغِ لنا الأعذارا

زجمة منثورة

— لنا الله يا « أصحاب القلوب » ، إن قلبي يفلت من قبضتي
فيا أسفا ! أن سرى سيصبح مكشوفاً ، وستعرف طويتي
— ونحن جلوس فى سفينة ، فهبى أيتها الريح المواتية
فربما تمكنا من رؤية الحبيب وطلعته ، ثانية !!

— وحب البقاء لا يستغرق إلا عشرة أيام ، وهو خرافة وخدعة
فاعتبر القرب من الأحبة فرصة وأى فرصة

— وليلة أمس ، غنى البلبل فى حلقة الورد والشراب :
فقال : « هات الصبوح ، هيا يا أيها السكارى والأحباب »

— فيا صاحب الكرامة ، لك شكر السلامة والأمان
ولكن تفقد يوما « الدرويش » المسكين ، فى شىء من الرقة والحنان !!

— فراحة العالَمين فى هاتين الكلمتين على السواء
وهما : « أن تستعمل المروءة مع الأصدقاء ، والمداراة مع الأعداء »

— ولقد منعونا عن العبور فى جادة الاستقامة وحسن الصيت
فإذا لم يعجبك هذا فغير القضاء ، وما أُعطيت ! !

— وأما هذه الخمر التى أسماها الصوفى بأم الخبائث والأقذار
فهى أشهى لنا وأحلى من قبلة العذارى والأبكار

— وفى زمن الفقر والكفاح والشراب والمجون
تجعلُ « كيمياءُ الوجود » مَنْ احتساها ، فى غنى قارون

— فلا تكن عنيداً ، فإن الحبيب يحرقك كالشمع بسبب غيرتك
والحجر الصلد يذوب فى يده فيصبح شمعاً ، يرق ويلين

— فانظر ، إن مرآة الإسكندر هى كأس الشراب
وسأعرض عليك فيها أحوال ملك « دارا » (١)

— وأما الحسان اللائى يتحدثن الفارسية ، فهن واهبات لطول الأعمار
فيا أيها الساق ! عليك بالبشرى للمعربدين والأطهار

— وأما « حافظ » فلم يلبس — من تلقاء نفسه — هذه الخرقة الملطخة بشراب الخمّار
فيا أيها الشيخ الطاهر الذيل ! ! التمس لنا الأسباب والأعذار ! !

---

(١) يقولون إنه كانت للاسكندر مرآة يرى فيها أحوال العالم وكان ينظر فيها قبل أن يقدم على الفتح والغزو فإذا وجد السبل ميسرة أقدم ، وإن وجدها عسيرة أحجم

غزل ١١

صلاح كار كجا ومن خراب كجا
ببين تفاوت ره از كجاست تا بكجا

— أين صلاح الحال من خراب حالى . . . . أين ؟!
فانظر قدر تفاوت الطريق من أين إلى . . . . أين ؟!

— إن قلبي أصبح متعباً من الصومعة وخرقة النسك . . . . . .
فأين دير المجوس ، وأين الشراب المصفى . . . . أين ؟!

— وأى علاقة بين الخلاعة ، وبين الصلاح والتقوى . . . .
وأين سماع الوعظ ، من نغمة الرباب . . . . أين ؟!

— وماذا يدرك الأعداء من وجه الحبيب المضيء . . . .
وأين المصباح المنطفئ الخابي ، من شمعة الشمس الوهاجة . . . . . أين ؟!

— وتراب أعتابك هو الكحل لعيني . . . .
فكيف نمضي عن هذا الجناب ؟ أصدر أمرك ، وإلى . . . . أين ؟!

— فلا تنظر إلى تفاحة غمازته[1] ، ففي الطريق بئر . . . .
وإلى أى مكان تمضي يا قلب ، في هذه العجلة وإلى . . . . أين ؟!

— لقد ذهبت أيام الوصال ، وأصبحت ذكرى طيبة . . . .
فأين ذهبت هذه النظرة الساحرة ، وأين ذهب هذا العتاب اللطيف أين ؟!

— فيا أيها الصديق ! لا تطمع في أن تجد في «حافظ» استقراراً أو نوماً هادئاً
وما هو الاستقرار ، وما هو الاصطبار ، وأين النوم الهادئ . . . . . أين ؟!

---

(١) الغمازة : طابع الحسن الذى يكون في الذقن أو الخد

غزل ١٢

بملازمان سلطان كه رساند اين دعارا
كه بشكر پادشاهى ز نظر مران گدا را

— من يبلغ دعائى هذا إلى ملازمى السلطان ؟!
وبشكرى للمليك ، يسأله ألاَّ يقصى عن نظره هذا السائل الحيران

— وأنا أستغيث من هذا « الرقيب » ، الشيطانى السيرة ، وأستعيذ بالله
ولربما ساعدنى ذلك « الشهاب الثاقب » وأعاننى بالمدد ، حباً فى الله[1] !!

— وإذا أشارت أهدابك السوداء فأجازت قتلى ؛ فأنا لك الفداء
ولكن تمهل أيها الحبيب !! وفكر قليلا فى خدعتها ؛ ولا ترتكب الأخطاء !!

— ولقد تستطيع أن تحرق قلوب العالمين حينما تشعل خديك بالضياء
ولكن ما فائدتك من هذا ، ولم لا تستعمل المداراة والصفاء ؟!

— وطوال الليل ، وآمالى متعلقة بنسيم الصباح
لعله يتلطف على الأحبة برسالة تعلنهم ببشرى الأفراح

— فيا حبيبى !! أى « قيامة » تلك التى أثرتها فى قلوب عاشقيك
فتعال ، واظهر لنا « وجهك » فالقلب والروح فداء لك ، ونحن من محبيك

— وبربك ناول « حافظاً » جرعة واحدة ، فهو قوَّام بالسحر
يدعو الله أن يؤثر فيك « دعاء الصباح » بأثره المنتظر !!

---

(١) كما أن الشهب تقتل الشياطين التى تحاول الهبوط إلى الأرض ، فهو كذلك يستغيث بذلك الشهاب الثاقب على رقيبه الشيطانى



﴿ حرف الباء ﴾

غزل ١٣

ميدمد صبح وكله بست سحاب

الصبـــوح الصبوح يا أصحاب

— ها هو الصباح يتنفس ، وقد انعقدت خيام السحاب ، فالصبوحَ الصبوحَ ؛ أيها الرفاق والأصحاب !!

— وها هى قطرات الندى تقطر على صفحات « الشقائق » ، فالمدامَ المدامَ ، أيها الخلان والأحباب !!

— وها هى نسائم الجنة تهب من البستان ، فعبّ الكأس — لحظة بعد لحظة — من الشراب المذاب

— وها هو الورد قد هيأ عرشه الزمردى السرمدى ، فأدركْ الكأس النارىّ ، فقد احمرّ الشراب

— ولقد أقفلوا أبواب الحانات ، ولكننى لا زلت أدعو الله : أنْ افتحْ يا مفتّح الأبواب

— ولشفتيك وثناياك حقوق ، مفروضة على الأرواح والصدور المحروقة الإهاب

— ومن عجبٍ ، أنهم فى موسم مثل هذا ، يقفلون — فى عجلة — دور الخمر والشراب ؟!

— ولكن كن « كحافظ » فاشربْ على وجه الساقى الجميل ، كأساً رقراقة تَوّجها صفاء الحُباب

غزل ١٤

گفتم ای سلطان خوبان رحم کن بر این غریب
گفت در دنبال دل ره گم کند مسکین غریب

ترجمة منظومة

قلتُ : يا سلطان قلبى ، كنْ رحيما بالغريبْ
قال : فى إثر الهوى ، قد يشرد السارى الغريبْ
قلتُ : قف عندى ، رويداً ! قال : دَعْنى واختيارى
لستُ فى نعمى هنائى أشتكى لومَ الغريب
قد جعلتُ الفرو فرشاً ، واتخذت الكون عرشاً
لست أرثى لو تغطى بالحصى ذاك الغريب
قلتُ : قلبى قد تردّى فى افتتانٍ وتمنّى
وبحسن الخال غنّى ، قال : يا نعم الغريب !!
خدُّه الحمرىّ يبدو ، بعد كأسٍ قد حساها
مثل لون الأرغوان ، فوق نسرينٍ غريبْ
وغريبٌ كيف يبدو ، ذلك الخطّ نحيلا
وجميلا وهو لا يبدو على الرسم غريب !!
قد قضيتُ الليل حزناً ، فى حنين واصطبار
فاخشَ دمعى يا حبيبى ! فى الدجى يبكى الغريب
قال لى سراً وهمساً : حيرةُ الأصحاب كبرى
ليس شيئاً ما رأيتَ ، قد دها ذاك الغريب !!

ترجمة منثورة

— قلت : « يا سلطان الحسان ! كن رحيما على هذا الغريب »
قال : « فى أثر الهوى كم يضل المسكين الغريب »

— قلت له : « رويدك ، لا تمض عنى ! » ، قال : « عفواً ، اعذرنى ! »
فمن تربّى فى نعيم لا يستطيع أن يقدّر متاعب الغريب

— وماذا يعنيه ؟ وهو المدلل الذى ينام على فرو سنجابى وثير
إذا كان — من قتاد أو حجر — مرقد هذا الغريب ..؟!

— فيا من أضحت سلاسل ذؤابتك ، المأوى لكثير من الأحباب
ما أبدع هذا الخال الأسود ، على صفحة الورد الأحمر الوحشى الغريب ! !

— وكأنّ لون الخمر إذا بدا فى وجهك القمرى
أوراق الأرغوان على صفحات النسرين الغريب[1]

— وما أعجب هذا الخط النحيل الذى يلتف حول صدغيك
ومثل هذا الخط الأسود لا يستغرب فى « معرض الصور » وليس بالعجيب

— قلتُ : « إن ليل الغرباء ، فى طرتك السوداء »
فالحذرَ الحذر ! ! فى وقت السحر يبكى الغريب

— فأجاب : « يا حافظ ! إن الأحباب أنفسهم فى « مقام » الحيرة ،
فليس غريباً أن يظل ، فى عنائه وشقائه ، ذلك الغريب !! »

---

(١) الأرغوان أحمر اللون ، والنسرين ناصع البياض



﴿ حرف التاء ﴾

غزل ١٥

ای نسیم سحر آرامگه یار کجاست ؟

منزل آن مه عاشقکش عیار کجاست ؟

— يا نسيم السحر ! أين مأوى الحبيب . . . . أين ؟!
وأين منزل القمر الساحر الذى يقتل عشاقه . . . . أين ؟!

— والليل مظلم ؛ والوادى أمامك آمن
فأين نار الطور[1] ، من موعد الرؤية واللقاء . . . . أين ؟!

— وكل آت إلى هذه الدنيا فهو زائل وعليه طابع الخراب
فهل تسأل فى الخرابات و (الحانات) أين المفيق الآمن . . . . أين ؟!

— وأهلٌ للبشارة مَنْ يعرف أسرار الإشارة
لأن النكات اللطيفة كثيرة ، ولكن أين محرم الأسرار المؤتمن عليها . . . أين ؟!

— وكل شعرة من شعرات رأسى ، عليها آلاف من الحقوق لك
فأين نحن ؟ وأين اللئيم اللاهى . . . . أين ؟!

— فاسأل ثانية خصلاته الجعدة الملتفة
أين هذا القلب الحزين المأخوذ بالدوار . . . . أين ؟!

— ولقد جُنّ العقل ، فأين هذه السلاسل المسكية السوداء ؟
واعتزلنا القلب ولزم الأركان ؛ فأين محراب[2] الحبيب . . . . أين ؟!

---

(١) إشارة إلى ما جاء بسورة طه ، آية ٨ (وهل أتاك حديث موسى ، إذ رأى نارا فقال لأهله امكثوا إنى آنست نارا لعلى آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى ، فلما أتاها نودى يا موسى إنى أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالوادى المقدس طوى)

(٢) « ابرو » بمعنى حاجب العين ويستعيرونه دائما بمعنى المحراب الذى يتجه إليه العاشق فيطيل فيه النظر والتهجد

— ولقد اجتمع لدينا الساقى والمطرب والخمر ؛ ولكن
العيش بغير الحبيب ، لا يكون ميسراً مهيأ ؛ فأين الحبيب . . . . أين ؟!

— فيا « حافظ » ! لا تتألم من رياح الخريف إذا عصفت بخميلة الدهر
وفكر فى المعقول قليلا ، ثم قل لى : أين الورد بغير الأشواك . . . . . أين ؟!

غزل ١٦

دل سرا پردهٔ محبت اوست
دیده آئینه دار طلعت اوست

— إن القلب رواق لمحبته ، والعين مرآة لطلعته
— وأنا الذى لا أخضع لكلا العالمين ، أجد عنقى ينوء تحت أحمال منّته
— فعليك بشجرة طوبى ؛ وعلينا نحن بقامة الحبيب ، فكل امرىء فكره على قدر همته !!
— وإذا كنتُ ملوّثَ الذيل فأى عجب ؟! وجميع العالم شهود على عصمته[1] !!
— وما عساى أكون فى هذا الحَرَم ، حيث تلازم « الصبا » ، حريم حرمته ؟!
— فيارب ! لا تجعل العين تنظر إلى غير خياله ، فهذا الركن الأعزل (أى العين) هو مكان خلوته !!
— والورود النضيرة التى تزدان بها الخميلة ، هى أثرٌ من لون رفقته ورائحة صحبته
— ولقد انقضت نوبة « المجنون »[2] وأصبحت النوبة نوبتنا ، ولكل شخص خمسة أيام هى مقدار نوبته
— ومملكة العشق ، وزاوية الطرب ، وكل ما أملك ؛ جميعه من يمن همّته
— وأى خوف إذا فنيتُ ، وفنى معى قلبى ، والغرض المقصود هو سلامته ؟!
— فلا تنظر إلى « فقرى الظاهر » ، فإنّ لـ « حافظ » ، قلباً هو خزانة عامرة بمحبته

---

(١) أى إذا كنت أنا ملوّث الذيل إلا أن معشوق مشهود بطهره وعصمته
(٢) أى مجنون ليلى

غزل ١٧

سر إرادت ما وآستان حضرت دوست
که هرچه بر سر ما میرود إرادت اوست

— دعني بإرادتي ألزم دار الحبيب وعتبته
فكل ما يصيبني هو وحيٌ لإرادته

— ولا نظير لحبيبي بين الشموس والأقمار
ولو نصبت المرايا في مقابل وجنته . . ! !

— وأي شرح تنشره « الصبا » لحال قلبي الأسيف
وقد أصبح كالبرعمة أوراقها مطوية ملتفّة ؟!

— وأنا وحدي لست السكّير العربيد في هذا الدير !؟
وما أكثر الرؤوس التي أصبحت طينة « للأباريق » في هذا المصنع . . ! !

— ولربما مشطتَ يا حبيبي طرّتك السوداء
فتعطّر النسيم بالغالية وفاحت الأرض بالعنبر

— ونثارُ وجهك ، أوراقُ الورد في الخمائل
وفداء قدك ، أشجارُ السرو على الجداول

— وإذا عجز اللسان الناطق عن وصف الشوق إليك
فكيف بالقلم المشقوق اللسان الذي يهرف بما لا يعرف ؟!

— وقد استقر خيالك في قلبي ؛ وسأجد به بغيتي
لأن الفأل الطيبة تقفو الحال الطيبة

— ولم تستعر نار الهوى — في هذه اللحظة فقط — في قلب « حافظ »
لكنه « كالشقائق » الوحشية [1] قد اكتوى ، منذ القدم ، بوسم الأزل

---

(١) شقائق النعمان ويسمونها بالفارسية « لاله »

غزل ١٨

آن سیه چرده که شیرینی عالم با اوست
چشم میگون لب خندان دل خرّم با اوست

— أسمر اللون ، معه حلاوة الـكون
له عين مخمورة ، وشفة ضاحكة ، وقلب طروب

— وأصحاب الأفواه العذبة ؛ جميعهم ملوك يتحكمون
ولـكنه وحده « سليمانُ الزمان » الذي معه الخاتم[١]

— ووجهه جميلٌ ، وعلمه مصدّق ، وهو كامل الفضل
فلا جرم إذا شملت همته أطهار العالمين

— وخاله المسكي كالقمحة على خـده الوردى
وهو يعرف سر الحبة التي ضللت آدم

— فلنا الله أيهـا الرفاق ، إذا عزم الحبيب على السفر
وماذا أعمل بقلبي الجريح ، ومعه « المرهم » ؟!

— وهل أستطيع أن أحكي لأحد هذه النكتة اللطيفة : وهى أنه فى قسوة قتلنى
وإن كنت أعلم أن له أنفاس عيسى بن مريم[٢] !!

— ومع ذلك فـ « حافظ » من جملة المعتقدين فيه ؛ فـكرّمه وعزّزه
فلديه العفو عن كثيرٍ من الأرواح الـكريمة المعزّزة . . !!

---

(١) يشبه فمه بالخاتم لضيقه

(٢) أى أن له القدرة على إحيائنا كما كانت لعيسى القدرة على إحياء الموتى

غزل ١٩

آن شب قدری که گویند أهل خلوت امشبست
یا رب این تأثیر دولت در کدامین کوکبست

— الليلة « ليلة القدر » كما يقول أهل « الخلوة »
فيا رب ! فى أى الكواكب يكون تأثيرها السعيد ؟!

— وقد أخذت القلوب فى « الحلقة » تردد ذكر « يا ربّ !؟ يا ربّ !؟ »
لكيلا تصل أيدى « من لا يستحقون » إلى خصلة من شعرك

— وأنا الذى قتلتنى غمّازتك العميقة الجميلة
أجد آلافا من الأرواح تحت أطواق رقبتك المتلئة [1]

— وفارسى جميل ، يقف القمر حاملا « مرآته » أمام وجهه
وتاج الشمس العالية موطئ لنعل جواده

— فانظر إلى ضياء عارضه ؛ فالشمس المتقدة
يزداد لهيبها كل يوم ؛ شوقا إلى ضياء وجهه

— وإذا لم أترك شفة الحبيب الحمراء ، ولا كأس الخمر
فمعذرةً أيها الزهّاد ! ؟ فهذا مذهبى . . . !!

— وكيف أزامل « سليمان » عندما يُسرجون له جواد « الصبا »
ومركبى ليس إلا نملة بطيئة السير ؟!

— وحبيبى ، بغمزات عينيه يضرب بسهامه خفية فى قلبى
ولكن ابتسامة صغيرة من بين شفتيه فيها القوت لروح « حافظ »

— فيا ربى ! أى طائر عالى المشرب ، قلمى هذا !!
وماء الحياة يقطر من « منقار » بلاغته . . . !!

---

(١) « غبغب » أى الرقبة الممتلئة ، وكانوا يعتبرونها صحة للجمال

غزل ٢٠

مطلب طاعت وپیمان صلاح از من مست
که پیمانه کشی شهره شدم روز ألست[١]

— لا تطلبْ الطاعة وعهد الصلاح منى ، أنا السكير العربيد !
فقد اشتهرتُ بشرب الكأس منذ الأزل البعيد !!

— وعند ما توضّأت من ينبوع العشق الطاهر
كبرت أربع مرات على كل ما هو كائن

— فاعطنى خمرا ، أعطك خبرا بسر القضاء ؛
وأخبرك عمن أصبحت عاشقا لوجهه ، وثملا برائحته

— ويا عابد الخمر ! لا تيأس من باب الرحمة ،
فالجبل الشامخ هنا أدقّ من خصر النملة النحيلة

— وغير هذه النرجسة المخمورة[٢] — وقاها الله شر العين —
لم يهنأ أحد ، تحت هذه القبة الزرقاء

— وروحى فداء لفمه . . . ؛ فلم يخلق الله فى حديقة أهل النظر
ما هو أحلى من هذه البرعمة الحسناء[٣]

— إما « حافظ » فقد شابه « سليمان » فى عشقه لك
بمعنى أنه لا يملك من وصلك إلا الريح فى قبضة يده . . . !!

---

(١) يوم أخذ الله العهد على الناس فقال : ألست بربكم ؟ قالوا بلى ! أسموه فى الفارسية « روز ألست »
(٢) أى العين الناعسة
(٣) يشبه فم الحبيب بأنه برعمة لم تتفتح عن أكمامها

غزل ٢١

زاهد ظاهر پرست از حال ما آگاه نیست

در حق ما هرچه گوید جای هیچ إکراه نیست

— ليس للزاهد العابد للظاهر علم بحالنا
فلا موضع لإكراه أو كراهية لما يقوله في حقنا وشأننا

— والسالك لا يصادف في « الطريق » إلا محض خيره
وفوق الصراط المستقيم ، يا قلبي !! لا يستطيع أحد أن يضل طريقه

— فدعني أسُقْ لك « بيدقا » واحدا حتى أرى ما يفعل « الرخ »
فلا مجال « للشاه »[1] في رقعة شطرنج المعربدين

— أما هذا السقف العالي المنبسط الملئ بالنقوش
فلغزه معمى لا يدركه عالم في هذا العالم

— وأي استغناء هذا يا رب ، وأي حكمة قادرة هذه !!
والجراح كثيرة خافية ، ولا مجال للتأوه والتوجع ؟!

— فَخَبِّرْ « صاحب ديواننا » أنه لا يُحسن الحساب
فإشارة « حسبة لله » ليست تحت طغرائه

— وقل لمن يريد الوصال : « أقبلْ » ، وقل لمن يريد الحب : « تحدّثْ »
فلا كبر ، ولا دلال ، ولا حاجب ، ولا بواب ، على هذه الأعتاب

— والذهاب إلى الحانة هو شغل « أصحاب اللون الواحد »[2]
أما الذين « يبيعون أنفسهم »[3] ، فلا طريق لهم إلى محلة بائعي الخمر

---

(١) « البيدق » أصغر قطع الشطرنج ، و « الرخ » أهم قطعة ، و « الشاه » هي الملك

(٢) « يكرنگان » ، أي الذين لا يتلونون ويتغيرون ، بل يظلون على حال واحدة

(٣) « خود فروش » أي الذي يبيع نفسه ، بمعنى المزهو العابث

— وكل ما هنالك (من عيب) راجع إلى قامتى المعيبة التى لا هندام لها
وإلا فالتشرف بعناقك لا تقصر عنه قامة أحد من محبّيك

— وأنا عبد « لشيخ الخرابات » فلطفه دائم ،
أما لطف « الشيخ الزاهد » فيكون أحيانا ، ولا يكون أحيانا أخرى

— و « حافظ » لا يجلس فى الصدارة ، ولكنه عالى المشرب
لأنه عاشق يرضى باحتساء الثمالة فلا يكون أسيراً لقيود المال والجاه !!

غزل ٢٢

آن پيك نامور كه رسيد از ديار دوست
آورد حرز جان ز خط مشكبار دوست

— ذلك الرسول السعيد الذى وصل من ديار الحبيب محملا برسالته
أحضر « حرزاً » لروحى بخطه المسكى الذى يتضوع بالعبير

— فما أطيب دليله على جلال الحبيب وجماله !
وما أجمل قصته عن عزته ووقاره !!

— ومن أجل بشراه ! . . . وهبتُ له قلبى ، ولكنى خجول
من نقدى « الزائف »(١) الذى جعلته فداء للحبيب !!

— فشكراً لله على « مدد » بختى المواتى ،
حينما أصبحتْ أمور الحبيب جميعها تجرى وفقا لرغباتى

— وأى اختيار للفلك فى سيره ، وللقمر فى دورته
وهما يدوران وفقا لاختيار الحبيب . . . !!

— فلو عصفت ريح الفتنة ، فأودت بكلا العالمين
لنصبتُ مصباح عينى على الطريق لكى يرقب مقدم الحبيب

(١) « قلب » فى الفارسية بمعنى « زائف » كما أنها ترد بمعناها العربى المعروف

— فأحضر إلىّ — يا نسيم الصباح ! — كحل الجواهرى
من هذا التراب السعيد ، الذى صار موطئا لأقدام الحبيب

— ثم دعنى أتضرع فى ابتهال على أعتاب العشق
حتى أعرف من يظفر بالنوم الهادئ فى أحضان الحبيب

— وما خوفى ؟ ! إذا تحدث الأعداء بقصد القضاء على « حافظ » ؟!
والمنة لله !! . . . أنى لا أخجل من وصال من الحبيب . . !!

غزل ٢٣

دارم اميد عاطفتى از جناب دوست
كردم جنايتى وأميـدم بعفو اوست

— إن لى أملا فى تعطف من ناحية الحبيب
فلقد ارتكبتُ جناية ، ولكن أملى فى عفوه

— وأنى على يقين من أنه سيغفر لى خطيئتى ويعفو على جريرتى
فهو « ملاكى الوجه » ولكنه « ملاكى الطبع » أيضا[1]

— ولطالما بكيت ، فكان كل شخص يمرّ بى
ويرى دموعى جارية ، يسأل : « أى نهر هذا ؟ »

— وفم الحبيب ليس شيئاً ولا أكاد أجد له أثرا
وخصره النحيل كالشعرة الدقيقة ، ولكنى لا أعرف أى شعرة تكون !

— وإنى لا عجب من نقش خياله كيف لا يمضى
عن ناظرى ، الذى لا عمل له إلا الاغتسال بدموعى لحظة بعد لحظة ؟!

— وذوابة الحبيب تأسر قلبى بغير ما حديث ولا جدال
وهل لأحد مجال للجدال مع طرّته الملتفة الجميلة . . ؟ !

---

(١) فى مكان آخر يتهم حافظ أصحاب الوجوه الجميلة بأنه لا وفاء لهم

— ولقد مضى وقت طويل منذ شممت نفحة من نواسته
ومع ذلك فلا زالت هذه النفحة تعطر قلبي إلى الآن

— فيا حافظ ! إن اضطراب حالك سيء مستقبح
ولكن اضطرابك في الوصول إلى نواسة الحبيب ، مستعذب مستملح[١] . . . !!

غزل ٢٤

صبا اگر گذری افتدت بكشور دوست
بيار نفحهٔ از گيسوی معنبر دوست

— يا ريح الصبا .... ! إذا اتفق عبورك بديار الحبيب
فأحضري نفحة من ذؤابته التي تفوح برائحة العنبر

— وقسماً بحياته ... ، سأضحي مغتبطا بحياتي
لو أنك أحضرت إليّ رسالة من صدره . . ! !

— فإذا لم تظفري بالوصول إلى حضرته
فأحضري للعين ما تكتحل به من غبار أعتابه

— فأنا سائل مسكين ، فكيف أطمع في وصاله ؟!
ولكني ربما استطعت في النوم أن أقنع برؤية خياله !!

— وقلبي الصنوبري[٢] ، يرتعد كشجرة الصفصاف
حسداً لقامة الحبيب التي تشبه شجرة الصنوبر[٣]

— والحبيب لا يقبل أن يشترينا بشيء مهما تَفَهَ أمره
ولكنا لا نقبل أن نبيع شعرة واحدة من رأسه بالعالم أجمع

— فما عسى أن يحدث ، لو أصبح قلب « حافظ » طليقا من قيود الأحزان
وقد أضحى المسكين ، خادما وعبدا للحبيب !!

(١) حاله مضطربة ، ونواسة الحبيب مشعثة فكلاهما متشابهان
(٢) مخروطي الشكل مثل الصنوبر (٣) قامته الطويلة الهيفاء

غزل ٢٥

مرحبا أي پيك مشتاقان بده پيغام دوست
تا كنم جان از سر رغبت فداى نام دوست

— مرحبا يا رسول المشتاقين ! أعطنى رسالة الحبيب
حتى أجعل روحى — راغبا — فداء لاسم الحبيب

— وقد أضحت ببغاء طبعى[١] بسبب عشقها لسكر الحبيب[٢] ولوزاته[٣]
مولهة حائرة كالبلبل الحبيس فى قفصه

— وقد نصب الحبيب شباك ذؤابته وجعل خاله[٤] « طُعْماً » فى هذه الشباك
فوقعتُ من أجل « الطعم » ، فى هذه الشباك

— وكل من يشرب — مثلى — جرعة واحدة من كأس الحبيب
لا يستطيع أن يفيق أو يرفع رأسه الثمل حتى يوم الحشر ،

— ولن أستطيع أن أشرح أشواق إليه
وإلحافى عليه — أكثر مما فعلتُ — مدعاة لسأمه وملله

— ولكنى إذا استطعت سأكتحل
بتراب الطريق الذى يشرفه الحبيب بأقدامه

— وقد انحصر هواى فى وصاله ، وانحصر هواه فى فراق
فتركتُ رغبتى ، حتى تتحقق له رغبته . . . !!

— فاحترق « يا حافظ ! » حسرة إليه ، وابق بغير دواء
فلا دواء لعلة الحبيب المستعصية التى ليس لها شفاء

---

(١) نفسه الحبيسة فى الجسد
(٢) أى شفته الحلوة
(٣) أى عيناه اللتان تشبهان اللوز
(٤) الشامة على الوجه

غزل ٣٦

آن ترك پرى چهره كه دوش از بر ما رفت
آيا چه خطا ديد كه از راه خطــــا رفت

— ذلك التركى الملاكى الوجه ، الذى مرّ علينا بالأمس
أى خطأ قد رآه فينا بحيث سلك طريق « الخطا »[١] . . . ؟!

— ومنذ انصرفتْ عينه المبصرة عنّى
لا يستطيع أحد أن يعرف مقدار الدموع التى انحدرت من عينى

— وليس ما أصاب الشمعَ ، من اشتعال نار قلبه
مثل ما أصابنى أمس من الدخان المتصاعد من حرقة الـكبد

— وقد فاضت دموع العين حينما غابت عنى طلعته
فجرى منها سيل جارف ، وطوفان من البلاء

— فلما تبدّت لى الأحزان سقطتُ إلى الحضيض
ثم متُّ بالآمى حينما استعصى الدواء

— ولقد حدثنى قلبى ، أننى ربما استطعت بالدعاء أن أظفر بوصاله مرة أخرى
ولـكننى مضيت عمرى الطويل جميعه فى الدعاء

— فكيف أحرِم الآن للحج ، ولا « قِبلة » لى ههنا ؟!
ولم أجتهد فى السعى وقد افترقت « الصفا » عن « المروة » ؟!

— ولقد رآنى الطبيب بالأمس فقال لى فى حسرة وإشفاق :
هيهات لقد جاوز داؤك قانون الشفاء[٢]

— فيا أيها الحبيب !! أقبل للسؤال عن حال « حافظ »
قبلما يقولون لك : لقد ذهب عن دار الفناء

---

(١) يلعب بمعانى هذه الـكلمة لأنها تفيد أقليم « خطاى » الذى يسكنه الأتراك كما تفيد المعنى المعروف فى العربية
(٢) من كتب أبى على سينا المعروف عند العرب بابن سينا

غزل ٢٧

أى شاهد قدسى كه كشد بند نقابت
وى مرغ بهشتى كه دهد دانه وآبت

— أيها المعبود القدسى ! خبرنى من الذى يرفع عنك قيد نقابك ؟!
وأنت يا طائر الجنة ! حدثنى من الذى يمدك بطعامك ومائك ؟!

— ولقد جفا النوم عينىّ ، وتقاسمتنى الأفكار القاتلة لما أنا فيه من فكر يحرق الكبد
حينما فكرت فى الأحضان التى أصبحت منزلا لأمنك ومقامك

— فلا تسأل « الدرويش » المسكين شيئاً ...؛
فلا شأن له فى العفو عنك ولا قدرة له على مثوبتك

— وقد أصابت عينك المخمورة طريق العاشقين
وظاهر من دلالها أنها سكرى بشرابك

— ولقد أخطأنى سهمك الذى صوّبتَه إلى قلبى
فدعنى الآن أرقب ما يفكر فيه رأيك الصائب ؟!

— ولم تحاول مرة ، يا حبيبى ؟ أن تستمع إلى نواحى وصراخى
لأنك — فيما يظهر — عالى الجناب !!

— ولكن ورد الماء بعيد فى هذه البادية . فتنبّه واحذر ؟
ولا تدع غول الصحراء يخدعك بالسراب !!

— ويا قلب ! على أى قاعدة تسير ، إذا تقدم بك العمر
وانقضت على خطأ ، أيام شبابك ... ؟!

— ويا أيها القصر المنير !؟ يا منزل الأنس العامر بالحبيب
إنى أدعو الله ألا تصيبك نكبات الأيام بالتدمير والتخريب

— وليس « حافظ » الخادم الذى يفر من سيده
فصالحه ، وارجع إليه ؛ فخراب حالى من عتابك[1]

---

(١) أى أن ضيعة حالى ناشئة من معاتبتك وتعنيفك .

غزل ٢٨

اگرچه عرض هنر پیش یار بی ادبیست

زبان خموش ولیکن دهان پر از عربیست

— إذا كان من غير التأدب عرض الفضل أمام الحبيب
فلساني صامت ، ولكن فمي ملىء ببلاغة العرب

— ولقد أخفى الملاك وجهه ، وتكلف الشيطان الحسن
فاحترقت العين حيرةً ، أي أبليس يكون !

— ولم يستطع أحد أن يقطف من الجميلة وردة بغير أشواك
ولم يلتهب سراج « المصطفى » إلا بشرر أبي لهب

— فلا تسأل عن السبب الذي من أجله أضحى الفلك راعياً للسفلة ؟!
وهو في تنفيذه للرغائب ، يلتمس الأعذار بغير ما سبب

— ولست أقبل أن أشترى بنصف مثقال طاقَ « الخانقاه[1] » ولا « الرباط »
ومصطبتي هي الإيوان ، وقاعدة الإبريق شرفتي

— وجمال « بنت الكرم » نور لعيني
ولربما التفت بنقاب من زجاج وحجاب من العنب

— فيا أيها السيد ! لقد كان لي ألف عقل وأدب
فالآن وأنا خرب بالشراب ، يكون الصلاح من غير الأدب

— فأحضر الخمر ، فإني أستعين بها — كحافظ —
على البكاء في وقت السحر والضراعة في منتصف الليل

---

(١) مكان الدراويش

غزل ٢٩

اگرچه باده فرح بخش وباد گل بيز است
بيانگ چنگ مخور مى كه محتسب تيز است[١]

— ولو أن الخمر وهّابة للفرح ، والنسيم معطرة بأريج الورود ؛
ولكن « المحتسب[٢] » عنيف شديد فلا تشرب الخمر على نغمات العود !!

— وإذا وقع الأبريق فى قبضتك ، وطاوعك الصديق الرفيق
فاشرب متعقلا ، فالأيام مليئة بالفتن والضيق ... !

— واخف الكأس فى أكمام خرقتك المرقعة ،
فالزمان يهرق الدماء كما تهرقها عين الأبريق[٣] الدامعة

— ثم دعنا نغسل هذه الخرق من الخمر والشراب
لأن الوسم موسم الورع ؛ ولأن الوقت وقت الزهد والعفاف

— ولا تطلب طيب العيش من دورة الفلك المعكوس
فرأس الدَنّ الصافية ، مشوبة بالثمالة والكدَر

— والفلك الدائر « غربال » ينثر الدماء ،
نُخَالته رأس « كسرى » وتاج « پرويز[٤] »

— ولقد أسرتَ ، يا حافظ !! « العراقَ » و « فارس » بالشعر الحلو
فتعال الآن !! فالنوبة نوبة « بغداد » ، والوقت وقت « تبريز[٥] »

---

(١) « خواندامير » فى كتابه « حبيب السير » ج ٢ من المجلد الثالث صحيفة ٢٢ يذكر أن حافظاً الشيرازى قال هذا الغزل عندما فتح مبارز الدين محمد بن المظفر مدينة شيراز فى سنة ٧٥٤هـ ، فقد كان يبالغ فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر حتى لقبه ظرفاء شيراز بـ « المحتسب »

(٢) رجل الشرطة

(٣) فم الأبريق يصب الخمر الحمراء التى تشبه الدم

(٤) من ملوك آل ساسان ، واستعمل كلمة « پرويز » فى الشطرة الأولى بمعنى « غربال »

(٥) « العراق » و « فارس » و « بغداد » و « تبريز » كلها أسماء مدن كما أنها أسماء مقامات موسيقية

غزل ٣٠

أى هدهد صبا بسـبا ميفرستمت

بنگر كه از كجا بكجا ميفرستمت

— يا هدهد الصبا أنى مرسلك إلى سبا[١]
فتأمل ، من أين إلى أين أنا أرسلك !؟

— ومن أسفٍ ، أن يبقى طائر مثلك فى « مزبلة » الغموم[٢]
ومن أجل ذلك فأنا أرسلك من هنا إلى عش الوفاء

— وفى طريق العشق ، لا فرق بين مراحل القرب والبعد
وأنا أراك عيانا وأرسل إليك الدعاء والضراعة

— وأبعث إليك كل صباح ومساء بقوافل الدعاء بالخير
تحدوها ريح الشمال ونسيم الصبا

— وقبلما تحطم جيوش الأحزان مُلك قلبي ، وتخربه ،
سأرسل إليك روحى العزيزة مترنمة شادية

— فيا أيها الغائب عن النظر !! يا من أصبحتَ أنيسا للقلب !!
أنى أدعو لك دائما وأرسل إليك بالثناء

— فانظر فى وجهك إلى صنع الله وتأمله
فإنى أبعث إليك بمرآة يظهر فيها إبداع الله[٣]

— وقبلما يعلن المطربون أشواقى إليك بالشكر والامتنان
فسأرسل إليك بالقول والغزل فى أعذب الأنغام والألحان

---

(١) يشير إلى قوله تعالى فى سورة النمل . « وتفقد الطير فقال ما لى لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين . لأعذبنه عذاباً شديداً أو لأذبحنه أو ليأتينى بسلطان مبين . فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين »

(٢) أى الدنيا .

(٣) إن وجهه الجميل مرآة تنعكس فيها آيات صنع الله وإبداعه

— وتعال أيها الساقى !! فقد جلب إلى « هاتف الغيب » بُشرىٰ الأنباء ،
فقال : اصبر على الداء فإنى مرسل إليك بالدواء

— ويا حافظ ! إن أغنية مجلسنا هى ذكرك بخير الدعاء
فعجل إلينا ، فإنى مرسل إليك بالجواد والرداء !!

غزل ٣١

أى غايب از نظر بخدا ميسپارمت

جانم بسوختى بدل دوست دارمت

— أيها الغائب عن النظر ... !! أنى أستودعك الله وأودعك
وإذا أحرقتَ روحى ، فإنى — من صميم قلبى — أحبك وأقربك

— وقبلما أسحبُ أذيال أكفانى تحت أطباق الثرى
لا تُصدق أنى سأسحب يدى عن أذيالك وأباعدك

— و ذا اضطرنى الأمر إلى أن أذهب إلى « هاروت » بابل[١]
فسأعمل لديه مئات من أنواع السحر حتى آخذك

— ولطالما تمنيت أن أموت قبلك ، أيها الطبيب الذى لا وفاء له !
فاسأل عن مريضك ، فإنى فى انتظارك أرقبك

— ولقد أجريت من دموعى المنهمرة مئات الأنهار
على أمل أن أزرع بذرة الحب فى قلبك

— ولو أحرق المعشوق دمى وخلصنى من آلام العشق
لتقبّلتُ هذه المنّة من غمزات خنجرك[٢]

---

(١) اشتهر هاروت بالسحر ، انظر سورة البقرة آية ٩٦ : « يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت »

(٢) يشبه غمزات العين بضربات الخناجر النافذة

— وأما أكثر البكاء ، ومرادى من هذه الدموع المنهلة كالطوفان
أن أزرع بذرة المحبة فى قلبك

— فتكرم وتعطف باستقبالى عندك حتى أستطيع بقلبى المتقد
أن أصبّ « جواهر العين »[1] لحظة بعد لحظة على أقدامك

— ويا حافظ ! إن « الشراب » و « المحبوب » و « العربدة » ليست من وضعك وأخلاقك
وأنك لتفعلها جميعا ، ولكنى سأغفرها لك وأعفو عن هفواتك . . . !

غزل ٣٢

بنال بلبل اگر با منت سر ياريست
كه ما دو عاشق زاريم وكار ما زاريست

— نوّح أيها البلبل ، إذا كانت لك رغبة فى محبتى . . . !!
فنحن كلانا عاشقان أسيفان ، وشُغلنا هو النواح

— وحينما تهب النسيم من نواسة الحبيب
فلا مكان (ليس هناك داع) لأن تشمّ نوافج المسك التترية

— فاحضر الخمر حتى ألوّن بها رداء الرياء الأزرق
لأننا سكارى بكأس الغرور ، ولو اشتهرنا بالإفاقة والعقل

— ولا يستطيع الغرّ المفتون أن يدرك سرّ ذؤابتك
لأن الذهاب تحت السلاسل والقيود ، هو طريق الشجاع الجسور

— وأنها للطيفة دقيقة خافية ، تلك التى ينبعث منها العشق
ولا يكون اسمها الشفة الحمراء ، ولا الشعر الأسود الفاحم

— وجمال الشخص ليس فى عينه وطرّته ، ولا فى خده وشامته
ففى هذه الأمور آلاف من المسائل الدقيقة محببة مودّدة إلى القلب

---

(١) أى الدموع

— و « دراويش الحقيقة » لا يشترون بنصف دانق
ذلك الرداء الأطلسى الذى يرتديه الشخص العارى من الفضل

— ولقد يمكن الوصول إلى إعتابك بالدأب والتعب
والصعود إلى « أفلاك المعالى » يكون دائماً بالجهد والنصب

— ولطالما رأيتك فى أحلامى ، فى وقت السحر ، ورأيت غمزات عينك
فما أجملها من أحلام هى أحلى من اليقظة . . . !!

— فلا تؤذ قلبه بالنواح ، وانته « يا حافظ » !؟
فالخلاص الأبدى هو فى قلة الإضرار والأذى . !!

غزل ٣٣

بكوى ميكده هر سالكى كه ره دانست
درى دگر زدن انديشهٔ تبـــــه دانست

— كل سالك عرف الطريق إلى دار الخمّار
عرف أن الدق على غير بابه ، يجلب الهلاك والدمار

— ولم يعط الزمانُ تاجَ العربدة إلا لمن أدرك
أن رفعة الرأس لا تكون إلاّ فى هذا التاج

— وكلّ من ذهب إلى أعتاب الحانة
أدرك أسرار الخانقاه فى فيض الكأس

— وكل من قرأ أسرار العالمين فى وجه الساقى
عرف الفرق بين رموز كأس جمشيد والنقش على التراب

— فلا تطلب منا غير طاعة المجانين
فشيخنا فى المذهب اعتبر التعقل إثماً ؟؟

— ولم يَطْلُب قلبي الأمان من نرجسة الساق (أى عينه)
وكيف يطلبه !؟ وقد علم بأسلوبها الغادر !!

— وبكت عيني لجور طالعي ، في أوقات السحر
فأكثرت البكاء ، حتى رأتها الزُهرة وعلم بأمرها القمر

— فمن الذي يخوض بعد ذلك خفية في حديث « حافظ والكأس » ؟!
وما دخلُ المحتسب والشرطي ، وقد علم الملك بالأمر ؟!

— وإنه لملكٌ رفيع المرتبة حقاً ... ، قد اعتبر الفلك بأطباقه
نموذجاً صغيراً من إيوانه وطاقه

غزل ٣٤

تا سر زلف تو در دست نسيم افتادست
دل سودا زده از غصه دونيم افتادست

— منذ وقعت أطراف طرتك في أيدي النسيم ،
وقد انشطر قلبي المولّه المشتاق إلى نصفين !!

— وعينك الساحرة هي عين السحر الأسود .. ،
ولكن يجب الاعتراف بأن نسختها سقيمة[1]

— وهل تعلم ما هذا الخال الأسود الذي في لفائف طرتك ؟
إنه نقطة من المداد وقعت في حلقة الجيم !

— وما هذه الطرة المسكية التي في روضة وجنتك ؟!
إنها طاووس وقع في جنة النعيم !!

---

(١) يقصد أن السحر الأسود أقل تأثيراً من عينه الساحرة ولو أن عينه « سقيمة » ويقصد بذلك أنها عين فاترة ناعسة

— فيا مؤنس روحى ! إن قلبى ، مشغوفٌ بطلعتك ،
وقد أضحى كالتراب فى مهبّ النسيم ... !!

— ولكنّ جسدى الترابى لا يمكنه أن يرتفع كالغبار ،
عن رأس طريقك ، لأن وقوعه عظيم

— فيا من أنفاسه كأنفاس عيسى ! إن ظل قامتك قد وقع على جسدى
مثلما وقعت صورة الروح على العظم الرميم ... !!

— وأما ذلك الذى لم يكن مقامه إلا « الكعبة » ، فإنه عند ما تذكر شفتك
رأيته وقد أصبح مقيما على باب الحان ودار الشراب ... !!

— فيا صاحبى العزيز !! إن « حافظا » الضالّ فى اتباعه عليك
قد اتحد — لفراقك — مع الأحزان ، منذ العهد القديم ...

غزل ٣٥

باغ مرا چه حاجت سرو وصنوبر است
شمشـــــاد خانه پرور ما از كه كمترست

— أى حاجة لحديقتى إلى السرو والصنوبر ؟!
وهل تقلّ عنهما شجرة الشمشاد[1] الناشئة عندى فى المنزل ؟!

— فيا أيها « الناشئ المدلل » ! أى مذهب اتخذتَ لنفسك
بحيث أصبح دمى حلالا لك أكثر من لبن أمك ؟!

— فإذا رأيت الهموم تطلّ عليك من بعيد ، فاطلب الشراب
فقد شَخّصنا لك داءك ، والمداواة به مقررة

---

(١) الشمشاد شجرة خشبها متين ، ويقولون أيضاً أنها « المرزنكوش » وهو نوع من الريحان فى غاية الخضرة وطيب الرائحة . ويكنون به عن القامة الهيفاء . انظر « برهان قاطع » .

— ولماذا ننسحب ونبتعد عن أعتاب « شيخ المجوس » بائع الشراب ... ؟!
والحظ الموفق فى ذلك الجناب ، والفتح الميسر فى ذلك الباب ... !!

— و « أحزان العشق » ليست إلا قصة واحدة ؛ ولكن ما أعجبها من قصة !!
أسمعها من كل لسان ، ولكنها غير مكررة !

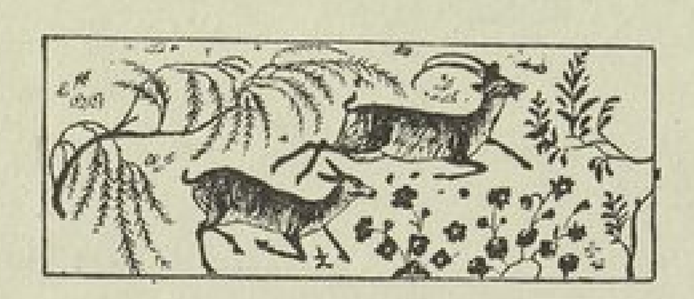
— وليلة أمس ، أعطانى الحبيب موعداً بوصاله وكان الشراب يلعب برأسه
فاليوم ما عساه يقول ؟! وماذا يكنْ لى فى رأسه ؟!

— ولا تعِبْ « شيراز » ونهر « ركناباد » وهذا النسيم البليل
ولا تحقر أمرها فهى ، « الخال » على خد الأقاليم السبع

— وفرق بين ماء الخضر[1] الذى مكانه فى الظلمات
وبين نهرنا الذى منبعه « الله أكبر[2] »

— ونحن لا نضيع شرف الفقر والقناعة
فقل للمليك : « إن القوت اليومى مقرر مقدر .. !! »

— ويا حافظ !! أى طُرفة بديعة قلمك الذى هو عود من النبات[3] !!
والذى يثمر من الفاكهة المحببة إلى القلب ما هو أحلى من الشهد والسكر ...!!



(١) مجمع البحرين أو ماء الحياة الذى يحرسه الخضر
(٢) اسم أخدود إلى شمال شيراز ينبع منه نهر « ركناباد »
(٣) استعمل هنا كلمة « شاخ نبات » أى عود من النبات ولكنه ربما يقصد بها أيضاً محبوبة شبابه التى كانت تسمى بهذا الاسم

غزل ٣٦

بلبلى برگ گلى خوش رنگ در منقار داشت
واندر آن برگ ونوا خوش نالهاى زار داشت

— كان البلبل يحمل فى منقاره ورقة نضيرة من أوراق الورد
وكان ينوح — رغم نعمته الطيبة — نواح البعد والصد

— قلت له : « ما هذا النواح والصراخ وأنت فى وصال مع الحبيب . . ؟!
فأجابنى بأن جمال الحبيب هو سبب هذا البكاء والنحيب

— وإذا لم يجلس الحبيب معنا ، فلا مكان للاعتراض عليه . . ،
فهو ملك أمره نافذ ، يجد العار فى مجالسة السائلين . . !!

— وضراعتنا إليه ودلاله علينا ، لا يؤثران فى حسن الحبيب
وسعيد حقاً من يسعده الحظ مع المدللات من الحسان

— فقم ، حتى نفتدى بالروح قلم النقاش
فقد نقش جميع هذه النقوش العجيبة فى دورة فرجاره

— وإذا كنتَ « مريداً » فى طريق العشق ، فلا تفكر فى سوء السيرة
فقد كان الشيخ « صنعان »[١] يرهن خرقته لدى حانوت الخمار . . !!

— وسعيدة حقاً أوقات ذلك الشيخ اللطيف ، الذى كان فى أطوار سيره
يسبّح الملك حتى وهو فى حلقة الزنار[٢]

— وعين « حافظ » ، وهو يرقب حبيبه الجميل فى قصره
شبيهة بالجنات تجرى من تحتها الأنهار[٣]

---

(١) من مشاهير المشايخ أحب فتاة مسيحية حاد عن الإسلام وكانت تحب الشراب ، فكان يرهن لها خرقته وأحب معها الخمر والغناء وتربية الخنازير ، ولكنه فى النهاية تاب توبة صادقة

(٢) يقولون إنه لم يترك التسبيح بأسماء الله الحسنى مطلقاً حتى وهو فى الزنار ومعلوم أن الزنار من الأشياء الخاصة بغير المسلم .

(٣) يعنى أن عينه كانت تبكى وهو تحت هذا القصر الذى يشبهه بالجنة ، فكأنه الجنة ودموعه كالأنهار تجرى من تحتها

غزل ٣٧

بی مهر رخت روز مرا نور نماند ست
وز عمر مرا جز شب دیجور نماند ست

— بغير شمس وجنتك ، لم يبق ليومى نور
ولم يبق لى من العمر إلا الليل الديجور

— وفى يوم وداعك ، لكثرة ما بكيتُ وانتحبتُ
— وليبعد اللهُ البكاءَ عن طلعتك — لم يبق لعينى نور

— وكان خيالك يغيب عن ناظرى ويقول :
« أسفاً . . . . لهذا الركن الأعزل[1] المهجور »

— وكان وصالك يُبعد الأجل عن رأسى
فالآن وقد هجرتنى ، لم يبتعد عنى الأجل المقدور . . . !!

— وقد قربت اللحظة التى يقول لك فيها الرقيب :
إن هذا المتعب المسكين قد ابتعد عن وجهك وطوته القبور !!

— والصبر دواء لهجرك وفراقك ، ولكن
كيف يمكن الصبر ، ولم يبق فى المقدور ؟ !

— ولو جرى ماء عينى يوم هجرك ، ونضب
فرنى حتى أهرق دم الكبد ، فلم يبق لى عذر فى التأخير

— ولم يتهيأ لـ « حافظ » الضحك ، بسبب ما هو فيه من حزن وبكاء ،
والمبتلىَ بمآتم لا رغبة له فى ولائم السرور ! !

---

(١) أى العين

غزل ٣٨

برو بكار خود اى واعظ اين چه فريادست

مرا فتاد دل از راه ترا چه افتـــادست

— اذهب إلى حال سبيلك ، أيهـا الواعظ !! ما هذا النواح والعويل ؟!
إن قلبي قد حاد عن الطريق ؛ وأما أنت فمـاذا أصابك ودهاك ؟!

— وانظر إلى خصره الذى خلقه الله من لا شىء[1]
فهو مسألة دقيقة لم يحلـّها أحد من الخليقة

— وقبلما تُحقق شفتـُه الحلوة ، رغبتى
فنصائح العالم أجمع ، هواء فى أذنى[2] ... !!

— والسائل فى جادتك ، غنىّ عن جنات الخلد
وأسير عشقك ، متحرر من كلا العالمين ... !!

— ولو خربتنى « خمر » العشق وحطمتنى
فأساس وجودى عامر بذلك الخراب . . !!

— فيا قلب !! لا تـكثر الشـكوى من ظلم الحبيب وجوره
فهو نفسه الذى اختار لك هذا النصيب ، ورآه عدلا وإنصافا

— ولا تهتم بهذا العالم ، ولا تبعد نصيحتى عن ذاكرتك
لأن « لطيفة العشق » ذكرى أخذتـهـا عن أحد السالـكين

— واذهب ولا تقص الأقاصيص ، ولا تنفث السحر يا « حافظ » !!
لأنى أذكر كثيراً من مثل هذه الأقاصيص والأباطيل

---

(١) أى أنه نحيل

(٢) أى إلى أن أبلغ رغبتى بتقبيل شفته الحلوة ، فإنى لا ألتفت إلى النصائح التى تمرّ على أذنى مرّ الرياح

غزل ٣٩

روضهٔ خلد برین خلوت درویشانست

مایهٔ محتشمی خـدمت درویشانست

— إن روضة الخلد الأعلى ، هى خلوة الدراويش ؛ وصفو الجلال والاحترام ، هو خدمة الدراويش

— وركن العزلة الذى به طلاسم العجايب ، فتحه موكل إلى النظرة الرحيمة للدراويش

— وقصر « الفردوس » الذى ذهب إليه « رضوان » بوابا ، هو منظر من خميلة النزهة التى للدراويش

— وبنورهم ينقلب النقد الزائف ذهباً ، وهذه هى الكيمياء التى فى صحبة الدراويش

— وتضع الشمس تاج تكبّرها ، أمام الكبرياء التى فى احترام الدراويش

— والدولة التى لا تصيبها نكبات الزوال ، — ألا أخبرك بها فى غير تكلف ؟! — إنها دولة الدراويش

— والملوك هم « قِبلة » الحاجات فى العالم ، وسبب سلطانهم خدمتهم للدراويش

— والمقصود الذى يطلبه الملوك بالدعاء ، مظهره فى طلعة الدراويش

— وجنود الظلم صاخبة تزدحم بها الأرجاء ، ولكن الظفر والنصر دائما من نصيب الدراويش

— فيا أيها الغنى القادر ! لم هذا التكبر والعجب ، والقدرة والذهب لا يكونان إلا فى همة الدراويش

— وكنز قارون لا يزال يهبط (فى الأرض) بسبب القهر ، (وربما قرأت) أن ذلك من غيرة الدراويش

— فيا « حافظ » ! إذا شئت ماء الحياة الأزلية ، فمنبعه أعتاب خلوة الدراويش

— وأنا عبد لنظرات « آصف »[١] العهد الذى له ، صورة[٢] السيادة وسيرة الدراويش

---

(١) آصف وزير سليمان ، وربما يشير بذلك إلى حاجى حسن قوام الدين الذى كان يتولى حافظاً بالرعاية ، ويلقبونه بهذا اللقب لأنه تولّى الوزارة لآل المظفّر حكام شيراز

(٢) أى مظهره يدل على السيادة ، كما أن سيرته تدل على أنه درويش مسكين

غزل ٤٠

جز آستان تو ام درجهان پناهى نيست
سر مرا بجز اين در حواله گاهى نيست

— هذه أعتابك . . . ولا ملجأ لى فى العالم ، إلا هذه الأعتاب
وهذا بابك . . . ولا معتصم لرأسى إلا فى هذا الجناب

— وإذا سحب العدو سيفه ، اتقيناه بالدروع
لأن سيوفنا ليست إلا النواح والتأوه وحرقة الضلوع

— ولماذا أشيح بوجهى عن محلة « الخرابات » ؟!
وليس خير منها فى العالم من رسوم وطرقات !!

— وإذا أشعل الزمان ناراً فى بيدر عمرى
فقل له : « احترق ، فلست تعادل ورق الحشائش عندى !! »

— وأنا خادم لهذه النرجسة (١) اللعوب ، التى لشجرة السرو (٢) الهيفاء
ولو أنها لا تنظر إلى أحد ، بسبب ما أشربت به من غرور وكبرياء

— فلا تسع وراء الأذى والإضرار ، ثم افعل بعد ذلك ما تريد
فليس فى شريعتنا جرم غير هذا الإثم الشديد

— ويا مليك إقليم « الحسن » ... !! اذهب مطوى العنان
فليس على رأس الطريق الذى تسلكه من يطلب منك الإنصاف والإحسان

— والفخاخ منصوبة لى فى كل ناحية من الطريق
ولكن خيراً من حمايته واطفه ، لا عاصم لى من هذا الضيق

— فلا تسلم خزائن قلبك « يا حافظ !! » من أجل نواسة الحبيب وشامته
فمثل هذه الخزائن ليست فى قدرة كل جيش وطاقته ... !!

---

(١) العين (٢) الحبيب المعتدل القد والقوام

غزل ٤١

صوفی از پرتو می راز نهـــانی دانست
گوهر هر کس از این لعل توانی دانست

— بضياء الخمر ، أدرك الصوفى ، الأسرارَ الخافية عن العيان
وبهذه الخمر الياقوتية ، يمكنك أن تعرف جوهر كل شخص وإنسان

— وطائر السَّحر وحده هو الذى يعرف قدر الوردة المجموعة (١)
ولا يستطيع أن يعرف قدرَ الأوراق كلُّ من يعرف القراءة(٢)

— ولقد عرضتُ كلا العالمين على قلبى المشغول
فاعترف بأن « الباقى » هو عشقك ، وما عداه فزائل « فانى »

— وقد انقضى الوقت الذى كنت أهتم فيه « لأبناء العوام »
وعلم « المحتسب » أيضاً بأمر لهوى وتمتعى فى استتار وخفاء

— ولم يرَ الحبيب راحتنا (٣) من « مصلحة الوقت »
وعلم بأن القلب من جانبنا ، مولّه بانتظاره

— وكل من عرف قدر أنفاس الريح اليمانى(٤)
يستطيع بيمن نظرته أن يُحيل الحجر والطين ، إلى ياقوت وعقيق

— فيا من تتعلم آية العشق من « دفتر » العقل !
أشد ما أخشاه أنك سوف لا تدرك هذه النكتة الدقيقة على وجه التحقيق !!

---

(١) التى لم تتفتح أكمامها بعد

(٢) إن طائر السحر يعرف قدر هذه الوردة التى لم تتفتح وهو فى هذا بارع ماهر يختلف حاله عن حال هؤلاء الذين حتى إذا قرأوا الصحائف المتفتحة أمامهم لم يفهموا ما تضمنته من معان وغايات

(٣) راحتنا فى وصاله

(٤) كل من عرف قدر أنفاسه وعنها واشتغل بالتفكير فى الحبيب ، فانه يستطيع بيمن نظرته أن يحول الحجر ياقوتاً والطين مرجاناً — وبتعبير الصوفية أى يجعل من الرجال الذين لا قيمة لهم مريدين سالكين قد بلغوا مرتبة الكمال

— فاحضر إلىَّ الخمر . . . فلا يباهى بالورد فى حديقة العالم
من عرف غارة الخريف ورياحه العاتية . . !

— وهذا الجوهر المنظوم الذى أثاره « حافظ » من طبعه وخاطره
إنما هو أثر من تربية « آصف »[١] الثانى ومآثره

غزل ٤٢

صبحدم مرغ چمن با گل نو خاسته گفت
ناز کم کن که درین باغ بسی چون تو شگفت

— عندما تنفس الصباح ، تحدث طائر الخميلة مع الوردة الجميلة ، فقال :
« ما أكثر ما تفتح مثلك فى هذا البستان ، فأقلّى ما أنت عليه من دلال ؟! »

— فابتسمت الوردة وقالت : « إننا لا نتألم لقول الحق ، ولكن
لم يوجّه عاشق مثل هذا الكلام الشديد إلى معشوقه » ! !

— فإذا طمعتَ فى الخمر الحمراء التى فى تلك الكأس المرصعة
فما أكثر الدرر[٢] التى يجب عليك أن تثقبها بأطراف أهدابك

— ومن لم يكنس تراب باب الحانة بخدّه
فلن تصل إلى مشامّه رائحة المحبة

— وليلة الأمس ، رَقّ الهواء ولطف فى حديقة إرم
واضطربت نواسة « السنبل »[٣] حين داعبها نسيم السحر

— قلت : « يا عرش جمشيد ! أين كأسك الذى يستعرض العالم ؟ »
قال : « أسفاً لقد غفا حظى اليقظ وأغرق فى النعاس ! ! »

---

(١) آصف بن برخيا وزير سليمان ، ويقصد بآصف الثانى حاجى قوام الدين حسن الذى كان يتولاه برعايته
(٢) الدموع (٣) نوع من العشب طيب الرائحة تشبه به نواسة المرأة الجميلة ويعرف باسم سنبل الطيب
انظر « برهان قاطع »

— وحديث العشق لا يستطيع أن يعبر عنه اللسان
فيا أيها الساقى ! أدر الخمر ، وأقصر الحديث فيما يقال وما تسمعه الآذان !!

— وقد ألقت دموعُ « حافظ » ، بعقله وصبره فى سيل من الطوفان
وما عساه يفعل الآن ، وآلام العشق لا تخفى على العيان ؟!

غزل ٤٣

كنو نكه بر كف گل جام بادهٔ صافست
بصد هزار زبان بلبلش در أوصافست

— الآن وفى كف الوردة كأس من الخمر الصافية . . . ،
والبلابل فى أوصافها بآلاف الألسنة واللغات شادية

— فاطلب « دفتر الأشعار » واتخذ الطريق إلى الصحراء[1]
فأى وقت هذا « للمدرسة » وللبحث فى كشف الكشاف[2] . . . !!

— و « فقيه » المدرسة كان أمس ثملا بالشراب ، فأفتى
بأن الخمر حرام ، ولكنها خير من مال الأوقاف ! !

— ولا حكم لك على الخمر الصافية أو الممزوجة ، فاشرب واهنأ
فكل ما صنعه ساقينا هو عين الألطاف

— واعتزل الخلق ، واتخذ العنقاء مثالا لك
فصيت المعتكفين بالأركان[3] قد وصل من قاف إلى قاف[4]

---

(١) العزلة (٢) الكشاف للزمخشرى ، فى تفسير القرآن
(٣) « كوشه نشين » ، أى الدرويش الذى يلتزم الأركان ويجلس معتزلا
(٤) أى انتشر فى العالم من طرف إلى طرف

— وحديث « الأدعياء » وخيال الزملاء
شبيهان بحكاية الصائغ وصانع الحصير

— فاسكت يا « حافظ » ! واحتفظ بهذه النكات الشبيهة بالذهب الإبريز
فزيّف البلدة [١] أضحى صرافها . . . . !!

غزل ٤٤

گل در بر ومی در کف ومعشوق بکامست
سلطان جهـــــانم بچنین روز غلامست

— حينما تكون الوردة فى أحضانى ، والخمر فى كفى ، والمعشوق على مرامى
يكون سلطان العالم فى مثل هذا اليوم خادمى وغلامى

— فقل لهم : « لا تحضروا الشمع فى هذا الجمع ، فى هذا المساء
فقد تمّ قمر [٢] الحبيب فى مجلسنا ، وا كتمل له البهاء .. !! »

— والخمر حلال فى مذهبنا ، ولكنها
محرمة بغير وجهك ، يا شجرة السرو الوردية الهندام ؟!

— وأذنى مرهفة جميعها إلى قول الناى ، ونغمات العود
وعينى مثبتة جميعها على الشفة الحمراء ودورة الجام

— فلا تخلط العطور فى مجلسنا ،
ففى كل لحظة ، تتعطر مشامنا بأريج طرتك ... !!

— ولا تحدثنى عن طعم القند والسكر
فكل رغبتى فى شفتك الحلوة ... !

— ومنذ استقر ، كنز التلهف عليك ، فى زوايا قلبى المحطم الخرب
وقد اتخذت مقامى فى « محلة الخرابات » [٣]

---

(١) ربما يشير هنا إلى من يقلدون أشعاره أو ينسبونها إلى أنفسهم ، أو إلى من يدعون التقوى والصلاح
(٢) أى بدت وجنة الحبيب كأنها بدر التمام
(٣) الاعتقاد السائد أن الكنز لا يوجد إلا فى الأماكن المخربة

— وما عساك تقول عن العار ، وشهرتى مستمدة من العار والشنار ؟!
وماذا تطلب من الشهرة ، وعارى من بعد الصيت والاشتهار . . . !!

— ونحن إذا كنا نشرب الخمر ، سكارى ، نعربد ، لا نغضّ الأبصار
فأى شخص ليس حاله كحالنا فى هذه المدينة والديار . . . . ؟!

— فلا تعبثنى عند « المحتسب » لأنه مثلى أيضاً
يجدُّ ، فى طلب اللهو وشرب المدام

— ويا حافظ !! لا تجلس لحظة واحدة بغير المعشوق والخمر والمدام ... !!
فهذه أيام الورد والياسمين ، وعيد الصيام . . !!

غزل ٤٥

صحن بسـتان ذوق بخش وصحبت ياران خوشست
وقت گل خوش باد كزوى وقت ميخواران خوشست

— البستان جميل ، وأجمل منه صحبة الخلاّن والأحباب ؟!
فَـليطِـبْ وقت الورد ، فبه يطيب وقت الشاربين والشراب . . !!

— وفى كل لحظة تتعطر مشام روحى بما تحمله الصبا من عبير
ولـكنّ « أرباب الهوى » أنفاسهم دائماً محببة تستطاب

— ولقد عزمت الوردة على الرحيل قبلما تتفتح عن غلالتها
فنوّح أيها البلبل ! فنواح أصحاب القلوب الجريحة محبب مستطاب . . !

— ولتكن لك البشرى ، أيها الطائر الجميل الصوت . . !! فى طريق العشق ،
يُستحسن لدى الحبيب ، نواحُ « القائمين بالأسحار » ويُستطاب

— ولا راحة للقلب فى « سوق العالم » ؛ فإن وجدتها ،
فعربدة المنافقين ونشوة السكارى محببة تستطاب !!

— وقد وصل إلى أذنى من لسان السوسن الأبيض[١] :
إن من « تخفّ أحمالهم » ، يحسن حالهم فى هذا « الدير القديم » ويُستطاب

— فيا حافظ ! إن قولك بترك العالم هو طريق لسعادة قلبك
فلا يأخذك الظنّ بأن أحوال الغزاة الفاتحين محببة تستطاب !!

غزل ٤٦

خـــــلوت گزيده را بتماشا چه حاجتست
چون كوى دوست هست بصحرا چه حاجتست

— أى حاجة فى النزهة ، لمن اختار الوحدة و « الخلوة » ؟!
وأى حاجة إلى البيداء والخلاء إذا وجدت دار[٢] الحبيب ؟!

— فيا روحى ! بحق ما لك من حاجة عند الله ،
سلنى لحظة واحدة عما لى من حاجة عندك !!

— ويا مليك الحسن ! لك الله ! لقد احترقتُ بحاجتى ،
فهلا سألت فى النهاية : « أى حاجةٍ للسائل عندك ؟! »

— فنحن أرباب حاجات ، ولا لسان لنا للسؤال .. !!
وهل هناك حاجة للتمنى فى حضور الكريم الوهاب ؟!

— وإذا قصدتَ دمى ، فلا حاجة إلى قص الأقاصيص . . !!
فالمتاد عتادك ، ولا حاجة لك إلى السلب والغارة !!

— وضمير الحبيب المنير عبارة عن الكأس التى تكشف عن أحوال العالم
فما حاجتى إلى إظهار عوزى واحتياجى ؟!

— ولقد انقضى الوقت الذى تحملتُ فيه منّة الملاح
وما حاجتى الآن إلى تجشم البحار وقد تيسرت لى الجواهر ... !!

---

(١) « سوسن آزاد » نوع من السوسن الأبيض
(٢) « كوى » الشارع ، أو الجادة ، أو المحلة

— فاذهب عنى أيها « المدّعى » ، فلا شأن لى بك
وما حاجتى إلى الأعداء ، والأحباب حاضرون ؟!

— ويا أيها العاشق المسكين ! إذا عرفَتْك شفةُ الحبيب الوهابة للحياة
فما حاجتك إلى تقاضى المرتبات واستجداء الحسنات ؟!

— أما أنت يا « حافظ » ! فاسكت وانته ، فإن فضلك أضحى عيانا
وما حاجتك إلى النزاع مع « المدعى » أو محاكاته ؟!

غزل ٤٧

خوشتر زعيش وصحبت وباغ وبهار چيست
ســـــاقى كجاست گو سبب انتظار چيست

— أى شىء أجمل من رفقة الأحباب والتمتع باللهو والرياض ، والربيع الجميل ؟!
فأين الساقى ؟ وقل له ما سبب هذا الانتظار الطويل ؟!

— واعتبر ما يتهيأ لك من طيب الوقت فرصة عزيزة وغنيمة كبيرة
فلا علم لأحد بما تكون عليه نهاية الأمور

— وتنبه ! فرباط العمر معقود بشعرة واحدة
وتجرّع همومك وحدك ، ولا شأن لك بهموم الأيام

— وما معنى « ماء الحياة » وروضة « إرم » ،
إلا الطواف على الأنهار وشرب الخمر الحلوة السائغة ؟!

— والصالح والسكير كلاهما من قبيلة واحدة ،
فلنظرات من منهما نسلم أزمة القلب ، وماذا يكون الاختيار ؟!

— وماذا يعلم الفلك الصامت عن الأسرار التى وراء الحجب ؟!
فيا أيها « المدعى » . . !! ما نزاعك مع الحاجب الموكل بالستار ؟!

— وإذا لم يكن هناك اعتبارٌ لسهو العبد وخطأه
فما معنى عفو الرحمن وغفران الغفار ؟!

— ولقد طلب « الزاهد » شراب الكوثر ، وطلب « حافظ » كأساً من الشراب
فلننتظر ولننظر ماذا تكون إرادة الملك الوهاب .... !!

غزل ٤٨

كنون كه ميدمد از بوستان نسيم بهشت
من وشراب فرح بخش ويار حور سرشت

— الآن ونسيم الجنة يهب من البستان ،
إلىّ بالخمر المفرحة وبالحوراء التى قامتها كحور الجنان

— ولم لا يفخر السائل المسكين بأنه أضحى اليوم سلطان الزمان ،
وقد عقد له السحاب خيامه ، وبسطت له الحقولُ مائدة الخوان . . !!

— وهذا الربيع الجميل يحكى لى حكايته الجميلة ؛
فيقول : « ليس عاقلا من يفضل النسيئة ويترك النقد »

— فعمِّر قلبك بالشراب ، فلا همَّ لهذه الدنيا الخربة
إلاّ أن تحيل ترابنا إلى لبنات وآجرات

— وحذار أن تطلب الوفاء من الأعداء ، فلا أثر له فى قلوبهم
وهل تستطيع أن تشعل شمعة الصومعة من سراج الكنيسة ؟!

— ولا تلمنى أنا العربيد على شهرتى السوداء
وهل يستطيع إنسان أن يعرف ماذا كتب القدر على جبينه . . ؟!

— ولكن لا تؤخر قدمك أو تتردد عن جنازة « حافظ »
فهو غريق فى الإثم ... ، ولكنه ذاهب إلى الجنة !!

غزل ٤٩

عيب رندان مكن اى زاهد پاكيزه سرشت
كه گناه دگران بر تو نخواهند نوشت

— أيها الزاهد الطّاهر السريرة . . . !! لا تعبْ على العربدين عربدتهم
فذنوب الآخرين لن تسجلُ عليك !!

— وأنا إن أحسنت فلنفسى ، وإن أسأت فعليها ، فاذهب أنت وانصرف إلى نفسك
فكل شخص يحصد فى النهاية ما زرع

— وكل شخص يطلب « الحبيب . . . ، سواءٌ فى ذلك المفيق والنشوان
وكل مكان منزلٌ للعشق .... ، سواءٌ فى ذلك الجامع والكنيسة !!

— وقد أسندتُ رأسى الخاضعة إلى آجرة بباب الحانة
فإذا لم يفهم « المدعى » هذا الكلام فقل له : حطّمْ رأسك على هذه الأعتاب . . !!

— فلا تتركنى فى يأس من لطفك السابق الأزلى ؛
وكيف تعرف ، يا من تقف وراء الستار ! الطيب من الخبيث

— وأنا وحدى لم أخرج عن ستار التقوى
فقد تَركَ أبى أيضاً الجنّةَ الأبدية تفلت من يده[1] !!

— ويا « حافظ » ! لو استطعتَ يوم مماتك أن تأخذ الكأس فى كفّك ،
لحملوك دفعة واحدة من « الخرابات[2] » إلى جنّات النعيم !!

---

(١) يشير إلى آدم
(٢) « الخرابات » يقصد بها حانات الخمر ، أو الأمكنة التى يلزمها المتصوفة

غزل ٥٠

حاصل کار گه کون ومکان اینهمه نیست
باده پیش آر که أسباب جهان اینهمه نیست

— إن النتاج الحاصل من معمل « الكون والمكان » جميعه ليس شيئاً
فاحضر إلىّ الخمر ، فمتاع العالم بأجمعه ليس شيئاً . . . !!

— وغرض قلبي وروحي هو التشرف بصحبة الأحبة
وهذا غرضي ، وإلا فالقلب والروح كلاهما ليسا شيئاً . . . !!

— فلا تتحمل المنّة لظلال السدرة وشجرة طوبى[1]
فإنك إذا أمعنت النظر في شجرة السرو الغادية لجميع تلك الظلال ليست شيئاً . . !!

— وحظك السعيد هو الذي يقبل إليك بغير حاجة إلى استنزاف دماء القلب
فالسعي والعمل لا تساوي جنات الخلد جميعها شيئاً . . !!

— وقد أمهلوك خمسة أيام في مرحلة الدنيا
فاسترح وتمتع زماناً ؛ فالزمان بأجمعه ليس شيئاً . . !!

— ويا أيها الساقي ! نحن في انتظار على حافة بحر الفناء
فاغتنم الفرصة ، فكل ما يذهب من الشفة إلى الفم ليس شيئاً . . !!

— وحذار أيها « الزاهد » ! ولا تأمن لبازي[2] الغيرة
فالطريق من « الصومعة » إلى « دير المجوس » ليست شيئاً . . !!

— وآلامي ، وقد احترقتُ بنار الأسى والاحتياج
ليست في حاجة إلى التقرير والبيان ؛ وليست شيئاً !!

— ولقد أحرز اسم « حافظ » رقماً طيباً
ولكن أرقام النفع والخسارة عند المعربدين ليست شيئاً . . !!

---

(١) سورة النجم آية ١٤ « عند سدرة المنتهى ، عندها جنة المأوى » ويقولون إنها نفسها شجرة طوبى . انظر سورة الرعد آية ٢٨ « الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب »

(٢) « بازى » في الفارسية ، بمعنى الصقر ، أو بمعنى اللعبة . وقد ترجمناها هنا بالمعنى الأول

غزل ٥١

کس نیست که افتاده‌ٔ آن زلف دو تا نیست
در رهگـــذر کیست که دامی ز بلا نیست

— ما من أحد إلا ووقع أسيراً فى طيات هذه الطّرة الملتفّة السوداء
وفى طريق مَن من الناس ، لم تنصب شباك المحن والبلاء ! ؟

— ومنذ سلبت عينُك قلبى ، من بين « المختلين بالأركان » ،
ولم تعد مرافقتك إثماً من جانبنا ، ولا ذنباً نرتكبه

— ووجهك ، مرآةً للطف الإلهى
وليس فى هذا الأمر وجه للشكّ أو الرياء . . !!

— والنرجس الغضّ يطلب غمزات عينك ، الساحرة الفتانة !
ولـكنه مسكين . . . . !! لا يعرف سر ضيائها

— فبالله ! لا تزيّنْ طرّتك ! !
فنحن — من أجلها — نـكثر العربدة مع ريح الصبا ، فى كل ليلة

— ويا شمعتى التى تنير القلب !! ارجعى إلىّ ، فبغير وجهك
لا أثر للنور والصفاء ، فى مجلس الأحبة والرفاق

— والعناية بالغرباء ، سبب فى الذكر الجميل ؛
ولـكنى لست أدرى — يا روحى ! فربما لا تتبع هذه القاعدة فى بلدتـكم !!

— ولقد مضى من أمامى ليلة الأمس ، فقلت له : « يا صنمى المعبود ! نفّذ وعدك »
فقال : « لقد أخطأت أيها السيد ! فليس فى هذا الأمر عهد ووفاء » !!

— فإذا أصبح « شيخ المجوس » مرشدى ، فما الضرر وما الفارق ؟!
أليس فى جميع الرؤوس ، سر من أسرار الله !!

— وماذا يفعل العاشق إذا لم يتحمل أعباء اللوم ؟!
وليس للمحارب درع يتقى به سهام القضاء . . . !!

— وليس فى صومعة الزاهد ، ولا فى خلوة الصوفى ،
محرابٌ للدعاء والضراعة ، إلاّ زاوية عينك . . !!

— فيا من مددت مخلبك قاصداً إهراق الدماء من قلب « حافظ »
ربما لم يكن تفكيرك بسبب غيرتك على قرآن الله . . . !!

غزل ٥٢

درين زمانه رفيق كه خالى از خللست
صراحى مى ناب وسفينهٔ غزلست

ترجمة منظومة

رفيقُ الصادقُ النجوى ، سليم الرأى والقول | هو الكأس بما تحوى وديوان من الغزل
ألا فاذهب وباعدنى ، وخذ كأساً وناولنى | فـر العمر فى الدنيا بلا ريث ولا بدل
ووحدى لم أمت حزناً لإحساسى بتقصيرى | ملال الناس من علم وتعليمٍ بلا عمل
وحال العيش فى الدنيا وما صادفتـه فيها | كعمرى الذاهب الماضى سريع السير والنُقل
فداعبْ شعرَ محبوب ، ولا تكثر من الشكوى | بأن السعد والبلوى من المرّيخ أو زُحَل
وقلبى دائم النجوى ، يريد الوصل والسلوى | فيا عمرى إلا رفقاً ، ولا تجهزْ على أملى
وقلبى لو أرادوه ، لمـا ألفوه فى وقت | مفيقاً ، فهو سكران بخمر العهد والأزل !!

ترجمة منثورة

— فى هذا الزمان ، « الرفيق » الخالى من الخلل والمبرأ من الزلل
هو أبريق الخمر المصفاة ، ومجموعة من الشعر والغزل ... !!

— فاذهب وحيداً ، فممر العافية ضيق
وأسرعْ بأخذ الكأس ، فلا عوض للعمر العزيز ولا بدل ... !!

— ولست أنا وحدى الذى أصابه الملل لعدم العمل فى هذه الدنيا ؛
فملالة العلماء — أيضاً — أساسها العلم بغير العمل ... !!

— وفى هذه الطريق المليئة بالمحن ، يدرك عقلى
إن الدنيا وأمورها لا ثبات لها ولا محل ... !!

— فتمسكْ بخصلة من شعر الحبيب الجميل ولا تكرر هذه القصة المعادة :
بأن السعد والنحس من تأثير الزُهرة أو زحل ... !!

— ولقد بات لقلبى أملٌ عريض فى وصالك
ولكنى أخشى « الأجل » ، فهو « قاطع الطريق » الذى يجهز على الأمل ... !!

— ولن يجدوا قلبى مفيقاً فى زمن من الأزمان
لأنه نشوان كـ « حافظ » تلعب به خمر الأزل ... !!

غزل ٥٣

منم كه گوشه ميخانه خانقاه منست
دعاى پير مغان ورد صبحگاه منست

— أنا الذى معتصمى[١] وملجائى ، ركن الحانة
وأنا الذى دعائى لشيخ المجوس[٢] ، من « أوراد » صباحى

— فماذا أخشى ... !! إذا لم أستمع لأنين العود ، ولم أتناول الصبوح ؟!
وأغنيتى وقت السحر ، تكفى لى عذراً لدى الحبيب ... !!

— وأنا ، والحمد لله ، فارغ البال لا يعنينى أمر الملك أو السائل
ومليكى هو هذا السائل الذى يلازم أعتاب الحبيب . . !!

— وغرضى من « المسجد » و « الحانة » هو وصالك
وليس لى غرض آخر ، والله شاهدى على ذلك

— وربما استطعتُ بسيف الأجل أن أهدم خيمة الحياة ؛
فإن لم أفعل فليس من عادتى التقاعس عن باب دولتك

— ومنذ وضعتُ وجهى على أعتابك
وعرش الشمس المعلى ، هو متكأى ومسندى .. !!

— فيا « حافظ » إن ارتكاب الذنوب ليس من اختيارنا
ولكن ألزم أنت طريق الأدب وقل : « إنما الذنب ذنبى » !!

---

(١) « خانقاه » بمعنى رباط الدراويش ويمكن ترجمتها بمعنى : صومعة أو ملجأ
(٢) « پير مغان » ، أى شيخ المجوس ، ويقصد به بائع الخمر

غزل ٥٤

خم زلف تو دام كفر و دينست
زكارستان اويك شمه اينست

— ثنايا طرتك ، شباك للكفر والدين ؛ وهذا قدر صغير من عملها لا يكاد يبين
— وجمالك معجزة من معجزات الحسن ؛ ولكن حديث غمزاتك هو السحر المبين
— ومتى يمكن لروحى النجاة من عينك الساحرة ، وهى دائماً مستعدة بالقوس فى الكمين
— فدعنى أردد عبارات الاستحسان لعينك السوداء ، فهى فى قتل العشاق ، خالقة للسحر المبين
— وما أعجب علم « هيأة العشق » ، وفلكه الثامن فى سابع الأرضين .. ! !
— ولقد تظن أن قائل السوء قد ذهب ونجا بروحه ، ولكنك مخطئ ، فحسابه مع كرام الكاتبين
— فلا تأمن يا « حافظ ! » كيد طرته ، فقد سلبتْ القلبَ ، وهى الآن فى انتظار الدين[1]

غزل ٥٥

خمى كه ابروى شوخ تو در كمان انداخت
بقصـــد جان من زار ناتوان انداخت

— ثنية واحدة طرحتْها حواجبك[2] الجسورة فى القوس
ثم نصبتْها بقصد اصطياد روحى وقتلى أنا الأسيف المسكين
— وكلا العالمين زائل ، فكيف يثبت للألفة لون !!
والزمان على حاله ، ولم يطرح المحبة جانباً هذه اللحظة فقط
— وبغمزة واحدة ، ألقتها نرجستك فى غرور ،
أثار سحر عينك ، فى الكون مئات من الفتن والشرور .. !!
— ولست أعرف متى ذهبتَ إلى الخميلة يلعب بك الشراب ويتصبب العرق من جبينك ؟!
فأشعل ضياء وجهك النار فى أوراق الأرغوان[3]!!

---

(١) كما أنها سلبت قلبه فهى تنتظر لتسلب دينه أيضاً
(٢) حاجب العين يشبهه بالقوس . وهم فى أقوالهم الصوفية يستعملون كلمة « الجبين » دلالة على السالك ، و « الخد » دلاله على المعشوق ، و « الحاجب » لما يحجب بينهما لأنه يمنعهما عن الوصل والاتصال
(٣) لست أعرف متى ذهبت إلى البستان ، فانى قد وجدت الأرغوان قد ازداد حمرة ولست أشك فى أن ضياءك قد أكسبه هذه الحمرة

— وليلة الأمس ، مررتَ بين محافل الخميلة وقد لعبت برأسك نشوة الشراب
فأوحت إلىّ برعمةُ الورد بفكرة عن فمك[١]

— وعقدت البنفسجة عقدة فى طرّتها المفتولة ،
ولكن ريح الصبا حملت إلينا حكاية ذؤابتك[٢]

— وخجل الياسمين ، لأنى شبهته بوجهك
وألقت يد الصبا ترابا فى فمه ... !!

— فيا ليتنى لم أعش من قبل فى ورع عن الخمر والمطرب ... !!
فقد انتهى بى حبى لشباب الحانة[٣] إلى الخمر والمطرب . . !!

— فدعنى الآن أغسل خرقتى بالخمر الحمراء ! !
فلا يمكن أن أبعد عن نفسى — بعد اليوم — هذا النصيب الأزلى ! !

— ولربما يكون الفتح على « حافظ » ، فى هذه الحال الخربة المضطربة
فقد طوّحت به قسمتُه الأزلية إلى خمر المجوس ! !

— وسيصبح العالمَ بعد اليوم وفقاً لمرادى ؛ لأن دورة الزمان
قد ساقتنى إلى خدمة سيد العالمين والأكوان

غزل ٥٦

زان يار دلنوازم شكريست ياشكايت
گر نكته دان عشق بشنو تو اين حكايت

— هل ترانى أبثّ الشكر للحبيب اللطيف ، أو أرفع إليه الشكاية ؟!
إن كنتَ خبيراً بنكات العشق ، فاستمع إلى هذه الحكاية

— كانت خدماتى التى قمت بها ، بغير مثوبة ولا شكر
فيا رب لا تجعل المخدوم خاليا من الشفقة والعناية !!

— ولم يعد أحد يجود بقطرة من الماء ، لأصحاب الشفاه الظامئة
وكأنما ذهب « العارفون » عن هذه الولاية . . !!

---

(١) كلاهما أحمر وكلاهما صغير ، وعلى ذلك فقد أوحت إليه هذه الوردة التى لم تتفتح أ كأنما تصورت له فم معشوقه
(٢) كلاهما معطر محمل بالأريج والعبير
(٣) « مغبچگان » أطفال المجوس ، ويقصد بهم أطفال بائعى الخمر .

— فيا قلب ! احذر شباك ذؤابته
فأنت ترى فيها كثيراً من الرؤوس المقطوعة بغير جرم أو جناية

— وقد امتصت عينك ، بغمزة واحدة ، دماء قلبي ؛ وأعجبت بما فعلت
ولـكن ليس من الصواب — يا روحي — أن تشمل سافكي الدماء بالحماية ! !

— وضاع طريق المقصود ، في ليلتي هذه الحالكة
فاطلع إليّ من زاويتك ، يا كوكب الهداية . . !!

— وازدادت وحشتي حيثما يممتُ
لحذارِ من هذه الصحراء المقفرة ، ومن طريق ليس لها نهاية

— ويا شمس الحسان ! إن قلبي ثائر يحترق
فاحتويني ساعة واحدة في ظلال العناية ! !

— وكيف يمكنني أن أتصور لهذه الطريق نهاية ؟!
ومئات الآلاف من المنازل[١] قائمة في البداية ؟!

— ولن أحوّل وجهي عن بابك ولو أهرقتَ ماء حياتي . . !!
فظلمُ الحبيب ، خير من عطف المدعي بالرعاية ... !!

— وإذا انتهى بك العشق — كحافظ — إلى الشكوى من نفسك
فرتّل القرآن في أربع عشرة رواية[٢]

غزل ٥٧

يا رب سببي ســـاز كه يارم بسلامت
باز آيد وبرهاندم از بنـــد ملامت

— يا رب ! هيئْ سبباً يجعل حبيبي بالسلامة ،
يعود إليّ فيخلصني من قيد الملامة

— واحضرْ إليّ تراباً من طريق الحبيب النائي
حتى أجعل عيني الناظرة للعالم ، مكاناً له للإقامة

(١) إن طريق الحب طويلة فلا بد أن يمر السالك بكثير من المنازل والمقامات
(٢) ربما يجدى هذا الترتيل الطويل ويخلصك مما أنت فيه

– والغياث الغياث ! ! لقد قطع علىَّ الحبيبُ طريق من جهاته الست
بخاله الجميل وهدبه الطويل وخده الأثيل وطرته الملتفة وقامته المعتدلة

– فاليوم ، وأنا فى يدك ، كن رحيما مشفقاً
فغداً حينما أتحوّل ترابا ، فماذا تنفع دموع الندامة ؟ !

– ويا من تتحدث عن العشق بالتقرير والبيان
لا حديث لنا معك عن الخير والسلامة ... ! !

– ويا أيها الدرويش ! لا تبك من سيف الأحباب
فقتيل هذه الطائفة يأخذ الفدية والغرامة

– وأشعلْ النار فى الخرقة ، فإن ثنية حاجب الساق
قد حطمت ركن محراب الإمامة ... !!

– وحاشا لله ! أن أبكى من جورك وجفائك
وظلم الحسان كله لطف وكرامة .. !!

– ولن يقصر « حافظ » فى البحث عن سرّ ذؤابتك
وقد اتصلت سلاسلها إلى يوم القيامة ... !!

غزل ٥٨

لعل سيراب بخون تشنه لب يار منست
وزپى ديدن او دادن جان كار منست

– إن شفة حبيبى ، ياقوتة ، ظمآى إلى الدماء
وأنا – من أجل رؤيتها – أضحى بالروح ، وهذا هو عملى وشغلى الشاغل

– وهلا يخجل من تلك العين المكحولة بالسواد ، وهذه الأهداب الطويلة المديدة
مَنْ رأى كيف يسلب الحبيب القلوب ، وهو مع ذلك ينكر أحوالى . . ؟!

— فيا حادى العيس ! ! لا تحمل رحلى إلى الباب ، فعلى قمة هذه الجادة
يتشعب الطريق الرئيسى ، إلى منزل حبيبى وداره

— وأنا عبد لحظى وطالعى ، فقد تملكنى فى قحط الوفاء
عشقُ هذه « النورية » المخمورة الرأس . . !!

— وقارورة عطر الورد ، وذؤابة الحبيب التى تفوح بالعبير
هما فيض لشمة واحدة من روائح « عطارى » الزكية

— فلا تطردنى ، أيها البستانى ، عن بابك ؛ فأنا كالنسيم
وماء روضتك ، من دموعى الحمراء التى تشبه زهرات الرمان

— ولقد أمرَتْ لى عين الحبيب بشربة من القند ممزوجة بماء الورد من شفته الندية
وكانت عينه الشبيهة بالنرجسة الغضة هى الطبيب لقلبى العليل

— وحبيبى « الحلو الكلام » ، « النادر الأقوال »
هو الذى علم « حافظاً » الدقائق فى إنشاد « الغزل »

غزل ٥٩

سينه م از آتش دل در غم جانانه بسوخت
آتشى بود در اين خانه كه كاشانه بسوخت

— لقد احترق صدرى بنار القلب ، المؤججة من أجل حزنى لفراق الحبيب
فاستعر أوارها ، وأحرقت ألسنتها عشىّ الآمن ، وأشعلت به اللهيب

— وذاب جسدى وانصهر كيانى لبُعد الحبيب
واكتوت روحى واحترقت نفسى بنار خدّه المشمس

— فانظر إلى احتراق قلبى ، ونار دموعى المنهلة كدموع الشمع
حينما أشفق الحبيب بحالى ، وزارنى ليلة الأمس ، فاحترق بنارى كالفراشة . . !!

— وغريبة حقاً هذه « المحبة » المحرقة للقلوب . . . !!
فقد غبتُ بسببها عن نفسى ، فاحترق بنارها قلبى الغريب

— ولقد جرف « ماء الخرابات » بطوفانه « خرقةَ الزهادة »
وأحرقت « نارُ الحانة » مستقرَّ عقلى ! !

— وانكسر قلبى انكسار الكأس بسبب « التوبة » التى لزمتها
واحترق كبدى احتراق الشقائق ، بغير الخمر والحانة

— فأقلّ الحديث عما جرى ، وارجع إلىّ ، فإنسان عينى
قد طوّح بالخرقة عن رأسى ، وشكراً لله ، أنها احترقت

— واترك الترهات ، يا « حافظ ! » ، واشرب الخمر
فإننا لم ننم الليل ، وقد احترق الشمع على حكاية هذه الترهات[1]

غزل ٦٠

خواب آن نرگس فتان تو بى چيزى نيست
تاب ان زلف پريشان تو بى چيزى نيست

— ليس نعاس نرجستك الفتانة لغير ما سبب ، ولا ثنايا طرتك الشعثة لغير ما سبب . . . !؟
— وكان اللبن يقطر من شفتك وكنت أقول : هذا السكر لايلتف حول « اللاّحة[2] » لغير ما سبب !!
— وإنى أدعو لك بالحياة الطويلة المديدة لأنى أعلم يقيناً ، أن سهام أهدابك ليست فى القوس لغير ما سبب !!
— ولقد ابتُليتَ بالغم والمحنة والهم والفراق ، فيا قلبى ! ليس نواحك وأنينك لغير ما سبب ! !
— وليلة أمس اجتازت الريح دياره ثم مرت بروضة الورد ، فيا أيتها الوردة لم يتمزق[3] جيبك لغير ما سبب ؟!
— وإذا استطاع قلبك أن يخفى ألم العشق عن سائر الناس ، فعيناك يا « حافظ » لا تبكيان لغير ما سبب ! !

---

(١) أى قد احترق الشمع ونحن نقص مثل هذه الحكايات . فكذلك احترق شمع حياتى فى حكاية هذه الأباطيل
(٢) « نمكدان » أى وعاء الملح ويشير به هنا إلى الفم الذى يتحدث بالأحاديث الطلية المليحة
(٣) حينما مرت الريح بروضة الورد جعلت الورد يتفتح عن أكمامه ويمزق جيبه

غزل ٦١

روزه یکسو شد وعید آمد ودلها بر خاست
می ز خمخانه بجوش آمد ومی باید خواست

— لقد انقضى الصيام ، وأقبل العيد ، وارتفعت القلوب بالابتهال والضراعة
واحمرّت الخمر فى حانوتها ؛ فاطلب الكأس بما تملك من قدرة واستطاعة

— وانقضت توبة « بائعى الزهد[1] » ثقلاء الأرواح المنافقين
وآن أوان الشراب والعربدة للشاربين والمعربدين

— وأى لوم لمن يحتسى مثل هذه الخمر وهذا الشراب ؟!
وأى عيب نعيبه عليه إذا فقد الوعى وأضاع الصواب ؟!

— وشارب الخمر الذى لا رياء فيه ولا نفاق
خير من « بائع الزهد » الذى يكون فيه الرياء وضعف الأخلاق !!

— ولسنا نحن من المعربدين المرائين ، ولا من المصطنعين للرياء
وشاهدنا على هذه الحال ، هو « عالمُ السرّ والخفاء »

— ولربما نتجاوز عن فروض الله ؛ ... ولكنا لا نفعل السوء بأحد من العباد
فإذا قالوا : « ليس هذا صوابا » ، قلنا : « هذا هو عين الصواب ومحض الإسعاد »

— وماذا يحدث وماذا يضيرك ؟! لو أننى شربت معك بضع أقداح من الشراب المعتّق ؟!
والخمر من « دم العناقيد » ، وليست من دمك المهرق !!

— وأى إثم فى هذا الأمر ، يَنتُجُ عنه الإخلال بالأصول والأحكام ؟!
وحتى إذا حدث ذلك ، فماذا يضيرك ؟! وأين المبرأ من الزلل بين الأنام ؟!

---

(١) الذى يتحدث ويفتخر بالزهد فهو كبائع الزهد يريد أن يزجى بضاعته.

غزل ٦٢

چه لطف بود که ناگاه رشحهٔ قلمت
حقوق خدمت ما عرضه کرد بر کرمت

— أى لطف أبديتَه ، حينما أظهرتْ رشحاتُ قلمك ،
حقوقَ خدمتى ، وعرضتها على كرمك ...؟!

— فرقمتَ إلىّ بلسان القلم ، رسالة محملة بالسلام
فيا رب !! لا تحرم « العالم » من كتابتك ورقمك !!

— ولست أقول إنك سهوت فتذكرتنى ، أنا المولّه المفتون
وفى حساب العقل ، لا يجرى سهو على قلمك !!

— فلا تجعلنى ذليلا ، بشكر هذه النعمة ،
وقد أعزّتك الدولةُ السرمدية ، ورفعت من قدرك ...!!

— وتعال إلىّ ، فإنى أريد أن أقسم لك بأطراف طرّتك
بأنى لن أحوّل رأسى - ولو طاحت — عن موطئ قدمك !!

— ولربما يلمُّ قلبك بحالنا ، فى وقت من الأوقات ؛
وهذه زهرات اللعل[1] تنبت فى الثرى من ضحايا هجرك .. !!

— فأدرك أرواحنا الصادية الظامئة ، ولو بجرعة واحدة
حينما يصبّون « زلال الخضر[2] » فى قرارة كأسك !!

— فيا من له أنفاس عيسى ! لتطِب جميع أوقاتك
فقد دبت الحياة ، فى روح « حافظ » ، بفضل نفَسك !!

---

(١) « لاله » زهرة اللعل أو شقائق النعمان الحمراء

(٢) « زلال خضر » أى ماء الخضر الزلال . وهم يعتقدون أن الخضر يتولى الحراسة على ماء الحياة (انظر قصة الخضر فى « قصص القرآن » تأليف محمد أحمد جاد المولى بك وآخرين ، طبع مطبعة الاستقامة سنة ١٣٥٨ هـ — ١٩٣٩ م) .

غزل ٦٣

شگفته شد گل حمراء وگشت بلبل مست
صلای سرخوشی ایصـــوفیان باده پرست

— لقد تفتحت الوردة الحمراء ، وأضحى البلبل مولّها
فيا أيهـا الصوفيون ، يا عبّاد الخمر ، هذا هو الوقت الذى تجوز فيه صلاة الطرب والمرح

— وأساس التوبة الذى يبدو صلباً كالحجر الصلد
هل رأيته وقد كسرته طرفة رقيقة ، هى عبارة عن كأس من الزجاج ؟!

— فاحضر إلىّ الخمر !! فنى حلقة الاستغناء
لا فرق بين الراعى والسلطان ، ولا بين المفيق والسكران !!

— وإذا كان الرحيل ضروريا عن هذه الدار ذات البابين
فلا فرق إن علا رواق الحياة أو انخفض

— والعيشُ لا يسْهل بغير التعب والنصب
فقد عقدوا عهد « ألستُ بربكم » فقالوا : « بلىْ » بمعنى « البلاء »[1]

— فلا تتعب خاطرك بالكائن والمعدوم ، واهدأ بالا
لأن العدم هو النهاية لكل كمال كائن

— ولقد ذهبت عظمة « آصف »[2] ومركبه على الريح ، ومنطقه مع الطير
وضاعت جميعها ، ولم يتمتع بشىء منهـا !!

— فلا تطرْ بجناحيك وريشك وترتفع عن الطريق ؛ فالسهم الرائش
يرتفع مدة فى الهواء ، ولكن سرعان ما يهبط إلى الأرض

— وأى شكرٍ يمكن أن ينطق به قلمك يا « حافظ » ...!!
وهذه كلماتك العذبة يتخطفها الناس وتتلقفها الأيدى ؟!

---

(١) يشير إلى سورة الأعراف آية ١٧١ « وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ، قالوا بلى شهدنا »
(٢) هو آصف بن برخيا ، كان وزيراً لسليمان الحكيم ، ويضرب به المثل فى الحكمة

غزل ٦٤

زلف آشفته وخوى كرده وخندان لب ومست
پيرهن چاك وغزلخوان وصراحى در دست

— مبعثر الخصلات ، محمرّ الوجنات ، ضاحك الأسنان ، تلعب به الخمر ، سكران
ممزق القميص ، يتغنى بالألحان ، فى يده إبريق من بنت الحان .... !!

— عيناه كأنها زهرات النرجس توحى بالعربدة ؛ وشفتاه الرقيقتان ساحرتان
أقبل فى نصف الليل أمس ، فجلس إلى وسادتى بضع ثوان .. !!

— ثم أدار رأسه إلى أذنى وهمس فيها لحناً حزيناً
قائلا : « يا عاشق القديم ، هل أنت نائم نعسان ؟! »

— والعاشق الذى يعطونه مثل هذه الخمر الليلية
يكفر بالعشق إذا لم يصبح عابداً للخمر والدنان ! !

— فاذهب أيها الزاهد ! ولا تهزأ بمن يتجرعون الثمالة
فإنهم لم يعطونا غير هذه التحفة منذ أقدم الأزمان ... !!

— ولقد شربنا ما صبّه الساقى فى كؤوسنا
سواء كانت خمره من خمور العربدة أو من خمور الفراديس والجنان

— وابتسامة كأس الشراب ، وطرّة الحبيب المجعدة الملتفة
ما أكثر ما كسرتا من توبات مثل توبتك أيها « الحافظ » الولهان . . . !!

غزل ٦٥

زلفت هزار دل بيكى تار مو ببست
راه هزار چاره گر ز چار سو ببست

— قيدت طرتك آلافا من القلوب فى خصلة واحدة من الشعر
وسدّت الطريق من كل نواحيه على آلاف من المجتهدين والناصحين

— وكيما يبذل العشاق أرواحهم من أجل نفحة واحدة من نسماتها .
فتحت لهم نوافج المسك ؛ ولكنها أغلقت دونهم أبواب الأمل . . . !!

— ولقد ولّهتنى رؤية حبيبى كالهلال الناشئ الجديد
أطلّ بحاجبه ، وبدا مجلواً مزهواً ، ثم سرعان ما أخفى وجهه الوضىء

— وما أكثر ألوان الخمر ، التى صبها الساق فى الكأس
فانظر ! ما أحسن هذه النقوش الطيبة التى انعقدت فى قرارة هذه الكأس ! !

— ويا رب ! ! ما هذا الدلال الذى أظهره الإبريق ، فتمكن من أن يمسك بدمه
فى حلقه ، رغم هذه النغمات المقلقلة والأصوات المتحشرجة ؟ !

— وأى نغمة جميلة تلك التى لعبها المطرب فى حلقة « السماع »
فتمكن من أن يغلق باب الذكر والترتيل على أهل الوجد والحال ؟ !

— فيا « حافظ » ! . . . مَن لم يزرع بذور العشق وأراد الوصال
يكون كمن عقد النية على الإحرام بكعبة القلب ، بغير الوضوء والاغتسال ! !

غزل ٦٦

خدا چو صورت ابروى دلگشاى تو بست
گشاد كار من اندر كرشمه هاى تو بست

— حينما صوّر الله حاجبك الجميل وأبدعه
عقد تيسير أمرى على نظراتك وغمزاتك ؟ !

— وقد أجلسنى الزمان مع سرو الخميلة فى طريقك
منذ أن عقد لك من القصب المذهب حزاماً لعباءتك

— وحينما عقد القلب عزمه على أن يكون تحت أقدام هواك
فتح أريج الورد الكثيرَ من أمورنا المغلقة كلفائف البراعم

— وجعلتنى « دورةُ الفلك » راضياً بأغلالك وقيودك
وما عملى وقد جعلت أطراف الحبال معقودة على رضاك ؟ !

— فلا تعقد عقدة كالنافجة المغلقة ، على قلبى المسكين
فقد عقد القلب عهده مع طرتك الحلالة للعقد

— ويا نسيم الوصال ! لقد أحييتنى بنسماتك
فانظر إلى خطأك ! وقد فقد القلب أمله فى وفائك

— ولقد قلتُ للحبيب : « لا بد أن أذهب عن هذه البلدة بسبب جورك ويدك الغاشمة »
فأجاب مبتسما : « اذهب يا حافظ إن كنت تستطيع ! فإن أقدامك ترسف فى القيود المحكمة »

غزل ٦٧

رواق منظر چشم من آشيانهٔ تست
كرم نما وفرود آ كه خانه خانهٔ تست

– يا حبيبي ! إن رواق عيني ، عش لك
فتكرم بالنزول فيه ، فالمنزل منزلك ! !

– ولقد سلبتَ قلوب « العارفين » بلطف شامتك وشعرك
وما أعجب اللطائف التي نصبتها في شباكك ، وفي هذا الطُعم[١] ! !

– ويا بلبل السحر ! ليهنأ قلبك بوصال الورود
فالخميلة لا تردد إلا أصواتك العاشقة ، ونغماتك المولهة

– فاجعل علاج قلوبنا الضعيفة إلى شفتك الياقوتية
فالشراب المفرح الياقوتى كائن في خزانة ثغرك

– ولربما أقصِّرُ عن دولة ملازمتك
ولكن خلاصة روحي هي التراب لأعتابك

– ولستُ من ينقد قلبه لكل لعوب عابث
وكيف أستطيع ؟ وباب الخزانة ممهور بخاتمك وطابعك ! !

– وأي طُرفة ساحرة أنت أيها الفارس الجميل الخصال !
وقد جعلتَ الفلك النافر طائعاً لسياطك ؟ !

– وأي حيلة لى ؟ ! والفلكُ المشعوذ نفسه
يرتعد أمام الحيل التي في جعبة معاذيرك ! !

– وأغنية مجلسك الآن ، تدعو الفلك الدائر إلى الرقص والطرب
لأن أشعار « حافظ » الجميلة هي تراتيلك وأغنياتك ! !

---

(١) هو يشبه الشعر بالشباك ، ويشبه هذه الشامة بأنها الطُّعم الذى يوضع في الشبكة ، أو الحبة من الحبوب توضع فيها لاجتذاب الطير

غزل ٦٨

ساقی بیا که یار ز رخ پرده بر گرفت
کار چراغ خلوتیان باز در گرفت

— تعال أيها الساقى ! فقد خلع الحبيب نقابه عن وجهه
فأخذ سراجُ أهل الخلوة يشتعل من جديد . . . ! !

— واتقد من جديد وجه الشمعة المجزوزة الذؤابة
واستعاد الشيخ الذى أفنته السنون ، عهد شبابه ! !

— وأظهر الحبيب دلاله ، لحاد « المفتى » عن طريقه
وتلطف الحبيب بحالنا ، فأخذ العدو طريق الحيطة والحذر ! !

— وإنى لأحذرُ عبارتك الحلوة الخداعة
فقد اتخذت شفتاك حلاوة الكلام من السكر . . . ! !

— وأحمال الهموم التى أزعجتنى وناء بها ظهرى
قد رفعها الله عن عاتق برسول أنفاسه كأنفاس عيسى . . . ! !

— وكل هيفاء مديدة القامة تختال عجباً على الشمس والقمر ،
اتخذت لنفسها عملا آخر ، حينما أقبلتَ علينا بطلعتك[1] . . . ! !

— وامتلأت قبابُ الأفلاك السبعة بصدى قصتى
فانظر إلى « قصير النظر » وقد اختصر الحديث . . . ! !

— ويا « حافظ » ! ! . . . ممن تعلمت هذا الحديث
وقد جعل الحبيب أشعارك تعويذة له ، صفحها بالذهب ! !

---

(١) أى أنها خجلت لأنها وجدت اعتدال قوامها ليس شيئا إلى جانب قامتك المديدة الهيفاء

غزل ٦٩

شنيده ام سخنى خوش كه پير كنعان گفت
فراق يار نه آن ميكند كه بتوان گفت

— ما أعذب ما سمعت عن شيخ كنعان حينما قال :
« إن فراق الحبيب يفعل بالمحب ما لا يمكن أن يُقال !! »

— وأحاديث يوم القيامة وأهوالها التى حدثنا بها « واعظ القرية »
ما هى إلا كناية عن أيام الهجر والفراق . . . !!

— وممن عساى أسأل عن الذى سافر وارتحل
وكل ما قاله لى « بريد » الصبا ، كان مبعثراً مضطربا . . . ؟!

— فيا أسفاً لهذا القمر الغادر ، الذى يقطع أسباب الحب
ما أسهل ما قرّ قراره على هجر أحبابه وأصحابه !!

— ولقد قنعتُ بعد ذلك بالرضا وشكر « الرقيب »
فقد اعتاد قلبى تحمُّل الداء ، فقرر ترك الدواء . . . !!

— فادفع همومك القديمة ، بالخمر المعتقة المروقة
فهى أساس الراحة والهناء ، كما قال « الدهقان » . . . !!

— ولا تعقد العُقَد على حبال الريح[1] ؛ حتى ولو هبت الرياح وفقاً لمرادك
فقد قالت الريح مثل هذا الحديث نصيحةً لسليمان . . . !!

— ولا تتعجل المهلة التى قدّرها لك القَدَر
ومن الذى قال لك إن هذه المرأة العجوز[2] قد قررت ترك الأقاصيص ؟!

— ولا تتحدث عن « كيف ؟ » و « لِمَ ؟ » . . . ، لأن العبد المقبل على سيده
يتقبل من صميم روحه كل أمر للحبيب . . . !!

— ومن الذى قال لك إن « حافظاً » قد رجع عن التفكير فيك ؟!
وأنا نفسى لم أقل لك ذلك !! ومن قاله لك فقد قال كذبا وبهتانا !!

---

(١) لا تغترّ بهذه الدنيا الزائلة (٢) أى الدنيا

غزل ٧٠

در دیر مغان آمـــد یارم قدحی در دست
مست از می ومیخواران از نرگس مستش مست

— لقد أقبل الحبيب إلى « دير المجوس » وفى يده قدح
وهو نشوان بالخمر ، وشاربو الخمر سكارى بنرجسة عينه المخمورة ! !

— وقد بدا شكل الهلال الجديد ، فى حدوة جواده
وبدت قامة الصنوبر قصيرة إلى جانب قدّه الطويل المديد . . . ! !

— وكيف أصف شيئاً بأنه موجود ، بينما أنا لا أعرف شيئاً عن نفسى ؟ !
وكيف أصف شيئاً آخر بأنه معدوم ، بينما ترتقبه عينى ؟ !

— ولقد خبت شموع قلبى ، حينما قام الحبيب ليغادر المكان
فلما جلس ارتفعت الصيحات ممن يرقبونه[1] فى كل مكان ! !

— وإذا طابت رائحة « الغالية[2] » ، فلأنهـا تخللت طرّته
وإذا رمى الكحل « بالقوس[3] » ، فلأنه التحق بحاجبه ! !

— فارجع إلىّ ؛ حتى يرجع لـ « حافظ » عمره الضائع
ولو أن السهم الذى أفلت من القبضة لا يرجع ثانية ! !

غزل ٧١

دیدی که یار جز سر جور وستم نداشت
بشکست عهد وز غم ما هیچ غم نداشت

— أرأيت أن الحبيب لم يرغب إلا فى الجور والظلم ،
وأنه نقض العهد ، ولم يهتم للغم الذى نحن فيه ؟ !

---

(١) « نظر باز » الذى يلعب بعينه ، أى المغرم بالنظر إلى الغانيات
(٢) المسك (٣) شبه الحاجب بالقوس لاستدارته

— فيارب ! لا تؤاخذه ، ولو أنه اصطاد قلبى اصطياد الحمام
فأوقعه ثم قتله ، ولم يرع حرمة لصيد الحرم ! !

— ولقد جفا علىّ سوء حظى ؛ أما الحبيب
فحاشا لله ، أن يتبع إلا مراسم اللطف وطريق الكرم ! !

— ومع ذلك كله ، فمن لم يتحمل ذلّ الحب
فلن يحترمه أحد حيثما حل أو ذهب . . . ! !

— فيا أيها الساقى ! أحضر الخمر ، وقل للمحتسب :
« لا تنكر حالنا ! فلم يكن لـ « جم[١] » مثل هذا الجام[٢] »

— ومسكين ذلك السالك الذى لم يأخذ طريقه إلى حرم الحبيب ،
فقد جاب الوادى ، ولم يتبين الطريق إلى باب الحرم ! !

— فيا « حافظ » ! ! أحرز قصب السبق ، والتقفْ كرة الفصاحة
فلا فضل للمدعى ، ولا خبر له بها أو دراية . . !!

غزل ٧٢

مدام مست ميدارد نسيم جعد گيسويت
خرابم ميكند هر دم فريب چشم جادويت

— عبير ذؤابتك الجميلة ، يجعلنى دائما ثملا مخموراً
وخدعة عينك الساحرة ، تجعلنى فى كل لحظة خرباً بالشراب

— فهل يمكن . . . . يا إلٰهى ! بعد طول التحمل والصبر ، أن نظفر منك بليلة واحدة
نستطيع فيها أن نشعل شموع العين فى محراب حاجبك[٣] ! !

— وإعزازى لسواد العين ، راجع إلى أنها
تنقش فى الروح نسخة من شامتك السوداء . . . ! !

— فإن اخترتَ الزينة الأبدية للعالم بأجمعه
فما عليك إلا أن تأمر الصبا بأن ترفع البرقع لحظة واحدة عن وجهك ! !

---

(١) أى الملك جشيد الذى اشتهر باحتساء الخمر (٢) أى الكأس
(٣) شبه الحاجب بالمحراب لاستدارته

– وإن أردتَ إبعاد الفناء عن العالم
فانفض طرتك حتى تتعلق الأرواح بأطراف شعراتها ! !

– وأنا وريح الصبا مسكينان ، كلانا دائر الرأس حائر النفس
فأنا ثمل بسحر عينك ، وهى نشوى بأريج ذؤابتك ! !

– وما أعلا همة « حافظ » فى الدنيا وفى الآخرة . . . !!
ولو لم يأت إلى عينيه إلا تراب جادتك ! !

غزل ٧٣

حسـنت باتفاق ملاحت جهان گرفت
آرى باتفـاق جهان ميتوان گرفت

– اتّحد حسنك مع ملاحتك ، فتمكنا من الاستيلاء على جميع العالم
وبالاتحاد والاتفاق ، يمكن حقاً الاستيلاء على العالم . . . ! !

– وأراد الشمع أن يفشى أسرار « أهل الخلوة »
وشكراً لله . . . ، إن أسرار قلبه اشتعلت على ذؤابته ! !

– وليست الشمس الوهّاجة إلا قبساً فى السماء ،
أشعلته هذه النار الخفية ، التى تتّقد فى صدرى ! !

– وأراد الورد أن يفخر بلون الحبيب ورائحته
ولكنّ نسيم الصبا – غيرةً منه – أمسك بأنفاسه فى فمه ! !

– وارتضيتُ عزلتى كما ارتضاها الفرجار يدور حول محيطه
ولكنّ القدر جعلنى فى النهاية كالنقطة فى وسط دائرته[1] . . . ! !

– وفى اشتياق إلى كأسٍ واحدة من الخمر ، احترق محصول عمرى
عند ما اشتعلت فيه النيران المنبعثة من وجنات الساقى . . . ! !

– فدعنى أذهب إلى « دير المجوس » نافضاً أكمامى
عن هذه الفتن التى علقت « بآخر الزمن » . . . ! !

---

(١) جعلنى الزمان والقدر فى وسط دائرة الحب . وربما يشير أيضا إلى أن حافظاً كان قانعاً بعزلته ، ولكنه فى النهاية أصبح مركز الاهتمام وموضع النظر والعناية من الجميع

— واشرب الخمر ، واهنأ بالا ... فالعارف بنهاية الأمور
يتخلص من أحزانه بتناول الأرطال الثقيلة من الخمر ! !

— ولقد كتبوا على أوراق الورد ، بدم الشقائق :
أن المجرب الناضج التجربة ، هو من تناول الخمر الأرغوانية الحمراء ! !

— وإذا كان ماء اللطف يقطر من نظمك يا « حافظ » !
فكيف يمكن للحاسد أن ينتقدك ، أو يهزأ بك ...؟!

غزل ٧٤

مير من خوش ميروى كاندر سر وپا ميرمت
خوش خرامان شو كه پيش قدّ رعنا ميرمت

— يا سيدى وأميرى ! اتّئد فى ذهابك ، فإنى ميتٌ من أجلك
واختَـلْ فى مشيتك ، فإنى ميت أمام قوامك ودلّـك ... ! !

— ولقد قلتَ لى : « متى تسبقنى إلى الموت ؟ » .... ولِمَ هذا التعجيل ؟
وطلبك طيب فى ذاته ، ولـكنى سأموت قبـل طلبتك ! !

— وأنا عاشق ، مخمور مهجور ، فأين الساقى الجميل ؟
وقل له : « إختَـلْ فى مشيتك ، فإنى ميت أمام قامتك ! ! »

— وقل لمن قضيتُ من أجله عمرى ، وأنا مُـعنّى بحبه :
« انظر إلىّ نظرة واحدة ، فإنى أودّ أن أموت أمام عينك الشهلاء[1] » ! !

— وشفتك الحمراء تلفظ الداء والدواء
وأنا ميت بدائك أحياناً ، وأحياناً أخرى بالدواء ! !

— فاختَل فى مشيتك ، وليبعد الله عنك عين السوء
فـكل ما أتمناه أن أموت تحت أقدامك ! !

— و « حافظ » لا مكان له فى « خلوة » وصلك
ولـكنى ميت من أجلك ، يا من تسعد به جميع أماكنك ! !

---

(١) العين التى سوادها شديد السواد وبياضها ناصع البياض

غزل ٧٥

مردم ديدهٔ ما جز برخت ناظر نيست
دل سرگشتهٔ ما غير ترا ذاكر نيست

— إن عيني لا تنظر إلى غير وجهك
وقلبي الحائر لا يردِّد غير ذكرك . . . ! !

— وقد تطهَّر دمعي ، وأحرَم للطواف حول حرمك
ولو أنه لم يتطهر لحظة واحدة ، من دماء قلبي الجريح ! !

— وإذا لم يجدّ طائر السـدرة في طلبك
فليـكن كالطائر الوحشي ، حبيساً في الشباك والأقفاص ! !

— وإذا جعل العاشق « المفلس » قلبه[1] الزائف فداء لك
فلا تَـعِبْـه ، لأنه لا يقدر على النقد الصحيح والعملة الجارية ! !

— ومن لم تقصر همّته عن طلبك
فستصل يده في النهاية إلى شجرة سروك الرفيعة ! !

— ولن أمتدح بعد اليوم « عيسى » ، وقدرته على إحياء الموتى
فلم يكن ماهراً مهارة شفتك في إنعاشها للأرواح ! !

— وأنا الذي لا أتأوّه من نار محبتك
كيف يمكن أن يُقال بأني لستُ صابراً على اكتواء قلبي بنارك ؟ !

— ومنذ رأيتُ طرفَ ذؤابتك في أول يوم ،
قلتُ لنفسي : « لا نهـاية لهذه السلاسل المشعثة ! ! »

— وليست الرغبة في وصلك ، قاصرة على « حافظ » دون سواه !
وهل يوجد مَن لا تجول في خاطره الرغبة في وصالك ؟ !

---

(١) « قلب » في الفارسية بمعنى النقود الزائفة ، أو القلب بمعناه العربي

غزل ٧٦

روز گاریست که سودای بتان دین منست

غم این کار نشاط دل غمگین منست

— منذ عهود طويلة ، وقد أصبح حب الدُمَى الجميلات ديدنى ودينى
وأصبح نشاط قلبى الكسير الحزين ، فيما أحسه من لوعة فى حبى وحنينى

— ولكى أتمكن من رؤية وجهك ، لابد لى من عين « بصيرة بالأرواح »
وأين هذه المرتبة من مرتبة عينى التى لا تبصر غير العالم !!

— فكن صديق وحبيبى . . . لجمال الفلك وزينة الأيام
فى وجهك الشبيه بالقمر ، وفى دمعى الشبيه بعقد الثريا

— ومنذ أن علمنى عشق لك الكلامَ فيك
وقد أصبحت مدائحى لك أوراداً على ألسنة الخلق . . !!

— فيا رب ! هبنى من لدنك دولة الفقر
فهذه الكرامة سبب فى حشمتى وتمكينى ... !!

— وقل « للواعظ » الذى يعالى الحاكم : « لا تتكبر ولا تتجبر »
فمنزل السلطان هو قلبى الحزين المسكين ... !!

— ويا رب ! لمن تكون « كعبة المقصود » متنزها ومتفرجا
وأشواك طريقها ، من وردى ونسرينى !!

— ويا حافظ لا تحدثنى ثانية بقصة « خسرو پرويز »[1]
فقد رشفت شفته رشفة حلوة من ثغر الساقى الجميل ... !!

---

(١) قصة « خسرو پرويز » و « شيرين » ، قصة فى الأدب الفارسى تشير إلى حب خسرو پرويز الملك الساسانى لجاريته شيرين ، وقد نظمت أكثر من مرة ، وهى واحدة من القصص الخمس التى نظمها نظامى گنجوى

غزل ٧٧

روى توكس نديد وهزارت رقيب هست

در غنچهٔ هنوز وصدت عنـدليب هست

— لم يرَ أحد وجهك ، ومع ذلك فيرقبك آلاف من الرقباء
ولا زلتَ برعمةً لم تتفتح ، وفى انتظارك مئات من العنادل فى شقاء ... !!

— وليس غريبا أننى أقبلتُ إلى محلتك ،
وفى ديارك آلاف مثلى من الغرباء الأشقياء .. !!

— ولا فرق فى العشق ، بين « الخانقاه »[1] ، و « الخرابات »[2]
فضياء وجه الحبيب يبدو فى كل مكان

— و « الصوامع » تزدهر وتتجلى حينما
يكون ناقوس الراهب واسم الصليب

— ومَنْ من الناس أضحى عاشقاً . . ؟ ! ولم ينظر الحبيب إلى حاله ؟ !
وحينما يكون الداء ، أيها السيد ! ! يكون الطبيب والدواء ... !!

— وتأوهات « حافظ » ليست جميعها لغواً أو عبثا
بل هى قصة غريبة وحديث عجيب ... !!

غزل ٧٨

يا رب اين شمع دلفروز ز كاشانهٔ كيست

جان ما سوخت بپرسيد كه جانانهٔ كيست

— يا رب ! فى عش مَنْ ؟! هذه الشمعة التى تنير القلوب ؟ !
لقد أحرقت روحى ، فسلها : « لمن تـكون المشوق والمحبوب ؟! »

— وهى مدعاة لحيرتى واضطراب قلبى واختلال دينى
حينما اجتهدتُ فى أن أعرف من يعانقها ومن يضاجعها ؟!

(١) « الخانقاه » منزل الدراويش ، ويقصد بها مكان التعبد والخضوع

(٢) « الخرابات » يقصد بها هنا الحانات وأمكنة اللهو والشراب

— فلا تبعد يا ربى ! خمر شفته الحمراء ، عن شفتى
فلستُ أدرى لروح من ستكون راحا ، ولكأس من ستكون قرينة .. ؟!

— وسَل التوفيق فى مصاحبة الشمعة « السعيدة الضياء »
بربك ! من نصيب أى فراشة تكون ؟!

— وكل عاشق يقدم للحبيب تعويذته ورقيته ، ولكن الجميع لا يعرفون
لأى هذه التعاويذ يميل قلب الحبيب المدلل ويكون .. ؟!

— فيا رب ! هذا المليك صاحب « الوجه القمرى » و « الجبين الندى »
الدرّ اليتيم ، والجوهر الفرد لمن من الناس يكون !

— ولما قلتُ له : الويل لقلب « حافظ » بغير قربك ... إنه موله مجنون
أجاب وابتسامة ساخرة تحت شفته : « مجنون مَنْ مِنَ الناس عساه يكون ؟! »

غزل ٧٩

روشن از پرتو رويت نظرى نيست كه نيست
منت خاك درت بر بصرى نيستكه نيست

— النظر الذى يكون إلى غير ضياء وجهك ، لا يكون مضيئا وضيئا
وشكر تراب أعتابك لا تعرفه إلا العين التى على بابك

— و « أصحاب النظر » هم الذين ينظرون إلى طلعتك
ولا رغبة لهم إلاّ فى أطراف جدائلك ... !!

— وأى عجب .. ؟! لو انسكب دمى المهتون داميا قانيا
وكل أسير ببابك يبكى خجلا من أفعاله ... !!

— وقبلما تتعلق بأذيال ثوبى ذرات من غبار نسيمه
ارتفعْ أيها السيل عن ناظرى فلا مكان لعبورك .. !!

— ولكيلا يفاخر البعض بجدائلك السوداء فى كل مكان
لا يمضى علىّ سحَر ما لم أتحدث فيه عنك مع ريح الصبا

— ولست وحدى أتألم من طالعى الحزين الأسيف ،
فلا نصيب لغيرى أيضا فى أعتابك ... !!

— فيا منبع النور ! لقد خجل من شفتك الحلوة
كل سكر ، لا يكون غريقا فى مائك ونداك

— وليس من الخير أن يخرج السر من وراء هذه الحجب
وإلا فلا خير يكون فى مجالس المعربدين ؟!

— والأسد ينقلب ثعلبا فى بادية عشقك
فأواه من هذه الطريق حيث لا ينعدم الخطر

— ودموع عينى تغطيها أفضال من تراب أعتابك
وتراب أعتابك ينوء عثات من منن الحبيب وأفضاله

— ولى بوجودى هذا القدر من الاسم والشهرة
ومن الضعف ألا يكون لى هذا الأثر الذى لا يكاد يوجد ... !!

— وعدا هذا اللغز الذى لا حل له ، وهو أن « حافظا » غاضبٌ معك
لا فضل إلا ويكون فى كيانك ووجودك ... !!

غزل ٨٠

ساقيا آمدن عيد مبارك بادت
وان مواعيد كه كردى نرود از يادت

— أيها الساقى ! ! ليكن إقبال العيد مباركا عليك
فلا تدع هذه المواعيد التى ضربتها لى تغبْ عن بالك . . !!

— ولشد ما أعجب . . !! كيف استطعت فى أيام الفراق
أن تنصرف بقلبك عن الإخوان ، ويطاوعك ذلك القلب ... ؟!

— فهل لك أن تبلغ خضوعنا إلى « بنت الكرم » ، وأن تقول لها : أقبلى علينا
فإن أنفاسنا قد حرّرتك من قيدك ... !!

— وفى قدمك ومقدمك ، أفراح أهل المجلس
فليكن موضعاً للأسى ، ذلك القلب الذى لا يريد لك الفرح

— وشكراً لله ...!! لقد نجا من « غارة الخريف » بغير سوء ،
بستانُ ياسمينك ، وسروك ، ووردك وشمشادك[١]

— وليبعد الله عنك عين السوء . . فقد أرجعك من هذا الفراق
طالعُك السعيد وحظك المديد .. !!

— و « يا حافظ !! » لا تنفض يدك من سفينة نوح
وإلا اقتلعك طوفان الحوادث من أساسك ... !!

غزل ٨١

راهيست راه عشق كه هيچش كناره نيست
آنجا جز آنكه جان بسپارند چاره نيست

— طريق العشق طريق طويل لا نهاية له
ولا سبيل إليه إلاّ بإسلام الروح فيه[٢]

— ولكنها لحظة ميمونة حقا تلك اللحظة التى تسلم فيها قلبَك للعشق
فأقدمْ عليها ... ، فلا حاجة إلى الاستخارة فى عمل الخير

— ولا تُخيفْنا بمنع العقل ، وأحضرْ إلينا الخمر والشراب
فلا شغل لهذا « الحاكم القاسى »[٣] فى ولايتنا .. !!

— وسل عينيك عمن يقتلنا[٤]
فالذنب — يا روحى — ليس ذنب الطالع ؛ ولا الجرم جرم النجوم والكواكب

---

(١) « الشمشاد » نوع من الشجر معتدل القوام ولذلك يشبهون به الحسان
(٢) البيت الأول من هذا الغزل يشبه غزلا للشيخ سعدى مطلعه هكذا :
درد يست درد عشق كه هيچش طبيب نيست   گر دردمند عشق بنالد غريب نيست
انظر ص ٣٥ كتاب « بدايع غزليات شيخ سعدى شيرازى » طبع شركة كاويانى سنة ١٣٠٤ هجرى شمسى
(٣) أى العقل   (٤) أى إن غمزات عينك هى وحدها التى تقتلنا

— وبالعين الطاهرة يمكن رؤيته شبيها بالهلال
وليست جميع الأعين مكانا تجتلى فيه طلعته القمرية

— فاعتبر سلوكك فى طريق الخلاعة فرصة طيبة ،
فإنها كالطريق إلى الكنز لا تنفتح لجميع القاصدين

— ولقد بكى « حافظ » ... ولكن بكاءه لم يؤثر فيك بأى وجه من الوجوه
وإنى لحائر حقا ، من ذلك القلب الذى لا يقلّ فى صلابته عن الحجر الصلد ... !!

غزل ٨٢

حال دل باتو گفتنم هوس است
خبر دل شنفتنم هوس است

— من هوسى أن أحكى لك حال قلبى
ومن هوسى أن أستمع إلى أخبار قلبى ... !!

— ولكن تأمل طمعى الساذج حينما أريد أن أخفى
عن الرقباء قصتى الفاشية المنتشرة ... !!

— وليلة القدر عزيزة شريفة
ومن هوسى أن أنام معك فيها حتى مطلع الفجر

— ومن أسفٍ .... أن تكون رغبتى[1] فى أن أثقب
هذه الدرّة اليتيمة الغالية فى هذا الليل البهيم[2]

— فياريح الصبا .... إلىّ بالمدد فى هذه الليلة الداجية
فمن هوسى أن أتفتح فيها عند السحر .. !!

— ومن هوسى أن أكنس تراب طريقك بأطراف أهدابى
كيما أحصل على الشرف والمجد والفخار ... !!

— وبرغم الأدعياء المتطفلين ، فإنى كـ « حافظ »
أود لو استطعتُ أن أقول أشعار السكارى والمعربدين .. !!

(١) فى تعبير الصوفية بمعنى الأسرار الالهية العالية وهذه المسائل الروحية الرفيعة (٢) الليل البهيم أى الدنيا

غزل ٨٣

گر ز دست زلف مشکینت خطائی رفت رفت
ور ز هندوی شما بر ما جفائی رفت رفت

— إذا أصابنا خطأ على يد « زلفك »[١] الأسود المسكي ، فقد مضى وانقضى ...!!
وإذا لحق بنا جفاء من خالك الأسود الهندى ، فقد مضى وانقضى ...!!

— ولو أحرق برق العشق خرقةَ الصوفي[٢] فقد احترقت
ولو مضى جورُ « الملك » السعيد على السائل المسكين ، فقد مضى ... !!

— فأحضر الخمر ، فلا يجوز فى طريق العشق ازعاج الخاطر
ولقد ذهب الكدر عنّا ، حينما اجتاز بنا الصفاء ... !!

— فيا قلب أثبت ! فألاعيب الحب يجب أن تتحملها فى صبر وأناة
فإن كانت ملالة .. ذهبت ؛ وإن كانت أخطاء ... مضت

— ولو توجّع القلب من غمزات الحبيب ... ، فقد احتملها
ولو وقع أمر بين العاشق والمعشوق ... ، فقد وقع وانقضى أمره

— ولقد بدت ملالة الثرثارين ...
فلو وقع بين الجلوس والرفاق ما لا يليق ... ، فقد مضى

— فقل للواعظ : « لا تعبْ حافظا إذا ابتعد عن الصومعة ... !! »
وكيف يمكنك أن تقيد أقدام الحر الطليق ، وهو إذا ذهب ... فقد ذهب ... !؟

---

(١) « زلف » يعنى طرة أو ذؤابة أو نواصة

(٢) الكلمة المستعملة « پشمينه پوش » أى لابس الصوف أو المتصوف

غزل ٨٤

زگریه مردم چشمم نشسته در خونست

ببین که در طلبت حال مردمان چونست

— إن إنسان عيني من البكاء، غارق في لجة من الدماء،
فانظر كيف تكون حال الناس في طلبك والبحث عنك ...!!

— وعلى ذكر شفتك الحمراء وعينك الناعسة المخمورة
أصبحت دماء قلبي عبارة عن الشراب الأحمر الذي أحتسيه في كأس الأحزان

— ولو أشرقت شمسُ طلعتك من مشرق جادتك
وطلعت علينا برهة، لكان طالعي سعيداً موفقا ... !!

— وحكاية شفة « شيرين »، هي الحديث الذي يشغل « فرهاد »[1]
وثنايا شعر « ليلى » هي المقام الذي يلتزمه « المجنون »

— فابحث عن قلبي ...، فقد اعتدل قدك كالسرو الرطيب النحيف
وتحدث بالقول، فكلامك متزن وعجيب ولطيف

— وأنت أيها الساقي ! أرح روحي بإدارة الخمر والكؤوس
فدورتها لا تتعب خاطري، وإنما تتعبه دورة الفلك المكوس . . !!

— ومنذ غاب عن ناظري خيال حبيبي العزيز
وأذيالي تفيض بالدموع، كما يفيض نهر جيحون

— وكيف يجوز الفرح لنفسي الحزينة الأسيفة ... ؟!
وكيف تختار ... وهي مبعدة مقصية عن كل اختيار ... ؟!

— و « حافظ » ... لجنونه فقط ... يبحث عن حبيب له
وهو كالمفلس المعدم الذي يبحث عن كنز قارون ...!!

---

(١) قصة « خسرو وشيرين » معروفة في الأدب الفارسي . و « شيرين » جارية أحبها خسرو پرويز الملك الساساني واتخذها خليلة وزوجة ، ثم وقع « فرهاد » في حبها وانتهى الأمر بموته بأن ألقى بنفسه من فوق الجبل حينما حملوا إليه الأخبار الكاذبة بأن « شيرين » قد ماتت

غزل ٨٥

چو بشنوی سخن أهل دل مگو که خطاست
سخن شناس نهٔ جان من خطا اینجاست

ترجمة منظومة

إذا ما استمعتَ لأهل القــلوب فحاذرْ تصفهم بقول العيوبْ
فإنك لست الخبير المرجىَّ بسرِّ الضلوع وسرِّ القلوب
فإنى بقيتُ عزيزاً كريماً ، ولم أحنِ رأسى لدنيـا الذنوب
فبورك رأسى ، وما فيه يجرى ، إلى يوم أقضِى ورأسى طروب
ولست لأدرى وقلبى جــريحٌ طويةَ نفسى إذا ما تذوب
فإنى صموتٌ كثيرُ السكوت وها تلك منى تطيل النحيب
وها ذاك قلبى تعــدّى الحجابَ فأين المغنّى بقول يطيب ؟
تعالَ فحــدّثْ ، وزدنى كلاما ، فقولك ذلك قول لبيب !!
ولم يك شُغلى بتلك الحياة أمورَ الحيـاة وشغلَ الرقيب
فوجهُ الحياة جميل التمنى إذا كان فيه حديثُ القــلوب
وتلك الليالى مضت بخيـــالى على الرغم منى بسرٍ رهيب
خُمارى برأسى وسرى بنفسى فأين الشراب النقى الرطيب ؟!
تعــالَ إلىَّ فإنى الحبيسُ دمائى تُلطّخ دَيْرى الحبيب
وأسرعْ إلىَّ بدنِّ الشراب فطهّرْ وجودى فأنت المصيب
لئن كنتُ عنـد المجوس عزيزاً فما ذاك إلاَّ لأمر عجيب
فها ذاك قلبى بنــار المجوس تلظّى حريقا بجرِّ اللهيب
وذاك المغنى تغنّى طويلا بقول جميــل فصيح أريب :
« ألا فامضِ عمرى فرأسى ملىءٌ بحب بعيـد وحب قريب »
وأمس أتانى حـديثُ الأمانى بشوق جديد وحب غريب
فأحيَ فؤادى بصوت ينادى : « ألا فامض عنى فأنت الحبيب » .!!

ترجمة منثورة

— حينما تستمع إلى حديث أهل القلوب ، فلا تقل : « إنه خطأ »
فأنت لست من الخبراء بالكلام .. يا روحى ! والخطأ يكون من هنا !![١]

— ورأسى لا تنحنى للدنيا ولا للعقبى . . .
فبارك الله فى هذه الفتن التى فى رؤوسنا !!

— ولست أعلم من ذا يكون فى دخيلتى أنا الجريح القلب
فإننى دائما صامت ، وهو دائما فى عويل وصراخ ..!!

— ولقد خرج قلبى عن الستار والحجاب ... فأين أنت أيها المطرب !
وهيا نوّح فإن حالنا من ألحانك فى هناءة وحنين

— ولم ألتفت قط إلى أمور العالم
وكل ما يحسّنه فى نظرى إنما هو وجهك وطلعتك ... !!

— ولم أنم الليل مفكرا فى هذا الأمل الذى يتخيله القلب
وأحسستُ بخمار مئات من الليالى ، ولكن أين الحانة ومجلس الشراب ..!!

— فانظر ! إلى الصومعة وقد تلطخت بدم قلبى
وإذا شئت أن تغسلنى بالخمر ، فالحقُّ لك وفى يدك ! !

— والنار التى لا تخبو ، تتقد دائما فى قلبى[٢]
ومن أجل ذلك ، فأنا معزز مكرم فى دير المجوس .. !!

— وأى نغمة كانت تلك التى يلعبها المطرب فى الحانة ؟!
وقد ذهب العمر ، ولا زالت رأسى مليئة بالأهواء !!

— وليلة أمس ، أعادوا على قلبى نداء محبتك
فامتلأ فضاء قلب « حافظ » بالهتاف والأصداء

---

(١) أى لهذا السبب (٢) المجوس يعبدون النار ، وهم يحتفظون بها دائما متقدة مشتعلة

غزل ٨٦

دل ودينم شد ودلبر بملامت بر خاست

گفت با ما منشين كز تو سلامت بر خاست

— لقد ذهب قلبي وديني ، وهبَّ الحبيب إلى لومي
فقال : « لا تجلس معنا فقد ارتفعت سلامتنا بوجودك »

— وهل سمعت أحداً أمضى لحظة طيبة فى هذا المجلس
ولم يرتفع بالندم والشكاية فى آخر المصاحبة ...؟!

— وإذا فاخرت ألسنةُ الشموع شفتك الباسمةَ الضاحكةَ
فقد أدت ضريبتها لعشاقك باحتراقها الليالى الطويلة ... !!

— وهبَّ نسيمُ الربيع على الخميلة من خلال أشجار الورد والسرو
يشوقه الحنين إلى عارضك وقامتك ... !!

— فلما مررت بنا ، والخمر تلعب برأسك ، ارتفعت قيامة العاكفين بالملكوت
وهم يتطلعون إليك لمشاهدتك

— وخجلت الأقدام ، فلم تخطُ خطوة واحدة أمام مشيك الوئيد
وانصرفت أشجار السرو المتعالية بما لها من قدٍ مديد

— فاطرح يا « حافظ » عن جسدك هذه الخرقة المرقعة ... فربما استطعت أن تنجو بروحك
فقد استعرت النيران فى خرقة الرياء وادعاء الكرامة ... !!

غزل ٨٧

بدام زلف تو دل مبتلاى خويشتن است

بكش بغمزه كه اينش سزاى خويشتن است

— ابتلى القلبُ فى شباك نواصيك وبلاؤه بنفسه ، فاقتله بغمزة واحدة فهذا جزاءه بنفسه

— وإذا تحقق لك مرادنا وما نبغيه لك ، فتهيأ له ، فالخير جميعه لأجلك أنت

— وقسما بروحك أيها الصنم «الجميل الثغر» أن مرادى هو أن أفنى كالشمع ، فى الليالى المظلمة الداجية

— وحينما حدثتنى برأيك فى العشق أيها البلبل !! نصحتُـك ألا تفعل ؛ فذلك الورد الباسم جميعه لأجلك
— وأريج الورد ليس فى حاجة إلى مسك الصين وتركستان[١] ، فنوافجه المعطرة فى أربطة[٢] أرديته
— فلا تذهب إلى منزل الأحبة غير مزود بالمروءة ، فكنز العافية فى سرايك أنت
— وقد احترق « حافظ » ... ولـكنه ما زال فى حبسه وعشقه لك ، على عهده ووفائه ... !!

غزل ٨٨

خيال روى تو در هر طريق همره ما ست

نسيم موى تو پيوند جان آگه ما ست

— خيال وجهك مصاحب لنا فى كل طريق ،
ونسيم شعرك مزامل لأرواحنا فى كل سبيل

— ورغم المدعين الذين يمنعون العشق ويحظرونه
أضحى جمال وجهك حجةً وجيهة لنا

— فانظر إلى تفاحة ذقنك[٣] وهى تقول :
« إن آلافا كيوسف الصديق قد وقعوا فى بئرنا »

— وإذا لم تصل أيدينا إلى جدائلك الطويلة
فالذنب راجع إلى حظنا العاثر وأيدينا القاصرة

— وقل للحاجب الذى يتولى باب خلوتك الخاصة :
« إن فلانا من بين المتكفين بالأركان قد أصبح ترابا لأعتابنا »

— وهو بصورته محجوب عن نظرنا
ولـكنه موجود دائما فى خاطرنا الهادئ المرفه

— وإذا طرق « حافظ » الباب سائلا مستجديا ، فافتحه له !
« فإنه منذ سنوات عديدة فى اشتياق إلى وجهنا الشبيه بالقمر »

---

(١) الـكلمة المستعملة هنا وهى « چگل » وهى مدينة اشتهرت بالمسك فى تركستان (٢) أى فى أوراقه الملتفة
(٣) يقصد بتفاحة الذقن ، الغمازة أو طابع الحسن ، أو النقطة العميقة من الذقن وهو يشبهها فى الشطر الثانى من البيت بالبئر الذى يقع فيه العشاق

غزل ٨٩

ساقى بيـــار باده كه ماه صيام رفت

در ده قدح كه موسم ناموس ونام رفت

— أيها الساقى ! احضر الخمر فقد مضى شهر الصيام ... !!
وناولنى القدح فقد انقضى موسم الوقار والاحتشام ... !!

— ومضى العمر العزيز ... ، فتعالَ ... ! حتى نعوض
العمر الذى انقضى فى غيبة الأبريق والجام .. !!

— واجعلنى ثملا ، بحيث لا أستطيع أن أعلم ، وأنا غائب عن صوابى
أرتعُ فى وادى الخيال ؛ مَنْ الذى أقبل ؛ ومن الذى ذهب وراح ... ؟!

— وعلى أمل أن تصل إلينا جرعة واحدة من كأسك
ردّدتُ على « مصطبة الخلوة » دعائى لك كل الليالى والأصباح

— ودبّت الحياة فى روحى وانتعش القلب الذى مات
منذ سرت نفحة واحدة من نسيم الشراب إلى مشامّى

— واغترّ « الزاهد » فلم يسلك طريق السلامة
وذهب العربيد — لاحتياجه وضراعته — إلى دار السلام

— وأنفقتُ ذخيرة قلبى فى الخمر والمدام
وكانت زيفا أسود فذهبت — من أجل ذلك — فى الحرام

— وإلام احترق كالعود فى نار التوبة ... ؟!
فناولنى الخمر ... فقد انقضى العمر فى حب الساذج الخام

— ولا تنصحْ « حافظا » ثانيةً ...!! فلن يهتدى إلى سواء السبيل
ضالٌ وصلتْ الخمر الصافية إلى حلقه وفمه ...!!

غزل ٩٠

المنـــــة لله كه در ميكده باز است

زان رو كه مرا بر در او روى نياز است

— المنّة لله ... !! إن باب الحانة مفتوح على مصراعيه
وإن لى على أعتابها وجها للتضرع والابتهال ... !!

— وجميع الأباريق بما حوت من نشوة ، فى صخب واضطراب
والخمر التى بها حقيقية وليست مجازاً

— وإذا جاز للحبيب العجب والغرور والتكبر
وجبت علينا الذلة والمسكنة والعجز والضراعة ... !!

— وأسرارى التى لم أقلها ، ولن أقولها لأحد
سأقولها الآن للحبيب فهو محرم لأسرارى ... !!

— ولن أستطيع أن أختصر الحديث عن طيات شعره الكثّ الجعد
فقصتها طويلة لا يمكن انتقاصها ...

— وقد جعل « المجنون » قلبه المعنى أسيراً لطرة « ليلى »
وجعل « محمود » صفحة خده تحت أقدام « أياز »[١]

— ومنذ انفتحت عيناى على وجهك الجميل
أطبقت عينى كالصقر ، وأغمضتها عن العالم وما فيه

— والمقبلُ إلى كعبة محلتك
قائمٌ بالصلاة الحقة فى قبلة حاجبك

— فيا أهل المجلس ...!! اسألوا الشمع عن النار المتقدة فى قلب « حافظ » المسكين
فإنه لا زال يلتهب ... ويشتعل ... ويذوب ... ويتضاءل ... !!

---

(١) المقصود بذلك محمود الغزنوى ، مؤسس الدولة الغزنوية ، الذى كان يعشق غلاما تركيا يسمى « أياز »

غزل ٩١

ما هم اين هفته برون رفت و بچشم ساليست
حال هجران تو چه دانى كه چه مشكل حاليست

— غاب « قمرى » عنى أسبوعا .. ، هو فى نظرى سنة طويلة
فهل تعرف حال الهجران ؟! وإلى أى حد هى صعبة عويصة ؟!

— وانعكست صورة « إنسان عينى » على خد الحبيب المشرق
فتخيلتها عينى ، خالا أسود على صفحة وجنته ... !!

— وما زال اللبن يقطر من شفته الحلوة
ومع ذلك فكل هدب من أهدابه قتال فتاك

— فيا من يشار إلى كرمه بالبنان ، فى جميع المدينة ... !!
أسفاً ... أن إهمالك عجيب لشأن الغرباء ... !!

— ولن أعجز بعد اليوم عن الاستدلال على الجوهر الفرد
ففمك الصغير استدلال طيب وبرهان قاطع لوجوده ... !!

— ولقد أعطونا البشرى . . فقالوا إنك ستمر بنا
فلا ترجع عن نيتك الطيبة ... فإنها فأل مبارك

— وكيف يمكن لـ « حافظ » المسكين الذى غدا جسده من البكاء هزيلا نحيلا كقصبة الناى
أن يتحمل آلام فرقتك التى تنوء بها الجبال ... ؟!

غزل ٩٢

مارا ز خيال توچـــه پرواى شرابست
خم گو سر خود گير كه خمخانه خرابست

— بخيال طلعتك ، أى حاجة لنا إلى الشراب ... ؟!
فقل للإبريق : احتفظ بسدادتك ، فالحانة مقفرة ، أصابها الخراب

— وأهرق ما بك من خمر .. ولو كانت خمر الفراديس ... !! ففى غيبة الأحباب
يكون الشراب العذب الذى تعطيه لى ، هو عين العذاب !!

— ويا أسفاً ... ، إن الحبيب قد ذهب عنى ... وتخيلُ صورته فى العيون الباكية
شبيهٌ بالرقم على صفحات الماء ... !!

— فيا أيتها العين !! استيقظى من سباتك وتنبّهى ! فلا يمكن لأحد أن يأمن
هذا السيل الجارف الذى ينصب على مرقده المستطاب ... !!
— والمعشوق يمر بنا مكشوف الطلعة ،
ولكنه ما زال يرى الأخصام . . ، ومن أجل ذلك فهو « معقود الحجاب »
— وعند ما شاهدت الوردةُ لطف الجمال على خدك الوردى
التاع قلبها فى نار الشوق ، وغرقت فى مائها المذاب
— واخضرت الأودية والفلوات ... ، فتعال إلى ... حتى لا تفلت
من أيدينا فرصةُ التمتع بالشراب ... فالحياة جميعها سراب ... !!
— ولا تبحث فى أركان رأسى عن مكان للنصيحة والموعظة
فزواياها مليئة بزمزمة العود وأنين الرباب
— وماذا يحدث لو كان « حافظ » ، عاشقا ، خليعا ، يلعب بالنظرات
وما أكثر هذه الأطوار العجيبة ، اللازمة لأيام الشباب ...!!

غزل ٩٣

بجان خواجه وحقّ قديم وعهـــد درست
كه مؤنس دم صبحم دعاى دولت تست

— قسما بروح سيدى ، وبالحق القديم ، وبالعهد الصادق
إن مؤنسى عند تنفس الصباح ، هو الدعاء لدولتك وعظمتك
— ودموعى التى فاضت وفاقت طوفان نوح
لا يمكنها أن تمحو عن صدرى ، صورةَ محبتك ... !!
— فأقدمْ على معاملتى ، واشتر منى هذا القلب الكسير
فهو على انكساره ، يساوى مائة صحيحة (من القلوب)
— وقد تطاول لسان النملة على « آصف » ... وحُقَّ له أن يفعل ذلك
فقد أضاع هذا السيد خاتم « سليمان » ولم يبحث عنه ثانية ... !!
— فيا قلب !! لا تيأس من لطف الحبيب الذى لا نهاية له
وطوح برأسك فى خفة وعجلة عند ما تفخر بالعشق .. !!

— واجتهد فى الصدق ، فربما تبزغ الشمس من أنفاسك
فقد اسود وجهُ « الفجر الأول » من كذبه

— وقد أصبحتُ على يديك وبسببك مجنون الفلوات والصحارى
فهلاَّ أشفقت علىّ وفككت سلاسلى قليلا ؟ ! !

— ولكن لا تتألم ، يا « حافظ » !! ولا تطلبْ من الأحبة المحافظة على الود
وما ذنب الخمائل ... ؟! إذا لم تنبت فيها الأعواد النضرة المخضرة ...!!

غزل ٩٤

بيا كه قصر امل سخت سست بنياد است

بيار باده كه بنياد عمر بر باد ست

— تعال ... فقصر الأمل ضعيف الأساس واهى الأركان
واحضر الخمر ... فأساس العمر قائم على الريح ، ضعيف البنيان

— وأنا عبد لذلك الشخص « الرفيع الهمة » ، الذى استطاع تحت هذه القبة الزرقاء
أن يحرر نفسه من كل ما تتعلق به الصفات والألوان

— وما عساى أقول لك عما سمعت أمس فى الحانة ، وأنا خرب بالشراب ... !!
وأى البشارات أوصلها إلىّ « ملاك التنزيل » من « عالم الغيب » ..!!

— فيا رفيع النظر ! أيها البازى الذى مأواه فى سدرة المنتهى ..!!
لا يليق هذا الركن الأعزل الخرب بمقامك ..!!

— إنهم ينادونك من « شرفات العرش »
وإنى لأعجب ... ولا أعرف ماذا دهاك فبقيت فى هذه « المصيدة » . ؟!

— إنى أنصحك ، فتذكر نصيحتى . . ، واعمل بها
فإنها تذكرة طيبة من شيخ لى فى طريقتى :

— لا تغتم بهذا العالم ، ولا تطرح نصيحتى عن بالك
فلطيفة عشق هذه قد استفدتها من مريد سالك

— وارض بما قسم لك ، وافكك العقد عن هذا الجبين القطب
فليس باب الاختيار مفتحا لى أو لك

— ولا تطلب من هذه الدنيا الواهية الأساس أن تصدقك العهد
فهى عروس عجوز أراد الاقتران بها آلاف من أبنائها ... !!

— وأنت أيها البلبل الواله ! ... ليس فى تبسم الورد أثر للعهد والوفاء
فنوّح إن شئت ... فهذا زمان النواح والعويل ... !!

— وأما أنت يا ضعيف النظم ...!! فَلِمَ تحقد على « حافظ » ... ؟!
والله وحده هو الذى أعطاه القبول لما يجول بخاطره ، ولما ينطق به لسانه ...!!

غزل ٩٥

شربتى از لب لعلش نچشيديم وبرفت
روى مه پيكر او سير نديديم وبرفت

— جرعة واحدة لم نذقها من شفته الحمراء . . . . ولكنه . . . . ذهب
ولم نتمتع برؤية طلعته الحوراء . . . . ولكنه . . . . ذهب

— وكأنما تضايق من صحبتنا الطويلة ، وأصابه الملل
فعقد الأحمال ، ولم نستطع أن نصل إليه وندركه . . . . فذهب

— وكثيراً ما قرأنا الفاتحة والحرز اليمانى
وكنا من قبل نرتل له « سورة الإخلاص » . . ولكنه . . . . ذهب

— ولقد خدعونا بقولهم أنك ستمرّ بنا
فهل رأيت كيف تلقينا هذه الخدعة . . . . وكيف . . . . ذهب

— ولقد مضى يختال فى خميلة الحسن واللطف . .
ولم نرع شيئاً فى روضة وصاله . . . . فذهب

— وأكثرنا النواح والصياح طوال الليل . . ولكننا « كحافظ »
واأسفاه . . . لم ندركه لتوديعه . . . . فذهب



﴿ حرف الثاء ﴾

غزل ٩٦

درد مارا نيست درمان الغياث

هجر مارا نيست پايان الغياث

— أما ألمنا لفراقه فلا دواء له . . . . فالغياث الغياث

وأما هجره لنا فلا نهاية له . . . . فالغياث الغياث

— وقد سلبَ قلبي وقصد قتلي

فالغياث من جور الحسان . . . . الغيـــــاث

— وثمنا لقبلة واحدة ، يطلب الأحبة روحي

فالغياث من سالبي القلوب . . . . الغيـــــاث

— وقد أحلّ أصحاب القلوب الكافرة (القاسية) دمي

فيا أيها المسلمون ... ! ما العلاج ، وكيف النجاة . . . . الغياث الغياث

— ولقد أصبحتُ مثل « حافظ » أهيم على غير هدى ليلا ونهارا

وأنا أحترق ... ، وأبكي ... ، وأطلب النجدة . . . . والغيـــــاث



﴿حرف الجيم﴾

غزل ۹۷

تونی که بر سر خوبان کشوری چون تاج
سزد اگر همهٔ دلبران دهنـــدت باج

— أنت على رأس حسان العالم كالتاج
وجدير بك . . ، إذا أعطاك جميعُ الأحبة الخراج ... !!

— وعيناك المخمورتان اللعوبتان ، أصبحتا فتنة للأتراك والأحباش
وأما « زلفك » المجعد الملتفّ . . . ، فقد دفعت له الصين والهند الخراج

— وأما بياض وجهك ، فمضيء كطلعة النهار
وأما سواد طرّتك ، فهو الظلام الحالك الداج

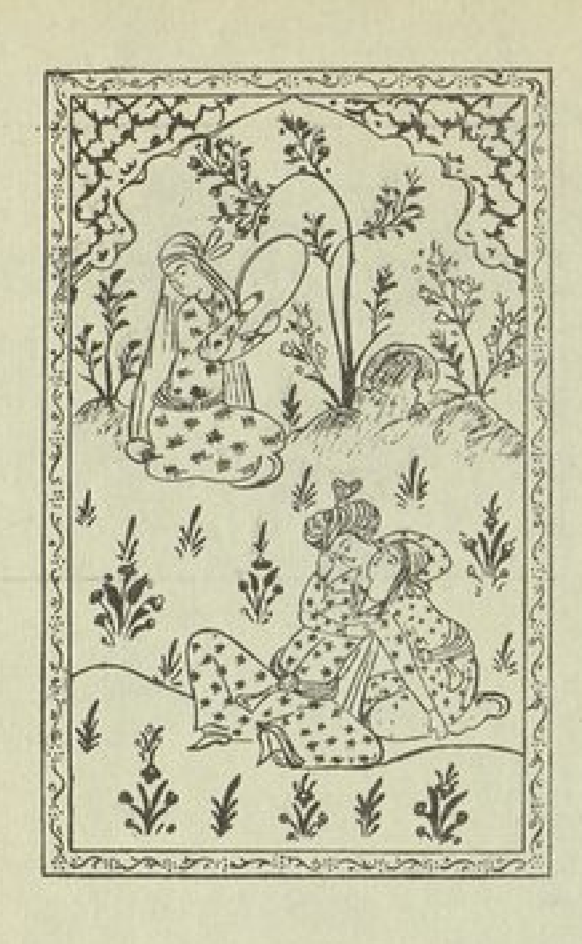
— وأما فمك المعسول ، فمثال لماء الخضر
وأما شفتك الحلوة ، فقد فازت على سكر مصر بالرواج .. !!

— ولن أجد الشفاء لعلّتى المستعصية
لأنى اعرف ، يا حبيبى . . . ! ! أن قلبى لا يفوز منك بالعلاج

— ولماذا تكسر قلبى ، بصلابة قلبك الحجرى ، أيها الحبيب !
وقلبى ضعيف ، أصبح فى لطافته ورقته كالزجاج ..؟!

— وشفتك هى « الخضر » ، وفمك هو « ماء الحياة »
وقامتك مديدة كالسرو ، ووسطك رفيع كالشعرة ، وصدرك أبيض كالعاج

— وقد استقرّ فى قلب « حافظ » حبُّ مليك مثلك
فيا ليته ... كان عبداً حقيراً لتراب بابك ..!!



﴿ حرف الحاء ﴾

غزل ٩٨

اگر بمذهب تو خون عاشقست مباح
صلاح ما همه آنست کان تراست صلاح

— إذا كان دم العاشق فى مذهبك مباحا
فصلاحنا جميعه ما كان لك صلاحا

— وسواد شعرك الفاحم « جاعل الظلمات »
وبياض وجهك المقمر « فالق الأصباح »

— ومن طيات شعرك المجعد ، لم يستطع أحد النجاة والخلاص
ومن قوس حاجبك وسهم عينك لم يستطع الإفلات والنجاح

— وقد تدفق من عينى ينبوعٌ فاض إلى جوارى
لا يستطيع أن يسبح فى عبابه ملاح

— وفى شفتك الشبيهة بماء الحياة قوة للأرواح
وفيها لأجسادنا الترابية لذّة كلذّة الخمر والراح

— ولقد أعطتنى شفتك الحمراء قُبْلة واحدة بمئات من ألوان العناء
وشق قلبى رغبتَه منها ، بمئات الآلاف من ضروب الإلحاح

— والدعاء لروحك هو « وِرد » على ألسنة العاشقين
وهو متتابع متواصل ، يتصل به المساء والصباح

— فلا تطمع يا « حافظ » فى أن تجد فينا صلاحَ التوبة والتقوى
فلم يجد أحدٌ فى العربيد والعاشق والمجنون . . . توبةَ الصلاح ..!!



﴿ حرف الخاء ﴾

غزل ٩٩

دل من در هوای روی فرخ

بود آشفته همچون موی فرخ

— إن قلبي في شغفه بطلعة فَرّخ[1] ، أضحى موزعا مبعثرا كشعر فَرّخ

— ولم يتمتع أحد غير شعره الفاحم ، بالوجه السعيد لفَـرّخ

— و « السواد » السعيد الطالع هو ما كان دواما ، قرينا وجليسا لفرّخ

— وشجرة السرو الفرعاء ترتعد كالصفصافة خجلا ، حينما ترى القد المديد لفرّخ

— فناولني أيها الساقي شرابك الأرغواني ، على ذكر النرجسة[2] الساحرة لفرّخ

— فقد انثنت قامتي كالقوس ، من الغم المتصل الذي يشبه حواجب[3] فرّخ

— ولقد خجل نسيم المسك التتاري ، حينما فاح عبير الشعر المعنبر لفرّخ

— وإذا كان هوى كل فرد إلى ناحيةٍ ، فهوى قلبي إلى ناحية فرّخ

— وأنا عبدٌ لهمة من يكون ، كـ « حافظ » عبداً وصاحبا لفرّخ

---

(١) فرّخ يعني سعيد أو جميل وربما كان اسم علم

(٢) أي العين

(٣) كان اتصال الحواجب من علامات الجمال



﴿حرف الدال﴾

غزل ١٠٠

بلبلی خون دلی خورد وگلی حاصل کرد
باد غیرت بصدش خار پریشان دل کرد

— استنزف البلبل دماء قلبه (أى قاسى وتحمل) لحصل على وردة
ولكن رياح الغيرة أزعجت قلبه بما فيها من أشواك

— وطاب قلب الببغاء على أمل الحصول على قطعة من السكر[1]
ولكن سيل الفناء أبطل أملها فجأة وعلى غرة

— و « قرة عينى »[2] و « ثمرة قلبى » أدام الله لى ذكره
ذهب عنى بسهولة ولكنه جعل أمرى عسيراً مشكلا

— فيا حادى العيس . . . ! لقد سقطت أحمالى ، فبربك . ! أدركنى بمددك
فالأمل فى كرمك هو الذى حدانى إلى مزاملة هذه القافلة

— ولا تحقر وجهى المغبر ودموع عينى الباكية
فقد جعل الفلكُ الأزرق « منزلَ الطرب » فى هذا الخليط من القش والطين

— وأنى أتأوه وأستغيث من جور الحسود وظلم الفلك
فقد استقر قمرى المقوس الحاجب فى ظلمة القبر

— و « الشاه » لم يضرب « الرخ »[3] . . . وفات زمان الإمكان يا « حافظ »
وماذا أعمل . . . ! وقد استغفلتنى ألاعيب الأيام .. ؟!

---

(١) يضرب المثل دائما بحب الببغاء للسكر فهى مولعة بأكله

(٢) وربما يشير بهذه العبارة إلى ابنه أو إلى زوجته ، وقالوا أنه يرثى بهذا الغزل واحداً منهما

(٣) قطعتان من قطع الشطرنج ، « الشاه » هى ما نعبر عنها فى العربية بالملك ، وال « رخ » هو ما نعبر عنه بالطابية (القلعة)

غزل ١٠١

دیدی ایدل که غم یار دگر بار چه کرد

چون بشد دلبر وبا یار وفادار چه کرد

— هل رأيت أيها القلب ، ما فعله ثانية الأسى على الحبيب ... ؟!
وهل رأيت كيف ذهب .. ، وما فعله مع الصديق الوفى المخلص !!

— فأوّاه من هذه « النرجسة » الساحرة ، وقد أثارت كثيراً من الألاعيب ..!!
وأواه من هذه العين المخمورة ، وقد فتنت المفيق من الرجال ..!!

— ولقسوة الحبيب ، اتخذتْ دموعى لون الشفق
فانظر إلى طالعى القاسى وماذا فعل فى هذا الأمر ..!!

— وفى وقت السحر ، أومض البرق من منزل « ليلى »
فأواه . . . ماذا فعلت الأفكار فى بيدر « المجنون » ..؟!

— فيا أيها الساقى ! أعطنى كأس الخمر . . . فلا يعلم أحد عن « كاتب الغيب »
ماذا كتب لنا فى حجب الأسرار ..؟!

— ومنذ نقش بيده نقوش هذه الدائرة الزرقاء
لا يعلم أحد ماذا نقش لنا فى دورة الفرجار ...!!

— وأشعلت أفكار العشق ، نار الأسى فى قلب « حافظ » فاحترق
فانظر إلى الحبيب القديم . . . ماذا فعل مع محبّه العاشق ..؟!

غزل ١٠٢

سالها دل طلب جام جم از ما میکرد

وآنچه خود داشت ز بیگانه تمنا میکرد

— منذ سنوات وقلبى يطلب منى كأس جمشيد
ويتمنى ما فيه من كل غريب وبعيد

— والجوهرة التى خرجت من أصداف « الكون والمكان »
كثيرا ما طلبها من الضالين على شاطئْ اليم ... !!

— وليلة أمس حملتُ « مشكلتى » إلى « شيخ المجوس »[1]
فهو قادر على أن يحل « المعمى » بتأييد من نظره

— فرأيته هاشا باسما ، فى يده قدح من الخمر
وكان يتفرج فى مرآتها على مئات الأشكال

— وقلبه كالبرعمة المقفلة يخفى أسرار الحقيقة
ولكنه حشّى أوراقَ خاطره من نسخة قلبه

— فقلت له : « متى أعطاك الحكيم هذه الكأس التى ترى فيها العالم . . ؟ »
فقـال : « فى اليوم الذى صنع فيه هذه القبة الزرقاء »

— والله مع الموله الواجد فى كل الأحوال
ولكنه لم يره ، فظل يناديه من بعيد بقوله : « يا الله »

— وهذه الشعوذة التى أحكمها « السامرى »[2]
عملها أمام عصا موسى ويده البيضاء[3]

— فأجاب : « إن هذا الصديق[4] الذى ارتفعت به قمة المشنقة
كان جرمه أنه أذاع الأسرار »

— وإذا أعانتنى روح القدس بالمدد مرة ثانية
فإن الآخرين أيضاً يفعلون ما فعله المسيح[5]

— قلت له : « وما فائدة هذه السلاسل من جدائل الحسان . . . ؟ ! »
فأجاب : « لأن حافظاً يشكو من قلبه الثائر الولهان . . . ؟ ! »

---

(١) « پيرمغان » أو شيخ المجوس ، يقصد به المرشد فى تفسير الصوفية
(٢) الساحر الذى وقف لموسى
(٣) انظر القرآن الكريم سورة ٧ آية ١٠٤ و ١٠٥
(٤) يشير إلى الحسين بن منصور الحلاج الذى أعدم لقوله : « أنا الحق »
(٥) أى يحيون الموتى

غزل ١٠٣

بسر جام جم آنگه نظر توانی کرد
که خاك میکده کحل بصر توانی کرد

— يمكنك التطلع والنظر إلى حافة جام « جمشيد » ... !!
عند ما يمكنك أن تجعل تراب الحانة ، كحلا لبصرك الحديد

— فلا تبق لحظة بغير الخمر والمطرب . . . ، فتحت أطباق الفلك
يمكنك بأهازيج الألحان أن ترفع الأحزان عن قلبك

— أما وردة مرادك فتكشف نقابها
عند ما يمكنك أن تقوم على خدمتها كنسيم السحر

— وأما السؤال على باب الحانة فإكسير بديع
إذا فعلته ، أمكنك أن تحيل التراب ذهبا

— فتقدمْ خطوة فى مرحلة العشق ،
فإنك تجنى الثمار إذا تمكنت من القيام بهذا السفر

— وأنت ، يا من لا تستطيع أن تخرج عن سراى الطبيعة (أى الجسد)
كيف يمكنك العبور إلى محلة الحقيقة ؟ !

— وجمال الحبيب لا نقاب عليه أو حجاب ،
ولكن ضع فى عينيك غبار طريقه ، حتى يمكنك النظر إليه

— وتعال . . . ! فالوسيلة لذوق الحضور وتنظيم الأمور
يمكنك إعدادها بفيضٍ من عطاء « أهل النظر »

— وما دمت تطلب المعشوق وكأس الشراب
فلا تطمع فى أن تعمل عملا آخر

— ويا قلب ! إذا قبست قبسا من « نور الهداية »
فطوح برأسك كالشمع الباسم

— وأنت يا « حافظ » ! ! ، إذا استمعت إلى هذه النصيحة الملكية
أمكنك أن تجتاز الطريق الملكى (الرئيسى) لتصل إلى الحقيقة

غزل ١٠٤

دست در حلقهٔ آن زلف دوتا نتوان کرد

تکیه بر عهد تو وباد صبا نتوان کرد

— كما لا يمكن وضع اليد فى حلقة طرتك الملتفة
كذلك لا يمكن الاعتماد على عهدك ولا على ريح الصبا ... !!

— وما يكون سعيا وراء طلبك ، فإنى قائم به
وحسبى هذا فلا يمكن تغيير القضاء ... !!

— وقد وقعتْ أذيالُ الحبيب فى قبضة يدى بعد ما استنزفتُ دماء قلبى
فلن أدعها تُفلت من يدى برغم الرُقى التى ينفثها خصمى ... !!

— ووجنة الحبيب لا يمكن تشبيهها بقمر السماء
لأنه لا يمكن تشبيه الحبيب بما لا رأس له ولا قدم

— وحينما تدخل شجرة السرو الرفيعة إلى حلقة السماع
أى حاجة إلى تغطية الروح ، وكيف لا تمزق النقاب والرداء ... ؟!

— و « صاحب النظر الصافى » يستطيع دائما أن يرى وجه الحبيب
لأنه لا يمكن النظر فى المرآة إلا بصفائها ... !!

— ومصاعب العشق لا يدركها علمُنا
وحل نكاته بالعقل ، خطأ لا يجوز ارتكابه

— ولقد أحسستُ بالغيرة ، لأنك أضحيتَ « حبيبا للعالمين »
ولكنك لا يمكنك أن تعربد مع خلق الله ليلا ونهارا . . . ؟ !

— وما عساى أقول فى وصفك ، ولك رقة الطبع اللطيف
بحيث لا يمكننى الدعاء لك ولو همسا وفى خفوت . . . ! !

— ولا محراب لقلب « حافظ » إلا فى ثنية حاجبك
ولا طاعة تجوز فى مذهبنا إلا بطاعتك ... !!

غزل ١٠٥

يا كه ترك فلك خوان روزه غارت كرد
هلال عيد بدور قدح اشارت كرد

— تعال ! فقد أغار « تركى[١] الفلك » على مائدة الصيام
وأشار هلالُ العيد بدوران القدح والجام

— وقد نال ثواب الصيام والحج ،
مَنْ قام بالزيارة لأعتاب « حانة العشق »

— ومقامنا الأصيل ، أركان « الخرابات »[٢]
فيا رب . . ! هب الخير لمن يعمّرها

— وماذا يكون ثمن الخمر الياقوتية ؟ إلا جواهر العقل ... ؟!
فتعال ...!! فقد فاز بالكسب من اتخذ هذه التجارة

— والصلاة فى محراب حواجب العيون
يقوم بها من تطهر بدم القلب المفتون ... !!

— ويا أسفا ... !! و « شيخ المدينة » فى هذا اليوم
قد نظرت عينه القاسية إلى « شاربى الثمالة » فى كثير من التحقير

— فانظر إلى « وجه الحبيب » واشكر ما ترى
فقد نظر إليه الخبير المجرب لما به من بصيرة

— واسمع حديث العشق من « حافظ » ولا تسمعه من « الواعظ »
ولو تصنع كثيراً فى عباراته وأقواله . . . !!

---

(١) يقصد بتركى الفلك المريخ أو الهلال الجديد

(٢) يقصد بالخرابات لغويا الأماكن الخربة أو أمكنة الشراب والقمار واللهو ، ومن هنا نشأ معناها الصوفى ، بمعنى ما يجتازه السالك من أهوال ومتاعب

غزل ١٠٦

باب روشن مى عارف طهارت كرد
على الصـــباح كه ميخانه را زيارت كرد

— تطهّر « العارف » بمياه الخمر الرقراقة الصافية ، فى صباح اليوم الذى زار فيه الحانة
— وعند ما اختفت كأس الشمس الذهبية ، أشار هلال العيد بدوران القدح
— فما أحسن صلاة من تطهّر ، فى آلامه ، بدموع العين ودماء الفؤاد ... !!
— وذاك « الإمام » الذى كان مشغوفا بالصلاة الطويلة ، قد غسل الخرقة بدم « ابنة الـكرم » الجميلة
— واشترىٰ قلبى ، الفتنةَ من حلقات طرّته ، ولست أدرى أىّ فائدة يرتقبها حتى يقوم بهذه التجارة
— فإذا سألك اليوم « إمام الجماعة » ، فاخبره : « إن « حافظا » قد اغتسل وتطهر بالخمر !! »

غزل ١٠٧

دل از من برد و روى از من نهان كرد
خـــدارا با كه اين بازى توان كرد

— لقد سلب قلبى ، وأخفى وجهه عنى ، فيا إلهى ..! مع من يمكن عمل مثل هذا اللعب والتجنى ..؟!
— وكنا وحيدين فى الليل وكان يقصد قتلى ، ولـكن خياله صنع معى كثيرا من اللطائف
— فتعال ! فلن أصبح كشقائق النعمان دامى القلب ، إذا جعلتنى نرجستُـه الفتانة مثقل الرأس ..!!
— ولمن عساى أقول « إن طبيبى — رغم آلامى المحرقة — كان يقصد روحى الضعيفة العاجزة ! »
— ولقد احترقتُ كما يحترق الشمع ، فبكى علىّ الأبريق ، وتوّح البربط[1] من أجلى
— فيا ريح الصبا . . ! إذا كان العلاج لديك . . . فالوقت وقته ، فقد كاد يقتلنى ألم اشتياق
— وكيف يمكن أن يقال بين الأحبة ، « أن حبيبى قد قال هذا أو صنع ذاك »[2] ... ؟!
— ولم يكن العدو ليفعل بروح « حافظ » مثل هذه الفعلة ، التى فعلها سهم عين الحبيب المقوّس الحاجب ..!

---

(١) آلة موسيقية
(٢) أى كيف يمكن لوم الحبيب أو الشكوى منه لما يقوم به من أقوال أو أفعال ...؟

غزل ١٠٨

چو باد عزم سر کوی یار خواهم کرد
نفس بیاد خوشش مشکبار خواهم کرد

— سأذهب فى سرعة كالريح إلى منزل الحبيب
وأجعل أنفاسى بذكره الطيب تفوح بالمسك والطيب

— وبغير الخمر والمعشوق ينقضى عبثاً عمرى العزيز
ولذلك سأجعل بطالتى تنقلب إلى عمل بعد اليوم

— وما جمعته من ماء الوجه بسبب العلم والدين
سأنثره على التراب الذى يطأه هذا الحبيب

— وكشمعة الصباح قد بدا لى أننى فى حبه
سأقضى العمر فى هذا الأمر وفى هذا الرجاء

— وعلى ذكر عينيك ، سأحطم نفسى
وسأجعل بناء العهد القديم محكما متينا

— فأين النسيم . . ؟ فإن روحى الدامية فى حمرة الورد
سأجعلها فداءً لنفحة واحدة من ذؤابة الحبيب

— و يا« حافظ » ! ! إن النفاق والرياء لا يهبان صفاء القلب
ولذلك سأختارُ طريق العربدة والعشق والحب . . . ! !

غزل ١٠٩

دوستان دختر رز توبه ز مستوری کرد
شد بر محتسب وکار بدستوری کرد

— أيها الرفاق ! لقد أظهرت ابنةُ الكرم التوبة من خجلها
فذهبت إلى المحتسب ، فأذن لها وقامت بعملها

— وخرجتْ من حجابها إلى المجلس ، فاجعلوها طاهرة الطوية والسريرة
لكيلا يقول الأخصام : « لم كان البعاد ، ولماذا اتخذته . ؟ ! »

— ويا قلب ! أعطني البشرى ، فإن « مطرب العشق » ،
قد ضرب مرة أخرى في طريق السكارى ، فعالج الخمار والانتشاء .. !!

— وعاء البحار السبع ، وعثات النيران ، لن يذهب اللون
الذى فعلته خمرُ المنقود فى خرقة الزاهد ... !!

— وبرعمة الوصال تفتحت لى من نسماته
فغنى طائر الطرب من أجل أوراق الورد الحمراء

— فيا « حافظ » لا تترك التواضع ، فإن الرجل الجسور
قد أضاع العرض ، والمال ، والقلب ، والدين ، من أجل الغرور ... !!

غزل ١١٠

سحر بلبـل حكايت با صبا كرد
كه عشق روى گل با ما چها كرد

— فى وقت السحر ، حكى البلبل حكايته لريح الصبا فقال «ما أكثر ما فعل بى عشق لطلعة الورد»

— فمن وجناته تدفق الدم إلى قلبي ، ومن مزرعته ابتليت بالأشواك

— وأننى غلام[1] لهمة ذلك الحبيب المدلل اللطيف ، الذى عمل الخير لغير ما وجه وبغير رياء

— فلتطبْ له نسمات الصباح ، فقد داوى آلام الساهرين طوال الليل

— ولن أبكى ثانية من أفعال الغرباء ، وقد صنع بى ذلك الحبيب ما صنع ... !!

— وقد طمعتُ فى « السلطان » فكان (طمعى) خطأ ، وبحثت عن الوفاء لدى الحبيب فجفا .. !!

— وأزاح النسيمُ نقاب الورد وداعب ذؤابة السنبل[2] ، وفتح العُـقَد من أربطة البرعمة المقفلة

— وصرخ البلبل العاشق فى كل ناحية من النواحى ، وتنعمت نسائم الصبا وتهللت

— فاحمل البشرى إلى محلة « بائعى الخمر » ، بأن « حافظا » قد تاب عن زهد الرياء ... !!

— ووفاء أسياد المدينة ، إنما صنعه معى كمال الدولة والدين « أبو الوفاء »

---

(١) خادم مطيع

(٢) السنبل شجيرة عشبية عطرية الرائحة يشبهونها بخصلات شعر الحبيب ويقولون لها بالعربية « سنبل الطيب »

غزل ١١١

صوفى نهاد دام وسر حقه باز كرد
بنياد مكر با فلك حقه باز كرد

— نصب « الصوفى » شباكه وفتح طوايا جعبته الماكرة
ووضع بذلك أساس المكر والخديعة مع الأفلاك المشعوذة الساحرة

— ولكن ألعوبة الفلك كسرت له بيضة فى قلنسوته
لأنه اجترأ على عرض شعوذته على « أهل الأسرار » . . . !!

— فتعال أيها الساقى ! فحبيب المتصوفة الجميل
قد أقبل فى بهائه وأخذ يتدلل عليهم مرة أخرى

— ومن أين هذا المطرب الذى لعب نغمات « العراق »
ثم عزم على الرجوع بطريق « الحجاز »[1] . . . ؟ !

— فيا قلب . . . ، تعال . . . ، حتى نلجأ إلى الله ونحتمى به
لأنه جعل الأكمام طويلة ، والأيادى قصيرة[2]

— ولا تتصنعْ . . . فمن لم يلعب دور المحبة فى صدق
حجب العشقُ عن قلبه ، باب « المعانى »

— وغدا عند ما تتكشف الحقيقة
يخجل السالك مما فعله على سبيل المجاز

— أما أنت أيتها الحمامة التى تختال فى مشيتها . . . إلى أين تذهبين . . . ؟ !
قفى . . . ولا تخدعى إذا أصبح قط الزاهد بين المصلين[3] . . . ! !

— وأنت يا « حافظ » ! لا تلم المعربدين ، لأن الله منذ الأزل
لم يجعلنا فى حاجة إلى الزهد والرياء والدجل . . . !!

---

(١) العراق والحجاز مقامان موسيقيان (٢) أى الكلام كثير والأعمال قليلة

(٣) يشير حافظ بهذا الغزل إلى أحد الشعراء الذين كان يقربهم إليه الشاه شجاع المظفرى وهذا الشاعر هو « عماد فقيه كرمانى » كان قد درّب قطته على أن يتابعه فى الصلاة فيقوم إذا قام ويركع إذا ركع ويسجد إذا سجد ، وكان الشاه شجاع يعتقد ذلك من كراماته ، فكان يقربه إليه ويصله بالصلات الكثيرة فقال حافظ هذا الغزل مشيرا إلى هذه الوقائع . (انظر : ج ٢ من المجلد الثالث من « حبيب السير » لمؤلفه « خواندامير » ص ٣٧)

غزل ١١٢

ياد باد آنك ز ما وقت سـفر ياد نـكرد

بوداعى دل غمـديدهٔ ما شاد نكرد

— لتدم ذكرى من لم يذكرنا وقت السفر والرحيل
ومن لم يدخل السرور على قلبنا الحزين الأسيف ، بوداعه الجميل

— وذلك الشخص « الفتىّ الحظ » الذى برّز فى الخير والقبول عن رفقته
لستُ أدرى لماذا لم يحرر غلامَ الشيخ من ربقته . . . ؟!

— فدعنى أغسل ردائى الورق بدموعى الدامية
فلم ينصفنى الفلك بهدايتى إلى مرتبة العلم العالية . . . !!

— وأمّا القلب ، فعلى أمل أن تصل أصداء ندائه إلى بابك
أخذ ينتحب فى هذه الفلاة بتأوهات لم يفعلها « فرهاد »[1]

— ومنذ ابتعدتَ عن الخميلة
لم يتخذ طائرُ السحَر عشّه بين أغصان « الشمشاد »[2]

— وجديرٌ بالصبا أن تتعلم منك الخفة والسرعة
فالريح لم تستطع أن تفعل ما هو أسرع من حركتك . . . !!

— ولا يستطيع قلم الصُنع أن يحقق صورة المراد
لمن لم يعترف بهذا الحسن الموهوب له من عند الله

— فيا أيها المطرب . . . ! غيِّر مقامك الموسيقى ، واضرب فى طريق « العراق »[3]
فقد مضى الصديق فى هذه الطريق ولم يذكرنا بعد هذا الفراق

— وأغانى « حافظ » هى بعينها غزليات « العراق »[4]
فمن الذى استطاع أن يسمع ألحانها الملهبة للقلوب ... ولم يبك ... ولم ينتحب فى اشتياق .. ؟!

(١) « فرهاد » هو عاشق « شيرين » والذى ألقى بنفسه من فوق الجبل حينما سمع بخبر موتها
(٢) الشمشاد ، نوع من الشجر مثل الصفصاف يشبهون أغصانه المتهدلة بشعر الحبيب (٣) نغمة موسيقية
(٤) هو الشاعر الفارسى فخر الدين ابراهيم العراقى الهمدانى الذى اشتهر بقول الغزل الصوفى . وقد توفى فى دمشق سنة ٦٨٨ هـ

غزل ١١٣

رو بر رهش نهادم و بر من گذر نكرد

صد لطف چشم داشتم ويك نظر نكرد

— لقد توجهت إليه فى طريقه ... ، ولكنه لم يمرَّ بى فى سيره
وانتظرت منه ، مئات من « الألطاف » ... ، ولكنه لم يلتفت إلىّ بنظرة واحدة ... !!

— ولم يستطع سيل دموعى المنهمرة أن ينفذ إلى قلبه
وكأنه قطرة من المطر ، لا تستطيع أن تؤثر فى الحجر الصلد ... !!

— فيا رب . . . ! احفظ برحمتك هذا الحبيب الصغير
فإنه لم يستطع أن يحذر سهام تأوهات « الجالسين بالأركان »

— وأمس . . . لم تستطع الأسماك والطيور أن تنام لشدة توجعى ونواحى
ولكن انظر إلى هذا الجسور . . . وكيف لم يرفع رأسه من النوم . . على صياحى !!!

— ولطالما تمنيت أن أموت تحت أقدامه كالشمع
ولكنه مر كنسيم السحر . . . ولم ينظر إلىّ ...!!

— فيا حبيبى . . . ! هل يوجد بين القساة أصحاب القلوب الحجرية
مَنْ يستطيع أن يحمى روحه بالدروع أمام ضربة أسيافك ... ؟!

— ولا يستطيع قلم « حافظ » المشقوق اللسان أن يحكى
سرّك لأحد فى هذا المجلس . . . إلاّ إذا طاحت رأسه ...!!

غزل ١١٤

دلبر برفت ودلشدگان را خبر نكرد

ياد حريف شهر ورفيق سفر نكرد

— لقد مضى الحبيب ولم يخبر بذهابه من أضاعوا قلوبهم من أجله . . . ! !
ولم يذكر زميله فى الحَضَر ولا رفيقه فى السفر . . . ! !

— فهل باعد حظى طريقَ المروءة . . ؟!
أو لم يعبر الحبيب بـ « الطريق الرئيسى » للطريقة . . . ؟!

— ولقد حدثتني نفسي بأني ربما استطعت أن أجعل قلبه يرقّ لي بالبكاء،
فلما اشتد بكائي . . . لم يؤثر ذلك في قلبه الحجري ... ، وأعرض في جفاء

— فلا تتدللْ وتتعنّتْ . . . فـ « طائر قلبي » الذي لا قرار له
لا يستطيع أن يطرد عن باله الحب الذي يحسه لشباك العشق

— والآن . . . يقبّل عيني الباكية كلُّ من رأى وجهك
ويقدّر العمل الذي عملته عيني من أجلك

— ولقد وقفتُ أحترق كالشمع حتى أجعل روحي فداءً له
ولكنه ، كنسيم السحر . . . لم يعبر بنا في اجتيازه ... !!

غزل ١١٥

مرا بر ندى عشق آن فضول عيب كند
كه اعتراض بر اسرار عـــلم غيب كند

— يعيب عليّ « الفضوليُّ » عربدةَ العشق وخلاعة القلب
ويعترض بذلك على سر من أسرار علم الغيب ... !!

— فانظر . . . ، فليس كمال سر المحبة هو النقص في الذنوب
ولكن حينما استقر « من لا فضل له » فلا ينظر إلاّ إلى العيوب ... !!

— وهاك عبير ذكي يفوح من عطر الحور في الفراديس
لأنها تعطر جيبَ ردائها بتراب حانتنا[1] النفيس

— وغمزات الساقي تنهال على طريق الإسلام ،
فلا يستطيع « صهيب »[2] أن يتجنّب الصهباء، وكأس المدام ... !!

— وقبول « أهل القلوب » هو « مفتاح السعادة »
فلا تجعلْ الحبيبَ يا رب . . . في شك وريبة من هذه النكتة اللطيفة المعادة

---

(١) تخرج أنفاس الحور العبير الذكي الرائحة لأنها اتخذت من تراب حانتنا عطرا لأرديتها
(٢) صهيب أحد الصحابة

— وراعى الوادى الأيمن[١] يصل إلى مراده ،
بعد ما يقوم على خدمة « شعيب »[٢] ، جملة سنوات . . . بفؤاده

— وأقصُوصة « حافظ » تجعل الدم يقطر من العيون
حينما يتذكر زمان الشباب ووقت المشيب ... !!

غزل ١١٦

آن كيست كز روى كرم با ما وفادارى كند
برجاى بدكارى چو من يكدم نكوكارى كند

— من عساه — على سبيل الكرم — يفى بعهدى بعض الوفاء
ويتشبه بى لحظة واحدة فيصنع الخير بدل السوء والجفاء . . ؟!

— فيجعل أول عمله أن يحضر إلى قلبى رسالة الحبيب على نغمات الناى والعود
ثم يعقد معى عهد الوفاء بكأس من دم العنقود . . !!

— وحبيب قلبى . . الذى ذوت روحى من أجله ، ولم تتحقق بوصاله رغبات قلبى
لا يجوز اليأس منه فربما يعود إلى عطفه ومودته ... !!

— ولقد قلت له : « إننى طوال حياتى لم أفتح عقدة واحدة من طرتك . . !! »
فقال : « وأكثر من ذلك . . أنى أمرتها بأن تكون على أهبة لسلب لبك »

— ولابس الصوف ، غليظ الطبع ، لا يستطيع أن يقدر نفحات العشق ،
فتحدث إليه يوما عما يحدثه العشق من نشوة . . فربما يزهدَ فى إفاقته ... !!

— ومن الصعب على سائل مسكين مثلى أن يحصل على صديق مثله
وكيف يجوز للسلطان أن يجالس فى الخفاء معربدا سوقيا . . . !!

— ومن اليسير أن ألاقى العنت من طرتك المليئة باللفائف والتجاعيد
وأى ألم يكون فى قيودها وسلاسلها ، للطريد الشريد . . . ! !

— فابتعد عنه ولا تدن منه يا « حافظ » ! فعينه مليئة بالسحر والبدع
وطرته السوداء قادرة على أن تعمل كثيراً من الأحابيل والخدع . . . ! !

---

(١) أى موسى ، انظر سورة طه آية ٨ (وهل أتاك حديث موسى ، إذ رأى ناراً فقال لأهله امكثوا إنى آنست نارا لعلى آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى ، فلما أتاها نودى يا موسى إنى أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالوادى المقدس طوى) (٢) والد امرأة موسى وقد استأذنه موسى فى أن يخرج من مدين إلى مصر

غزل ١١٧

دلا بسوز که ســــوز تو کارها بکند

نیاز نیم شبی دفع صـد بلا بکند

— احترقْ يا قلب . . . ! فاحتراقك يفتح كثيراً من الأمور والأعمال
وابتهلْ ، فابتهالك فى منتصف الليل يدفع عنك مئات من الرزايا والأهوال

— وتحمّلْ كالعاشق عتاب الحبيب الجميل
فغمزة واحدة من نظراته يُتلافى بها مئات من البلايا

— وقد رفع الحجُبَ من الملك إلى الملكوت
كلُّ من أدى الخدمة للكأس المبدية لأحوال العالم

— وطبيب العشق ، أنفاسه كأنفاس عيسى . . . وهو مشفق حقاً
ولكنه ، لا يستطيع أن يلمس علّتك . . . فمن يصف العلاج والدواء . . . ؟!

— فسلّم أمرك لله . . . واهنأ قلبا
فإن لم يرحمك « المدعى » فقد يرحمك الله . . ! !

— وأنا ملول من حظى النائم . . . فيا ليت أحد اليقظين
يدعو لى دعاء مستجابا عند ما يتفتح الصباح ... !!

— وقد احترق « حافظ » ولم يشم شمة واحدة من طرة الحبيب
فيا ليت ريح الصبا تحمل إليه نفحة واحدة من هذا الحظ والنصيب . . . ! !

غزل ١١٨

طایر دولت اگر باز گذاری بکند

یار باز آید وبا وصل قراری بکند

— لو أن « طائر السعد » يمر بى ثانية
فإن الحبيب يعود إلىّ ، ويرضى بالوصال ... !!

— وإذا لم يبق لعينى قدرة على نظم الدرر والجواهر
استنزفتُ الدماء من قلبى ونثرتُها أمامك ... !!

— وليلة الأمس قلت لنفسى : « يا ليته يجعل شفته الحمراء دوائى »
فنادى « هاتف الغيب » بأنه سيجعل فيها شفائى ...!!

— ولا يستطيع أحدٌ منا أن يتحدث إليه عما نحن فيه من غصص
فيا ليت ريح الصبا تجعله ينصت إلى شكاتنا ، ويستمع إلى ما نحن فيه ... !!

— ولقد جعلتُ « صقر ناظرى » يطير وراء حمامته الوادعة
وربما استطاع أن يسترجعها ويسعد بصيدها . . . !

— وخلت المدينةُ من العشاق وأصحاب الصدور
ولكن ربما يخرج من إحدى نواحيها رجل من أهلها يعمل كثيراً من الأمور

— وأين الكريم ، الذى يستطيع المحزون فى مجلس طربه
أن يشرب جرعة واحدة فيدفع عن نفسه الخمار والانتشاء .. ؟!

— فإما الوفاء ، وإما نبأ الوصل واللقاء ، وإما موت الرقباء
فيا ليت الفلك يعمل أمراً من هذين الأمرين أو الثلاثة . . . ! !

— ويا « حافظ » . . ! إذا أنت لم تذهب عن بابه فى يوم من الأيام
فإنه سيمرّ بك من طرف الطريق ويصدف عنك فى غير اهتمام . . !!

غزل ١١٩

كلك مشكين تو روزى كه ز ما ياد كند
ببرد اجر دو صـــــد بنده كه آزاد كند

— فى اليوم الذى يذكرنا فيه قلمك المسكى الأسود
ينال الأجر والمثوبة على مائتين من العبيد الذين خلصهم وحررهم

— فلتكن السلامة نصيبا لكل قاصد إلى منزل سلمى
وماذا يكون لو أنه أثلج قلوبنا بسلام منها . . . ! !

— فقم بامتحانهم . . . فما أكثر من يعطيك كنز المراد
فإذا كان خرابا مثل كنزى فلطفك يعمّره ... !!

— ويارب ...! ضَعْ « شيرين » فى قلب « خسرو »
فربما عزّ — شفقةً ورحمة ، بـ « فرهاد » .. !!

— وخير للمليك من الطاعة والزهد فى مئات من السنين
أن يعدل قدر ساعة واحدة من عمره ... !!

— وإذا اقتلعتنى نظرتك الآن من أساسى
فلأنتظر ما تضمه نظرتك الحكيمة ، من أساس ... !!

— وجوهرك المنق ، غنىٌّ عن مدحنا
وماذا تفعل الماشطة ، فى الحسن الموهوب من الله ... ؟!

— ولم نصل فى « شيراز » إلى المقصود والمراد
فيا حبّذا اليوم الذى يرحل فيه « حافظ » إلى بغداد[١] ... !!

غزل ١٢٠

سرو چمان من چرا ميل چمن نميكند
همدم گل نميشود ياد سمن نميكند

— لِمَ لا تميل شجرة سروى المزهوة إلى الخمائل والبساتين
ولم لا ترافق الورد وتذكر الياسمين . . . ! !

— ولقد شكوتُ للحبيب أمس ما تفعله طرّته السوداء ، فقال معتذرا :
« إن هذه السوداء المعوجة لا تستمع إلى ما أقول ... !! »

— ومنذ تحوّل قلبى المجنون إلى طيات ذؤابته
وهو لا يعزم على العودة من سفره الطويل إلى وطنه

— وما زلتُ أتضرع وأبتهل أمام محراب حاجبه . . . ولكنه
عنّفنى ، ولم يستمع إلى ضراعتى ... !!

— وبرغم ما يُبديه ذيل أزارك من عطف ، لا زلت أتعجبُ من نسيم الصبا
كيف لا يجعل التراب — بمرورك — معطرا بالمسك التترى . . . ! !

(١) قيلت هذه الغزلية فى مدح السلطان أويس الجلايرى

— وعند ما يملأ النسيم طرّة البنفسج باللفائف
ما أكثر ما يذكره قلبي لناقض العهد . . . !

— وقلبي — أملا فى رؤية وجهه — لا يرافق روحى
وروحى — حبا فى محلته — لا تخدم جسدى ... !!

— وإذا أعطانى الساقى ، الفضى الساق ، الثمالة والكدر
فمن الذى لا يجعل كيانه برمته كالكأس المتفتحة الأشداق . . . ؟!

— ولقد أضحى « حافظ » الذى لم يستمع إلى النصيحة قتيلا لغمزة واحدة من عينك
والسيف جزاء عادل لكل من لا يتحمل آلام الكلام والنصائح . . !

— فيا صاحب اليد الرقيقة ! حذار من الجفاء مع ماء وجهى . . . فإن فيضه
لا يستطيع بغير « مدد » من أدمعى ، أن يصنع الدرر العدنية ... !!

غزل ١٢١

گر مى فروش حاجت رندان روا كند
ايزد گنه ببخشد ورفع بلا كند

— إذا نفّذ بائع الخمر حاجة العربدين الخلعاء
غفر الله خطيئته ورفع عنه البلاء ... !!

— فوزّعْ ... أيها الساقى . . ! خمرك بكأس العدل والإنصاف
حتى لا يشعر السائل بالغيرة فيملأ العالم بالبلاء

— ويارب . . ! هل تصل إلىّ بشرى الأمان من هذه الهموم والأحزان
إذا وفى السالك بعهد الأمانة ... ؟!

— وإذا أقبلتْ عليك الراحةُ .. أيها الحكيم . . ! أو أصابك العناء
فلا تنسبهما إلى غير الله فإنهما جميعاً من فعله . . !!

— وفى « مصنع » الخليقة حيث ينعدم سبيل العقل والفضل
لماذا يقول «الفضولى» برأيه الضعيف . . . ؟!

— فهي، ألحانك ، أيها المطرب ، وغَـنِّ لى : إن أحدا لا يموت بغير أجله
ومن يغنّى غير هذا اللحن يرتكب الأخطاء !!

— ونحن الذين نحتمل عناء العشق ، وبلاء الخُمار والانتشاء
دواؤنا وصْل الحبيب ، أو الخمر ذات الصفاء

— وقد احترق «حافظ» بنار العشق ، وانقضت حياته وهو يبحث عن كأسه
فأين ذلك الشخص الذى له أنفاس عيسى ، حتى يحيينا بأنفاسه ...!!

غزل ١٢٢

واعظان كاين جلوه در محراب ومنبر ميكنند
چون بخلوت ميروند آن كار ديكر ميكنند

— هؤلاء الواعظون الذين يُبدون مثل هذا القدر من التجلى فوق المنبر وأمام المحراب
حينما يذهبون إلى الخلوة ، يفعلون أمراً آخر يستوجب الجزاء والعقاب . . . !!

— وعندى مشكلة عويصة ، فهل تسأل لى « عالم المجلس » ثانية :
« لماذا يكون الآمرون بالتوبة أقلّ الناس توبة » ...؟!

— وكأنهم لا يعتقدون فى يوم الحساب والفصل
فيرتكبون كل هذا الدجل والدغل فى أمور الله !!

— فيا رب ! أجلِسْ هؤلاء المحدثين المجدودين على حميرهم
فهم يتدللون كل هذا الدلال ، لما لهم من خدم أتراك وبغال كبار ...!!

— ويا أيها السائل على باب الصومعة ! قمْ وتحركْ ، ففى دير المجوس
يعطونك جرعة واحدة من شراب يغنى القلوب ويحيى النفوس !!

— وحسنه وإن أودىٰ بالكثير من العشاق
فإنّ زمرة أخرى من عالم الغيب ، ترفع رؤوسها إلى محبته ...!!

— فيا أيها الملاك ! سبّح على باب حانة العشق
فهم يخمّرون هنالك طينة آدم ...!!

— وفى وقت الصباح ، هتف هاتف من العرش ، فأجاب العقل :
كأن الملائكة الأطهار تردد أشعار « حافظ » عن ظهر قلب !!

غزل ١٢٣

دانى كه چنگ وعود چه تقرير مكنند
پنهــان خوريد باده كه تعزير ميكنند

— هل تعلم ماذا يقرر الصنج[١] والعود . . . ؟
« اشرب الخمر خفية ، فعقاب شاربها شديد »

— وهم يحقّرون العشقَ وبهجة العشاق
ويعيبون الشباب ، ويلومون الشيوخ ... !!

— وثمرة أعمارهم لم تكن إلا القلب[٢] الأسود ... ، ولكنهم إلى الآن يرجون ... باطلا ... أن يصنعوا الإكسير ... !!

— ويقولون لى : « لا تقلْ رموز العشق ولا تسمعها »
ولكن ما أصعب هذه الحكاية التى يقررونها ... ! !

— ولقد خدعونا ، بمئات من الخدع ، ونحن من خارج الباب
فلننتظرْ ... ولنَر ... ماذا يدبّرون لنا داخل الحجاب ... ! !

— وقد أخذوا من جديد يمكرون على شيخ المجوس أوقات صفوه
فهل رأيت ماذا يصنع هؤلاء « السالكون » مع شيخهم ... ؟ !

— ولربما أمكنك أن تشترى مئات من القلوب ، بنصف نظرة واحدة
ولكن الحسان يقصرون عادة فى هذه المعاملة ... ! !

— ولقد أدرك قومٌ ، بالجد والجهد ، وصالَ الحبيب
وأحاله آخرون إلى تقدير القضاء ، ومحض النصيب ! !

— فلا تعتمد على ثبات الدهر ودوامه على حاله
فهو « مصنع » يغيرون فيه كثيرا ويبدّلون ... ! !

— واشربْ الخمر ... فإن « حافظاً » و « الشيخ » و « المفتى » و « المحتسب » جميعهم — إذا أمعنت النظر — يزوّرون ويموّهون الحقائق ... !!

---

(١) الصنج آلة موسيقية ذات أوتار ، وهى تعريب لكلمة چنگ
(٢) كلمة « قلب » هنا بمعنى النقد الزائف أو بمعناها العربى المعروف

غزل ١٢٤

شاهدان گر دلبری ز ینسان کنند

زاهدان رخنـــه در ایمان کنند

— إذا أبدى الحسانُ مثل هذا القدر من المحبة والإحسان
فللزاهدين العذر إذا تصدعت منهم الإيمان . . . ! !

— وحينما يتفتح فرع النرجس الغض ويزدهر
فإن أصحاب الخدود الوردية يجعلون أعينهم أوعية له ! !

— فيا صاحب القوام المعتدل كشجرة السرو ، التقفْ كرة السبق من الميدان
قبلما يصنعون من قامتك المضرب والصولجان ... !!

— ولا حكم للعشاق على رؤوسهم
فتحكّم فيهم ... فمهما كان أمرك ، فسيفعلونه ... !!

— وأقلُّ من قطرة واحدة . . فى نظرى
هذه الحكايات التى يحكونها عن الطوفان ...!!

— وحينما يبدأ حبيبى فى الرقص والسماع
يصفق له الملائكة الأطهار من فوق العرش ... ! !

— وقد غرق « إنسان عينى » فى لجة من الدماء
وكيف يجوز مثل هذا الظلم ، على إنسان ... !!

— فيا أيها القلب الجاهل بالأسرار ! انتحب كيفما شئت ، من غصص الزمان
فجمال الحياة لا يكون إلا فى بوتقة الهجران ... ! !

— ويا « حافظ » ! لا تمتنع فى منتصف الليل عن التأوُّه والصياح
فإن صيحاتك ستجلوك كالمرآة الصافية عند الصباح ... !!

غزل ١٢٥

گفتم : كيم دهان ولبت كامران كنند
گفتا : بچشم هرچه تو گوئى چنان كنند

— قلت : متى يسعدنى ثغرك وشفتاك . . . ؟
قال : بعينىّ . . إنها تأتمر بما تقول ، وتحرص على رضاك . . . ! !

— قلت : إن شفتيك تطلبان خراج مصر . . . ؟
قال : وقد يخسران قليلا فى هذه الصفقة . . . ! !

— قلت : ومن الذى وصل إلى نقطة ثغرك[١] . . . ؟
قال : إن ثغرى حكاية يحكونها للخبير بحل الألغاز والمعميات[٢] . . . ! !

— قلت : لا تصبح عابداً للدُمى[٣] ، واستقر مع الله الصمد . . . ؟
قال : فى طريق العشق يفعلون هذا وذاك . . . ! !

— قلت : إن حب الحانة ، يطرد الهمّ عن القلوب . . . ؟
قال : سعداء حقاً من يُسعدون القلوب . . . ! !

— قلت : أليس الشراب وخرقة الدراويش من رسوم المذهب . . . ؟
قال : إنما يفعلون مثل هذا فى مذهب شيخ المجوس . . . ! !

— قلت : ما فائدة « الشيخ » من امتصاص الشفاه الحمراء . . .؟
قال : قبلاتها الحلوة تصبيه وتَرده إلى شبابه . . . ! !

— قلت : متى يذهب السيد إلى غرفة العِرس . . . ؟
قال : عندما يقترن المشترى والقمر . . . ! !

— قلت : إن الدعاء لسعدك ، وردٌ على لسان « حافظ » . . . ؟
قال : وملائكة السماوات السبع يقومون أيضاً بهذا الدعاء . . . ! !

---

(١) ثغره ضيق فهو يشبه النقطة فى ضآلته وصغره
(٢) أى أن فمه لا يكاد يظهر أو يبين فلا يصل إلى الكشف عنه لضآلته وصغره إلا خبير بحل المعميات والألغاز
(٣) يشبهون الجميلات بالدمى أو الأصنام لجمالهن

غزل ١٣٦

آنا نكه خاك را بنـــظر كيميا كننند

آيا بود كه گوشـهٔ چشمى بما كننند

— هؤلاء الذين يُحيلون الترابَ بنظراتهم إلى كيمياء
يا ليتهم ينظرون إلينا بطرف أعينهم ليحيي فينا الرجاء . . . ! !

— واحتمال آلامى الخافية ، خيرٌ لى من علاج الأطبّاء الأدعياء
ومن يدرى . . . ؟ فربما يصنعون لى فى « خزانة الغيب » دواء الشفاء . . . ! !

— وما دام المعشوق لا يزيح نقابه عن وجهه
فلماذا يتحدث عنه كل شخص بحكاية عن طريق التصور المحض . . . ؟ !

— وإذا كان حسنُ العاقبة غيرَ موقوف على العربدة أو الزهد
فمن الخير أن يتركوا أمرك لتقدير « العناية » . . . ! !

— فلا تكن جاهلا . . . ، ففى زيادة العشق
تزيد معاملات « أهل النظر » مع الحبيب . . . ! !

— وإذا كثرت الفتن ونحن ما زلنا من وراء الحجاب
فماذا يفعلون بنا حينما يرتفع الحجاب . . . ! !

— وإذا بكى الحجرُ الصلد من هذا الحديث . . . فلا تعجب !
فإن أصحابَ القلوب ، يحسنون أداء حكايات القلوب ! !

— واشربْ الخمر . . . فإن مئات الذنوب المستورة فى خفاء
خيرٌ من الطاعة التى يظهرونها بالنفاق والرياء ! !

— والقميص الذى تأتينى منه رائحة يوسف[1]
إنى أخشى . . . أن يمزقه إخوته الغيورون ! !

---

(١) سورة يوسف ، آية ١٦ (وجاءوا أباهم عشاء يبكون ، قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين ، وجاءوا على قميصه بدم كذب قال بل سولت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل ...)

— فامض إلى طريق الحانة . . . فهناك زمرة من أحبابك
ما زالت تصرف أوقاتها فى الدعاء الخالص لك ! !

— وأنا أشرب دماء قلبي خفية ، وأتألم من فعل الحاسدين ،
والمتعمّمون مثلي يفعلون كثيراً من الخير المستور . . مرضاة لله . . . ! !

— ودوام الوصل يا « حافظ » ليس من الأمور السهلة اليسيرة . .
فما أقل التفات الملوك إلى حال السائل المسكين . . . ! !

غزل ١٢٧

نقـــدها را بود آيا كه عيارى گيرند
تا همه صومعه داران پى كارى گيرند

— ياليتهم يزنون النقود ، ويقدّرون عيارها
حتى يأخذها المتسكفون بالصوامع جزاء لأعمالهم . . . ! !

— وأصلحُ الأمور فى نظرى . . . أن يترك الأحبابُ جميع أمورهم
وأن يتمسكوا بخصلة واحدة ملتفة من طرة الحبيب . . . ! !

— وقد تعلق الرفاق فى رفق بذؤابة الساق
فإذا ساعدهم الفلكُ ، تركهم يهدأون ويستريحون

— فلا تفخر على الحسان بقوة العفاف والزهادة
فإنهم يأخذون القلعة الحصينة بفارس واحد من بينهم . . . ! !

— ويارب ! ما أجسر هؤلاء الأتراك الصغار . . . ! !
وهم فى كل لحظة يوقعون صيداً عظيما بسهام أهدابهم . . . ؟ !

— والرقص جميلٌ على نغمات أشعارك وأنين الناى
ولـكن ما أجمل ذلك النوع الذى يأخذون فيه بعمائم الحسان . . . ! !

— ويا « حافظ » ! إن أبناء الزمان لا يفكرون فى آلام المساكين
فخير لهم إذا استطاعوا ، أن يبعدوا أنفسهم ويلتزموا الأركان . . . ! !

غزل ١٢٨

هر كه شد محرم دل در حرم يار بماند
وانكه اين كار ندانست در انكار بماند

— كل من أضحى محرما لأسرار القلب ، بقى فى حرم الحبيب
وأما من جهل المعرفة بهذا الأمر ، فقد أنكره الحبيب ! !

— فإذا خرج قلبي عن حجابه ، فلا تعبنى
واشكر الله ، فإنه لم يبق فى حُجب الظن والتخمين

— وقد استرد الصوفيون جميعَ أمتعتهم المرتهنة للخمر
وأما « دلق »[1] الذى كان فى حانة الخمار . . . فقد بقى هنالك . . . ! !

— وقد تقدمت السنُّ بـ « المحتسب » ، فنسى ما فعل من فسوق
وأما قصتنا نحن ، فقد باتت متناقلة بين أنحاء السوق . . . ! !

— والخمر الحمراء التى تناولتها من تلك اليد البلورية البيضاء
استحالتْ عبراتٍ للحسرة ، وبقيت حائرة فى عينى الباكية . . . ! !

— ولم أسمع عن شخص بقى مشغولا بعمله إلى الأبد
غيرَ قلبي الذى شغله العشقُ منذ الأزل وإلى الأبد ! !

— وقد أضحى النرجس سقيما ليتشبه بعينيك
ولكن نظراتك الحلوة لم تُسْعِفه ، فبقى على سقمه . . . ! !

— ولم أر بين أصداء العشق ما هو أحلى
من الذكرى التى بقيت تتردد فى هذه القبة الدائرة . . . ! !

— وكان لى « دلق » ، وكان يخفى فى طياته كثيراً من عيوبى
فأعطيته رهناً للشراب والطرب ، وبقى لى « الزنار » وحده ! !

— وتحيّر فى جمالك مبدع الصور والنقوش
فبقى حديثه منقوشاً فى كل الأماكن : على الأبواب والجدران

— وذهب قلب « حافظ » يوما للتفرج على طرّة الحبيب
وكان ينوى العودة بعد ذلك . . . ولكنه بقى إلى الأبد أسيراً حبيساً ! !

---

(١) « دلق » بمعنى خرقة المتصوفة أو لباسهم المرقع (٢) « الزنار » هو الرباط الذى يشده المجوسى على وسطه

غزل ١٢٩

رسيد مژده كه ايام غم نخواهد ماند
چنان نماند وچنين نيز هم نخواهد ماند

ترجمة منظومة

أتت بشرى سيمضى الغمُّ عنا سيمضى .. ثم يمضى .. لا يعودُ
ولو أنى لدى خلٍّ مُعَنَّى فهل ذاك الحسود به يسود ..؟!
وذاك الستر لو يقصيه ربى فلا يبقى له خلٌّ ودود ...!!
وما شكرى ولا شكواى تُجدى ونقشُ الدهر فانٍ وشرود !!
سمعنا أمس أغنية تُغَنَّى تقول : « الكأسَ خذها من جديد »
وتلك فراشة .. يا شمع ... ! هامت فَصِلْها ... فهى صبحاً ... لا تعود
إليك مع الغنى قلبى المُعَنَّى فكنز الدرِّ يفنى .... والنقود !!
لقد نقشوا على الجوزاء سطراً يقول : « الجود يبقى فى الوجود »
فلا تيأسْ إذا صدَّ الغوانى سيمضى الجور عنا والصدود !!

ترجمة منثورة

— وصلتنى البشرى بأن أيام الأحزان سوف لا تبقى ، وأنها مضت وانقضت بحيث لا تعود ... !

— ولو أنى أضحيت محقراً فى نظر الحبيب ، ولكن « الرقيب » أيضاً سوف لا يبقى محترما !!

— وحينما يضرب «صاحبُ الستار» جميعَ الحاضرين بسيفه ، لا يستطيع أحد أن يبقى فى حرم الحبيب

— وأى مكان فى الدنيا للشكر أو الشكاية من الطيب والخبيث ، بينما لا يبقى على صفحات الوجود رقم من الأرقام

— وقد قالوا إن أغنية جمشيد كانت فى هذه العبارة : ناولنى «الجام» فإن « جم »[1] سوف لا يبقى

— فيا أيتها الشمعة المتقدة ! اغتنمى ساعة وصلك للفراشة ، فهذه « المعاملة » لا تدوم بينكما إلى الصباح

— وأمسكْ أيها الغنى بقلبك المسكين فى يدك ، فخازن الذهب وكنوز النقود سوف لا تبقى ... !!

— ولقد كتبوا بالذهب على رواق هذا الفلك الأزرق : « أنه سوف لا يبقى إلا إحسان أهل الكرم »

— ويا « حافظ » ! حذارِ أن تقطع الأمل فى شفقة الأحباب ، فإن صور الجور ومعالم الظلم سوف لا تبقى

---

(١) «جم» ترخيم جمشيد و « الجام » بمعنى الكأس

غزل ١٣٠

در نظر بازی ما بیخبران حیرانند
من چنینم که نمودم دگر ایشان دانند

— الجهلاء بأمر العشق حائرون فى تطلعنا إليه بالنظرات
وأنا هكذا كما ظهرتُ ، وأما الباقى فهم يعلمونه . . . ! !

— والعقلاء هم النقطة فى دائرة الوجود ،
ولكن العشق يعلم عنهم ، أنهم دائرو الرؤوس فى هذه الدائرة . . . ! !

— وليست عينى وحدها المكان الذى تجتلى فيه طلعة الحبيب
فالشمس والقمر يديران له مثل هذه المرآة

— وقد عقد الله عهودنا مع أصحاب الثغور الحلوة
فنحن عبيدهم ، وهم الأسياد . . . ! !

— ونحن مفلسون ، ولنا رغبة فى الخمر والطرب
فوا ويلتاه ! إذا لم يرتهنوا منا هذه الخرقة من الصوف . . . ! !

— ولن يتمكن الخفاش الأعمى من وصال الشمس
وأصحاب النظر أنفسهم حائرون من النظر فى هذه المرآة . . . ! !

— وما أكذب الفخر بالعشق مع الشكوى من الحبيب . . . ؟ !
وأمثال هؤلاء العاشقين جديرون بالهجران . . . ! !

— وعينك السوداء تعلّمنى كثيراً من الأمور
فلا يقدر سواها على الجمع بين الخجل والعربدة . . . ! !

— وإذا حملت النسيم نفحة واحدة من عبير أنفاسك إلى منتزه الأرواح
فإن العقل والروح يفديانك بجواهر الوجود

— وإذا لم يفهم « الزاهد » عربدة « حافظ » فماذا يضيره
والشيطان نفسه يفرّ هرباً ممن يرتلون القرآن . . . ؟ !

— ولو علم شبابُ المجوس بما يدور فى خلدنا[1]
لما قبلوا أن يرتهنوا منا « خرقة الصوفية » بعد اليوم . . !

---

(١) لو علموا بما يجول فى خاطرنا من سوء ونفاق

غزل ١٣١

غــــلام نرگس مست تو تاجدارانند

خـَـراب بادهٔ لعــــل تو هوشیارانند

— الملوك أصحاب التيجان ، خدم لنرجسة عينك المخمورة
والعقلاء المفيقون ، سكارى بخمر شفتك الحمراء المعسولة . . . ! !

— ونسيم الصبا هو الذى يعلن عن حالك ، ودموع عينى هى التى تخبر بحالى
ولولا هذين لبقى العاشق والمعشوق أمينين على الأسرار[1] . . . ! !

— فإذا مررتَ بى ، فانظر بعينك من تحت طرّتك الملتفّة
فما أكثر المحزونين عن يمينك ويسارك . . . ! !

— وامض كما تفعل الصبا على روضة البنفسج ، ثم انظر
إلى زهرات البنفسج وهى فى عنائها ، تتطاول لترى طرّتك . . . ! !

— ونصيبنا هو الجنة . . . فاذهب إلى حال سبيلك أيها العارف !
فإن المستحقين للكرم هم الآثمون وحدهم . . . ! !

— ولستُ أنا وحدى الذى يتغنى متغزلا فى خدك الوردى
فما أكثر البلابل التى تغنى لك فى كل ناحية . . . ! !

— فأمسك بيدى أيها « الخضر[2] » المبارك الخطوات ، وأعنى بمددك ، فإنى وحدى أذهب ماشياً ، وأما الرفقاء فراكبون . . . ! !

— وتعال إلى الحانة . . . ، واجعل وجهك أرغوانياً بالخمر الحمراء
ولا تذهب إلى الصومعة ، ففيها أصحاب الأعمال السوداء . . . ! !

— ولا جعل الله لك يا « حافظ » الخلاصَ من سلاسل طرته الملتفة
فإن المقيدين إلى شباك الحبيب أحرار طليقون . . . ! !

---

(١) لولا أن النسيم يتأرج بعبيرك فيبوح بوجودك ، ولولا أن دموع عينى تنهمل وتنسكب فتعلن عن حبى لك وهيامى بك ، لبقيت أنت العاشق وأنا المعشوق أمينين على سر العشق لا يعرفه أحد

(٢) الذى يتولى الحراسة على ماء الحياة

غزل ١٣٢

دوش وقت سحر از غصه نجاتم دادند
واندر آن ظلمت شب آب حیاتم دادند

— ليلة أمس . . . فى وقت السحر . . . أعطونى النجاة من الألم والويل
وناولونى « ماء الحياة » ، فى هذه الظلمات من الليل . . . ! !

— وأخرجونى عن نفسى بما انبعث من ضياء ذاته
ثم ناولونى الخمر فى « جام » يتجلى فيها بصفاته . . . ! !

— فيا له من سحر مبارك ! ويا لها من ليلة سعيدة !
« ليلة القدر » هذه التى منحونى فيها البراءة[1] الجديدة . . . ! !

— فدعنى بعد اليوم أحوّل وجهى إلى مرآة جماله
فقد خبرونى أننى أستطيع أن أجتلى فيها بهاء خياله . . . ! !

— وأى عجب إذا أصبحتُ هانىء القلب ، نافذ الرغبات !
وقد كنتُ جديراً بها ، وقد أعطوها لى على سبيل الزكاة . . . ! !

— وقد أنبأنى « هاتف الغيب » ، بخير الآمال والبشريات
نخبّرنى أنهم — فى مقابل الجور والجفاء — قد أعطونى الصبر والثبات . . . ! !

— وهذا القدر من الشهد والسكر ، الذى ينهل من كلامى كالقطرات
هو أجر الصبر الذى وهبونى من أجله « شاخ نبات[2] » . . . ! !

— واقترنَتْ همةُ « حافظ » ، بأنفاس القائمين بالأسحار
لأنهم قد خلّصونى من قيود الأيام ، وغصص الأقدار . . . ! !

---

(١) بمعنى الإذن والتصريح بشرب الخمر

(٢) « شاخ نبات » ، بمعنى عود السكر ، وهو اسم معشوقة حافظ فى أيام شبابه

غزل ١٣٣

شراب بیغش وساقی خوش دو دام رهند
که زیرکان جهان از کمند شان نرهند

— فخّان فى الطريق ، هما الساقى الجميل والشراب الصافى الذى لا غشّ فيه
ومن حلقاتهما لن ينجو . . . مهرةُ العالم وأذكياء بواديه . . . ! !

— وأنا عاشق عربيد ، ثمل ، سيىء الشهرة بين الأنام
ولكنى أقدّم آلاف الشكر ، لأن أحبابى فى البلدة أبرياء من الذنوب والآثام . . . ! !

— وليس الجفاء لزاماً للدَرْوَشَة وسلوك الطريق
فأحضرْ إلىَّ الخمر . . . فليس هؤلاء السالكون من رجال الطريق . . . ! !

— ولا تنظر بعين التحقير إلى المستجدين على أبواب العشق . . . فإن هؤلاء المساكين
سلاطين لا يشدون المناطق على أوساطهم ، وملوك غير متوّجين . . . ! !

— وكن عاقلا يقظاً . . . فإنه متى هبت ريح الاستغناء ومرت الأعاصير
لا تساوى آلافٌ من أكداس الطاعة ، نصفَ حبة من شعير[1] . . . ! !

— ولا تفعلْ ما يقطع قافلة الحب والوداد
فيهرب منك العبيد ، ويأخذ الخدم فى الابتعاد . . . ! !

— وأنا خادمٌ لهمة مَنْ يحتسون الثمالة ، أصحاب اللون الواحد
ولستُ خادماً لأصحاب الأردية الزرقاء والقلوب السوداء . . . ! !

— فلا تضعْ قدمك فى « الخرابات » إلا إذا التزمتَ طريق الأدب
فالسالكون ببابها ، هم محرم أسرار المليك . . . ! !

— ومرتبة العشق رفيعة عالية . . . فالهمةَ الهمةَ يا « حافظ » !
فإن العشّاق لا يجيزون إلى بابهم مَنْ لا همة له . . . !

---

(١) من حبات الشعير يستخرجون الخمر ، ولذلك فهو يقول إن أكداس الطاعة لا تساوى جرعة صغيرة من الخمر وهى كذلك لا تساوى نصف حبة من شعير ، أى لا تكاد تساوى شيئاً مطلقاً

غزل ١٣٤

دوش دیدم که ملایك در میخانه زدند
گل آدم بسرشتند وبـــــه پیمانه زدند

— ليلة أمس . . . رأيتُ الملائكة تدق على باب الحانة
حين أبدعوا طينة آدم وصاغوها فى القوالب والأقداح . . . ! !

— ثم أخذ الساكنون فى حرم السّتر وملكوت العفاف
يشربون معى . . . أنا المتخلف بالطريق . . . خمرَ الخلاعة والعربدة . . . ! !

— ولم تستطع السماء أن تتحمل عبء « الأمانة »[1]
فاقترعوها على اسمى . . . أنا المولّه المجنون . . . ! !

— فالتمسْ العذر لما يقوم من حروب بين هذه الملل المختلفة
فإنهم جميعاً لم يروا طريق الحقيقة ، فسلكوا سبيل الأباطيل . . . ! !

— وشكراً لله . . ! فقد وقع الصلح بينى وبينه
فرفع الصوفية كأس الشكر له راقصين مهللين . . . ! !

— وليست ناراً . . . تلك التى يضحك الشمع من لهيبها
بل النار ، هى ما أشعلوها فى بيدر الفراشة . . . ! !

— ومنذ مشطوا بالقلم رؤوس الأحاديث
لم يستطع أحد أن يكشف نقاب الفكر كما كشفه « حافظ » . . . ! !

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى (إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا) سورة الأحزاب ، آية ٧٢

غزل ١٣٥

حسب حالى ننوشتيم وشـد ايامى چند
محرمى كو كه فرستم بتو پيغامى چند

— لقد مضت أيام ولم أستطع أن أكتب إليك عن حالى
وأين المؤتمن على السر حتى أبعث إليك برسائلى . . . ؟ !

— وليس فى استطاعتنا أن نصل إلى ذلك المقصد العالى
دون أن يتقدم إلينا لطفك بضع خطوات . . . ! !

— وحينما ذهبتْ الخمر من الدَنّ إلى الأبريق . . . ألقى الورد نقابه
فانتهزْ هذه الفرصة اللاهية ، وأدرْ علينا بعض الكؤوس . . . ! !

— والعلاج الذى نبغيه لقلوبنا ، ليس فى السكر المخلوط بالورد
بل ابعث لنا ببضع قبلات ممزوجة بقليل من العتاب . . ! !

— وامض بسلام . . . أيها الزاهد ! عن حلقة السكارى المعربدين
حتى لا تفسد حالك فى مصاحبة السكارى الآثمين . . . ! !

— وإذا قلتَ عيوب الخمر بجملتها ، فتحدَّث أيضاً عن فضائلها
ولا تنفِ حكمتها ، لترضى قلوب جماعة من العوام . . . ! !

— ويا أيها السائلون على أبواب « الخرابات » ! ما خطبكم . . ؟ ! والله عونكم . . ! !
فلا تنتظروا الإنعام من بعض الأنعام[1] . . . ! !

— وما أجمل ما تحدث به « شيخ الحانة » إلى شارب الثمالة
قائلا : « لا تقلْ شيئاً عن حال قلبك المحترق إلى غرٍّ غير مجرب » . . . ! !

— وقد احترق « حافظ » من الشوق إلى طلعتك
فيا أيها السيد النافذ الرغبة ! هل لك أن تنظر فى إشفاق إلى المحرومين من كل رجاء . . ؟ !

---

(١) الأولى بمعنى النعم والثانية بمعنى الحيوانات والبهائم

غزل ١٣٦

سمن بویان غبار غم چو بنشینند بنشانند
پری رویان قرار از دل چو بستیزند بستانند

— حينما تهدأ إلينا المعطرات بالياسمين ، يهدئن غبارَ الغموم والكروب
وحينما تعاند الحوريات الجميلات ، يسلبن الراحة من القلوب . . . ! !

— وحينما يصدفن عنا ، يربطن القلوب إلى أربطة خيول الجفاء
وحينما يفتحن طُررهن العنبرية ، يفتدينهن الأحبة بالأرواح . . . ! !

— وإذا هدأن إلينا لحظة واحدة ، قُمنَ وانصرفنَ عنا العمر الطويل
فإذا قمن عنا ، زرعن شجيرات الشوق فى خاطرنا العليل . . . ! !

— وإذا التقين بالمتسكفين بالأركان ، أدركن سر دموعهم الدامية
ومتى عرفن الحقيقة . . . لم يحوّلن وجوههن عن حب القائمين بالأسحار . . . ! !

— وإذا ضحكن . . . أمطر العشاق من أعينهم حبات الرمان
فإذا نظرن . . . قرأن فى وجهى ، السرَّ الخافى عن العيان . . . ! !

— فأين الذين يظنون ألم العاشق يسير يسهل دواءه . . . ؟ !
وقد نسوا مكر الذين يدبرون له الدواء والعلاج . . . ! !

— وهم يطلبون العلاج كالمنصور[1] ، ممن ترتفع بهم « المشانق »
ثم يدفعون به إلى « حافظ » حينما ينادونه إلى هذه الأعتاب . . . ! !

— وإذا تضرع المشتاقون . . أخذ الحبيب فى الدلال
فهم يائسون من علتهم المستعصية ، ولو أملوا فى الدواء . . . ! !

---

(١) هو الحسين بن منصور الحلاج الذى حكموا بشنقه لقوله « أنا الحق »

غزل ١٣٧

بود آیا که در میکده ها بگشایند
گره از کار فرو بستهٔ ما بگشایند

— يا ليتهم يفتحون أبواب الحانات
فيحلّون بذلك العُقَد عن أمورنا المعقدة . . . ! !

— وإذا أقفلوها إرضاءً للزاهد المحب لنفسه
فلا تيأس . . . واحفظ قلبك قوياً . . . فسيفتحونها مرضاةً لله . . . ! !

— وصفاء قلوب المريدين الذين يتناولون الصبوح
ما أكثر الأبواب المقفلة التي فتحها بمفتاح الدعاء . . . ! !

— فاكتب إلى « ابنة الكرم » خطاب التعزية
حتى يفتح أولاد « الخمار » جميعهم طررهم المجعدة الملتفة . . . ! !

— واقطع ذؤابة الرباب متى احتضرت الخمر الصافية
حتى يسكب شاربوها الدماء من بين أهدابهم . . . ! !

— ولقد أقفلوا باب الحانة . . . فلا ترضَ بذلك . . . يا إلهي !
لأنهم يفتحون بذلك باب التزوير والرياء . . . ! !

— واصبر يا « حافظ » . . . ! فسيتضح لك أمر هذه الخرقة التي تتدثر بها
وسترى الزنار الذي يكشفون عنه من تحتها بالخجل والرياء . . . ! !

غزل ١٣٨

ای پستهٔ تو خنده زده بر حدیث قند
مشتاقم از برای خـدا یك شكر بخند

— يا مَنْ ثغره الحلو يضحك من حديث السكر والقند[١]
إننى مشتاق إليك ، فبربك اضحك لى ضحكة واحدة حلوة ! !

— وشجرة طوبى[٢] لا تستطيع أن تباهى بقامتك المديدة
فدعنى أمض عن هذه القصة ، لأن الكلام فيها يكثر ويطول . . . ! !

— وإذا أردت ألا يرتفع من مآقيك نهر من الدماء
فلا تلزم قلبك بالوفاء لأصحاب الوجوه الجميلة . . . ! !

— وإذا رضيت بحالى ، أو أخذتنى باللوم والعتاب
فإننى على كلا الحالين لستُ من معتقدى الشيخ « المعجب بنفسه » ! !

— وكيف يعلم باضطراب حالى
مَنْ لم يصبح قلبه أسيراً فى هذا الفخ المنصوب . . . ! !

— وقد اتّقدت سوق الأشواق ، فأين شجرة السرو الفرعاء
حتى أجعل روحى بخوراً[٣] على جمرات خدودها . . . ؟ !

— وعندما يضحك حبيبى ضحكة واحدة حلوة معسولة
فماذا تكونين أنت أيتها الفستقة الباسمة ؟ ! وبربك لا تضحكى من نفسك ثانية[٤] ! !

— ويا « حافظ » ! إذا لم تترك غمز الأتراك
فهل تعلم أين مكانك . . ؟ وهل مصيرك فى خوارزم أو خُجند[٥] . . . ؟ !

---

(١) « پسته » بمعنى ثمرة الفستق ، واستعارها هنا بمعنى الشفاه أو الثغر لأن فتحتها تشبه الشفتين

(٢) يقولون إن شجرة طوبى فى السماء الرابعة وأن فروعها تصل إلى السماء السابعة ، فهى مديدة القامة

(٣) « سپند » التى ترجمناها هنا بمعنى « البخور » معناها الأصلى ، نوع من الحبوب يحرقونه اتقاء للعين

(٤) إن ضحكاتك أيتها الفستقة لا تصل فى جمالها إلى ابتسامات حبيبى فلا تسخرى من نفسك

(٥) مدينتان للأتراك

غزل ١٣٩

هر آنكو خاطر مجموع ويار نازنين دارد
سعادت همدم او گشت ودولت همنشين دارد

— كل مَنْ يتهيأ له فراغ البال واجتماع الخاطر وحبيب مدلّل لطيف
فإن السعادة تصاحبه ، والحظ الموفق يلازمه ويقارنه . . . ! !

— وحرَم العشق ، يعلو بابه عن العقل
ويستطيع تقبيل أعتابه ، من يخاطر بروحه وحياته . . . ! !

— وثغر الحبيب الضيق الحلو كأنه ملك سليمان
ونقش خاتمه الأحمر يطوى العالم تحت فصّه[1] ! !

— وإذا كان للحبيب الشعر الأسود الفاحم والشفة الحمراء . . . أو لم تكن له هذه الأشياء
فإننى فخور بحبيبى . . . فحسنه شامل لجميع هذه الأشياء ! !

— فيا أيها المنعم ! لا تحقر أمر الضعفاء الهزيلين
فإن السائل « المتخلف بالطريق » ، له الصدارة فى مجلس الشراب ! !

— واعتبر « قدرتك » غنماً كبيراً ، حينما تكون فوق سطح الأرض
فقد أودت الأيام بالكثير من العاجزين إلى جوف الثرى ! !

— وتعويذتك التى تدفع البلاء عن روحك وجسدك ، هى الدعاء الذى يدعوه الفقير حينما يقول :
« من ذا الذى يرى الخير فى أكداس الحصاد ، ويحس بالخجل من جامع السنابل والأعواد ؟ »

— فيا ريح الصبا ، تحدثى رمزاً عن عشق لمليك الحسان
فإن أقلّ خدّامه مئات من أمثال جمشيد وكيخسرو[2] ! !

— وإذا قال لك : « إننى لا أريد عاشقاً مفلساً كـ « حافظ »
فقولى له : « إن جليس السلطان ، سائل معدم مسكين . . . ! ! » .

---

(١) « نكين » بمعنى فص الخاتم أو حجره .
(٢) من ملوك إيران الأقدمين الذين اشتهروا بالسطوة والبأس

غزل ١٤٠

کسی که حسن وخط دوست در نظر دارد

محققست که او حاصـــــل بصر دارد

— ذلك الشخص الذى يشاهد حسن الحبيب وعارضه ، ويديم فيهما النظر
من المحقق أنه سيحصل فى النهاية على الرُشد والبصر . . . ! !

— ولقد جعلنا رؤوسنا كالقلم مطيعة لأمره
فيا ليته يقطعها بضربة واحدة من سيفه[١] . . . ! !

— والعاشق ، فى وصالك ، كالفراشة التى ظفرت بالشمع
تتجدد رأسه فى كل لحظة تحت ألسنة لهبك . . . !!

— وربما استطاع أن يصل إلى تقبيل أقدامك
من جعل رأسه دائما كالأعتاب لبابك . . . ! !

— وأنا ملول من هذا الزهد الجاف ، فأين الشراب المروق الصافى . . ؟ !
فإن رائحة الخمر تنعش دماغى وتحيى أنفاسى . . . !!

— وإذا لم يكن لك فائدة من الخمر . أليس يكفيك منها
إنها قادرة على أن تجعلك لحظة واحدة لا تحس بوساوس العقل . . ! !

— وذلك الشخص الذى لم يخرج بقدمه عن طريق التقوى والصواب
هل رأيته الآن ، وهو يرغب فى السفر إلى حانة الشراب . . ! !

— وقلب «حافظ» الكسير ، شبيه بزهرات اللعل والشقائق
وسيحمل معه إلى جوف الثرى وسمَ الهوى المستعر فى كبده . . . ! !

---

(١) مثلما يقطعون رأس القلم بالمبراة ليصبح صالحا للكتابة

غزل ١٤١

آنكه از سنبل او غاليه تابى دارد
باز با دلشدگان ناز وعتابى دارد

— ذلك الشخص الذى تتحرق « الغالية » غَيْرةً ، من سنبل طيبه[١]
يتدلل ثانيةً على عاشقيه المولّهين ويعاتبهم . . . ! !

— ويمرُّ على قتلاه ، مسرعا كالريح
فماذا نعمل . . . ؟ وقد مضى كالعمر ، فى عجلة وسرعة . . . ! !

— وطلعته الجميلة ، من وراء شعره المتهدل
كأنها الشمس النيرة ، أمامها الغيم والسحاب[٢] . . . ! !

— ولقد أجرت عينى سيلا من الدمع فى كل الأنحاء والأركان
حتى ترتوى بها شجرةُ سروك فتزدهر وتزدان . . . ! !

— ولقد تخطىء غمزاتُ عينك الجسورة فتهرق دمى
ولكنى أدعو الله أن يهيىء لها ما تريد . . . ، فتفكيرها صائب . . . ! !

— وإذا كان ماء الحياة ، هو ما تحتويه شفة الحبيب
فليس نصيب « الخضر » إلا لمحة من السراب . . . ! !

— ورأت عينك المخمورة حب قلبى لك فمزّقت كبدى
وكأنها التركى المخمور يميل إلى شواء من كباب . . . ! !

— وليس لروحى الضعيفة وجه لسؤالك
ولكن ما أجمل حال المريض الذى يتلقى الإجابة من حبيبه . . . ! !

— فمتى تستطيع عينه المخمورة أن تنظر إلى قلب « حافظ » الجريح . !
وهى نشوى . . لا تعى . . توزع الخراب . . فى جميع الأنحاء

---

(١) « الغالية » نوع من الطيب ؛ والسنبل أو « سنبل الطيب » نوع من العشب الطيب الرائحة ، يشبهون به خصلات الشعر المجعدة الذكية الرائحة

(٢) إن طلعته المشرقة تبدو من وراء شعره الفاحم كما تبدو الشمس النيرة من وراء السحب القاتمة

غزل ١٤٢

شاهد آن نيست كه موئى وميانى دارد

بنـده‌ٔ طلعت آن باش كه آنى دارد

— ليس المعشوق من يكون له الشعر الفاحم والخصر النحيل
فكن عبداً لطلعة من يمتاز باللطف والدلال . . . ! !

— وأساليب الملائكة والحور لطيفة حقاً
ولكن الحسن واللطف الحقيقيين من نصيب حبيبى

— فيا أيتها الوردة الباسمة . . ! أدركى نبع عينى المتفجرّ
فما زال — على أمل وصالك — يبعث بالمياه الحلوة العذبة . . . ! !

— ومَنْ الذى يستطيع أن يلتقف منك كرة الحسن والملاحة . . ؟ وليست الشمس نفسها
فارس الميدان الذى يمسك بالعنان . . . ! !

— ومنذ قبلت منى الحديث ، وقد صار كلامى لطيفا مقبولا
وكلام العشق له علامة ودلالة . . . ! !

— وقد برّز حاجبُ عينك المقوس ، فى إلقاء السهام
فقهر كل من يحمل القوس فى يده . . . ! !

— ولم يعد أحدٌ فى طريق العشق محرما للأسرار
وأضحى كل شخص يفكر على قدر عقله . . . ! !

— فلا تفخر « بالكرامات » على الجالسين « بالخرابات »
فلكل كلام وقته ، ولكل نصيحة مكانها . . . ! !

— والطائر الماهر الغرّيد لا يرضى أن يغنى فى خميلته
فى كل ربيع يتلوه خريف . . . ! !

— فقل للمدعى : لا تفاخرْ « حافظا » بالألغاز والنكات
فلنا مثلك قلمٌ فصيح اللسان والبيان . . . ! !

غزل ١٤٣

مطرب عشق عجب ساز ونوائی دارد

نقش هر نغمه كه زد راه بجائی دارد

— « مطرب العشق » عنده العجيب من الأنغام والألحان
وصدى نغماته التي يوقعها يتردد في كل مكان . . . . ! !

— فيا رب . . . ! لا تجعل العالم خاليا من أنين العاشقين
فأصداء أنينهم بهيجة حسنة الترجيع والتلحين

— وشيخنا الذي يشرب « الثمالة » لا يملك شيئا من المال والقدرة
ولكنّ له إلها يجزل له العطاء ويغفر له الأخطاء . . . ! !

— فاحترم قلبي . . . ، فإن هذه « الذبابة » المولعة بالسكر
قد أصبحت عظيمة كطير « الهما »[1] منذ رغبت في وصالك

— وليس منافيا للعدالة أن يسأل المليكُ
عن حال جاره السائل المسكين . . . ! !

— ولقد أظهرتُ للأطباء دموعي الدامية فقالوا :
« إنها آلام العشق . . ، ودواؤها احتراق الكبد »

— فلا تتعلم الظلمَ من غمزات العيون[2] . . . ففي مذهب العشق
يؤجر العمل ويجزى الصنيع . . . ! !

— وما أجمل ما قالت لي ، هذه الدمية الجميلة ابنة عابد الخمر ؛
حينما نصحتني بأن أتمتع بالسرور من كل وجه يكون فيه الصفاء . . . ! !

— فيا أيها المليك . . ! إن « حافظا » جالس بالأعتاب يقرأ الفاتحة
وهو يتمنى الدعاء الصالح من فمك ولسانك . . . ! !

---

(١) طير الهما ، أو العنقاء ، طير سعيد الفأل ، أينما حلّ كان الخير والعمران ، وإذا وقع ظله على شخص فاز بالملك والسلطان (٢) لأنها تطعنه كالسهام

غزل ١٤٤

هو آنكه جانب أهل خدا نگهدارد

خداش در همه حال از بلا نگه دارد

— إن من يرعى جانب أهل الله
يحفظه الله فى جميع الأحوال من البلاء ...!

— ولست أقول حديث الحبيب إلا فى حضرة الحبيب
فإن الحبيب يعى كلام الحبيب ... !!

— فيا قلبى ! هيئ أمرك ... فإذا اضطربت قدمك
حفظك الملاك بأن يرفع لك أكف الدعاء

— وإذا رغبتَ ألا ينقض المشوق عهدَه
فحافظ على طرف الحبل حتى يحافظ هو عليه[1]

— ويا ريح الصبا ! إذا رأيت قلبى عالقا بأطراف هذه الطرة
فقولى له فى رفق : « احتفظ بمكانك ... ! ! »

— وهل تعرف ماذا قال : عند ما رجوتُـه « أن يتولى قلبى بالرعاية »
قال : « ما يفلت من يدى ، فالله يتولاه بالرعاية ... ! ! »

— فلتكن رأسى ومالى وقلبى وروحى فداء للحبيب
الذى يرعى حق « الصحبة » والحب والوفاء

— وأين غبار الطريق الذى تسير عليه
حتى يرعاه « حافظ » تذكاراً لنسيم الصبا ... ؟ !

---

(١) ربما كان يجول بخاطر الشاعر قوله تعالى : (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا)

غزل ١٤٥

دل ما بدور رويت ز چمن فراغ دارد

كه چو سرو پاى بندست وچو لاله داغ دارد

— كلما نظر قلبى إلى وجهك ، ينصرف عن الخميلة والبستان
فهو مقيد كشجرة السرو ، موسوم[١] كشقائق النعمان

— ولن تخضع رأسى أمام أقواس الحاجب[٢]
لأنها « كالمعتكفين بالأركان » لا شغل لها بأمور العالم

— وأنا فى عذاب من زهرة البنفسج لأنها تباهى بطرتها
فانظر إلى تلك السوداء « القليلة الثمن » وأى خيلاء فى دماغها . . . ! !

— وامش باختيال فى الخميلة ، وانظر إلى عرش الورد ، فشقائق النعمان
تشبه نديم السلطان الذى فى يده الكأس والجام

— وإلى أى مدى أستطيع الوصول فى هذا الليل البهيم وهذه الصحراء الشاسعة . . . ؟ !
فيا ليت شموع وجهك تضىء لى الطريق الداجى . . . ! !

— وإذا تحادثتُ مع شمعة الصباح جاز لى ذلك . . .
فقد احترقنا نحن الاثنين ، ولم يدر الحبيب بما نحن فيه . . . ! !

— ومن الجائز أن تنهلَّ دموعى على الخميلة كما تبكى سحب الشتاء
وهاك عش البلبل الطروب قد حمله الغراب . . . ! !

— وقلب « حافظ » المسكين له رغبة فى درس العشق
ولا رغبة له فى التنزه ؛ ولا هوى له فى الرياض والخمائل ... !!

---

(١) الوسم أثر الكى بالنار

(٢) شبه حاجب العين بأنه القوس التى تقذف بالسهام

فهـــرست الغزليات

بقية الغزليات تتلو فى الجزء الثانى الذى نرجو أن نتمكن من نشره قريباً



تقدير وشكر

أقدم أجزل شكرى لصديقين الأستاذ محمد بديع المدرس بالمعهد العالى لمعلمات الفنون ، والأستاذ صلاح كامل المدرس بمعهد الفنون الجميلة ، فإلى فنهما وكرمهما يرجع الفضل فى ظهور بعض اللوحات فى هـذا الـكتاب ، كما أقدم خالص تقديرى للزميل الدكتور فؤاد على حسانين المدرس بكلية الآداب فقد تفضل بإعارتى صورتين لحافظ من رسم المصور الألمانى « فوير باخ » نشرت إحداهما فى مطلع الـكتاب والثانية فى الصحيفة ٦٣ .

